

# أفاز الديانة الهندوسية

الدكتور بابا صاحب أمبيدكار

(الخبير الدستوري المصلح الكبير)



## أغاز الديانة الهندوسية

- أغاز الفيديات
- أغاز الآلهة والإلهات
- أغاز النظام الزمني وبوجه خاص "كالي يوجا"
- أغاز "راما" و"كريشنا"

## رحلة شيقة للغاية إلى التناقضات الهندوسية

المؤلف

**الدكتور بابا صاحب أمبيدكار**

(الخبير الدستوري المصلح الكبير)

نقله إلى الهندية

الدكتور الفلسفي بادانتا آندا كوساليه

## الإهداء

إلى زعماء ثورة الطبقة المهمشة "داليت"

الذين قضوا نحبهم، محاربين ضد النظم الطبقية والطائفية  
المقيبة، والأرثوذكسية، والقدرية، والرغبة في حياة الآخرة  
على شاكلة فرضتها الديانة الهندوسية البرهمنية!  
وضحوا بحياتهم مناضلين ضد النفاق والخزعات لتحقيق  
العدالة الاجتماعية.

## أغاز الهندوسية

لمؤلفه الدكتور بهيما راؤ أمبيدكار

مترجم اللغة الهندية

الدكتور بادانتا آنند كوساليه



## كلمة الدكتور بادانت آنند كوساليان<sup>(١)</sup>

وفي العصر الحديث، قلما يوجد أي كتاب مثير للدهشة والغوغاء مثل هذا الكتاب المسمى بـ "ألغاز الهندوسية" (Riddles in Hinduism). وربما يكون هناك أسباب عديدة لذلك. يمكن أن يكون أحد الأسباب الناتجة عن هذه الغوغاء - حسبما يعتقد كاتب هذه السطور المتواضع - أنه كما لم يتم فهم "العلمانية" في هذه البلاد إلا شذمة قليلون من الناس، وبالمثل لم يفهم حقيقة هذه الألغاز جلها أو كلها التي ذكرها المؤلف في هذا الكتاب لا مؤيدو الكتاب ولا معارضيهِ إلا القليل من الناس.

وقد صعب عليّ فهم كلمة "ريدلز" أي ألغاز؛ لغتي في الكتابة والقراءة هي اللغة الهندية فقط. لهذا السبب فهمتُ في وقتٍ ما أن هذا الكتاب هو تعليق على الديانة الهندوسية، وكلمة "التعليق" نفسها ذات معنيين في اللغة الهندية؛ حيث يمكن أن تعني التفسير ويمكن أن تكون نقداً كذلك. كما خطر ببالي أنه ربما استخدم المؤلف بابا صاحب كلمة "ريدلز" مرادفاً للشكوك والريبة في الديانة الهندوسية. ثم ظننت أنه من كانت لديه شكوك كثيرة في ذهنه فلماذا

(١) قام الدكتور بادانت بنقل النص الإنجليزي إلى اللغة الهندية وقدمه بالإيجاز لقارئ اللغة الهندية. فهذه المقدمة هي بمثابة كلمة المترجم إلى اللغة الهندية. (م.ع.)

يأخذ قلمًا في يده ويؤلف الكتاب في تلك القضية؟ إذن فما هو المقصود بـ "ريدلز"؟ أعتقد أن كلمة "ريدلز" هي "ألغاز" في حد ذاتها. فكان من الجيد أن يقوم المؤلف نفسه بتوضيح المراد بها وبحلها في مكانٍ ما لقراء اللغات الهندية.

تمامًا كما أن كلمة لاثي "Lathi" أي العصا، هي كلمة مشهورة في اللغة الهندية لدرجة أنها احتلت مكانها في قاموس اللغة الإنجليزية أيضًا. وبالمثل، أصبحت كلمة "ريدل" أيضًا كلمة جديدة دخيلة في جميع اللغات الهندية، والتي ربما لا تحتاج إلى ترجمة.<sup>(١)</sup>

هناك أصناف عدة لفنون الأدب، منها الألغاز أو حل الأشكال. وعلى سبيل النموذج لا الحصر، هناك لغز معروف باللغة الهندية "ديك مشى حتى سئم من المشي، هات بالسكين وها قطع رأسه، فبدأ يمشي من جديد!" والحل لهذا اللغز هو أن الديك هو "القلم" المصنوع من القصب، وليس القلم الحالي، أو هو القلم الرصاص القديم، الذي كان يجب صنعه بالسكين عندما يتم تهالك نصله.

(١) ومن ثم لم يقم المترجم الهندي بترجمة كلمة "ريدلز" في الترجمة الهندية، واستخدم نفس الكلمة معها أنها إنجليزية الأصل، وتعني بالألغاز. (مترجم باللغة العربية، وفيما بعد يشار إلى المترجم الذي قام بتعريب الكتاب بـ م.ع.)

بعد الكثير من التفكير، اعتقدت بأنه ربما ليست كل هذه الكتب إلا مجرد مجموعة من الألغاز الأدبية ومن خلالها لعب المؤلف بالألوان لعبة ذات مستوى أدبي رفيع مع قرائه.

هذا ليس أول كتاب صنفه الكاتب بابا بهيما راؤ أمبيدكارا، فقد كتب نحو خمسين كتابًا، وفي كل كتاب يجد القارئ معلومات مستجدة، ولكن لماذا أثار هذا الكتاب ضجة كبيرة على هذا المستوى؟ وما هو سبب الضجة؟ فقد تم إحراق الكتب، أو جزء من الكتاب، وأقيمت مسيرات، ونظمت مظاهرات الاحتجاج ضد نشر هذا الكتاب... وكل هذا ساهم في ترويح الكتاب بشكل لا يحتاج الناشر أو ترجمته إلى أية لغة ليفعل شيئاً لأجل ترويجه.

ليس لدينا ما نقوله لمن رحب بالكتاب، لو قرأه، أو لم يقرؤوه، لايهمنا شيء. وقد سبق لكاتب هذه السطور أن قرأ هذا الكتاب مرات عديدة. دعونا نحاول فهم وجهة نظر الأصدقاء الذين عارضوها.

وذات مرة ذهبت شخصياً للقاء رئيس منظمة "آر. إس. إس" (منظمة التطوع الوطنية) شري ديوراس كي أعرف عن موقفه، لكنه قال - 'لم أقرأ الكتاب حتى الآن. ولا أستطيع حتى الإدلاء عن رأيي في ذلك! وبه انتهى الأمر!'

يمكن أن يكون لدى الفئة الأولى من المعارضين أكثر من شكوى بهذا

الخصوص نحو:

فمن شكواهم لماذا سمح المؤلف بابا صاحب بتسرب هذه الأفكار حول الديانة الهندوسية إلى ذهنه؟

الجواب - تمامًا كما أنت حر في وضع أي فكر في ذهنك في موضوع ما، وبالمثل ليس المؤلف وحده وإنما كل إنسان حر في وضع أفكار في ذهنه وهو حر فيها يفكر.

قد يكون الاعتراض الثاني أنه كان بإمكانه الاحتفاظ بهذه الأفكار في ذهنه، فلماذا أعرب عنها كتابةً؟

وردنا عليه: إذا علم أي شخص بأي مسألة ذات أهمية اجتماعية، فمن واجبه الاجتماعي أن ينقلها إلى المجتمع من خلال التحدث أو الكتابة.

وكإنسان مفكر كان بابا صاحب حرًا في التفكير بحرية، وبصفته مصلحًا اجتماعيًا كان مضطرًا للتعبير عن أفكاره من خلال الكلام والقلم. لو لم يقم هو بذلك، يمكننا تخمين تلك الخسارة الفادحة الكبيرة التي تضرر بها المجتمع؟

بعد كل شيء، ماذا قال بابا صاحب في هذا الكتاب من خلال الألغاز أو الأشكال؟ في مقالته الأولى، قال بابا صاحب أنه مثلما يصعب على أي رجل حل أي لغز صعب، ليس من السهل على أي هندوسي أن يشرح لأي شخص سبب هندوسيته أو لماذا هو هندوسي؟ من الصحيح، ولئن كان هذا اللغز سهل الفهم، فلن يضطر حتى "فير سافاركار" و"لوكمانيا تيلاك" إلى قبول تعريف

"الهندوس" بأن أتباع كل ديانة هندية هو هندوسي. يمكن لكل مواطن من أصل هندي أن يكون هندياً أو هندوسياً، ولكن كيف يمكن أن يكون من أتباع أي أو كل الديانات ذات الأصل الهندي،<sup>(١)</sup> وكيف يمكن أن يعتبر نفسه "هندوسياً" فقط بسبب هذا، أي بسبب انتمائه الجغرافي إلى أرض الهند؟ يجب أن يكون تعريف الديانة عقدياً شرعياً وليس جغرافياً.

من اللغز الثاني إلى التاسع، كل الألغاز مرتبطة بـ "فيدا". ليس كل هندي مثقف فحسب بل كل عالم على المستوى العالمي يعتقد بأن الفيدات هي توصيف اجتماعي صادق للغاية للمجتمع الهندي القديم. وقام المؤلف بابا صاحب بدراسة هذه الفيدات انطلاقاً من هذا المنظور. فإن اعتقد شخص بأنها ليست من صنع الإنسان بل منزلة من عند الله وهي من صنع الخالق، أو أنها ليست حتى من صنع الخالق، الآن إذا اعتقد أي شخص أنهم ليسوا من صنع الإنسان، أو أنهم من صنع الله أو أنهم ليسوا حتى من صنع الله، أنها لم يتم صنعها، وإنما هي من المسموعات فقط... فإثبات هذه المعتقدات يقع على من يعتقد بها. وأما المؤلف فإنه ناقش كل المعتقدات الدينية على أساس علمي في إطار الكتب المقدسة حيث نقل اقتباسات من الفيدات كلما مست الحاجة إليها، وقدم النصوص منها ومن النصوص البراهمانية، ومن الأوبانيشاد، كما مانو

(١) . ووفقاً لهذا التعريف حتى المسلم يكون هندوسياً، لأنه هندي الأصل، والبوذي أيضاً يكون هندوسياً لأنه هندي الأصل وهلم جرا، وتعرف بلاد الهند بكثرة الديانات، فكيف يمكن لكل الديانات أن تكون هندوسية، وكل أتباعها "هنداس"... (م.ع.)

اسميرتي، وبورانانا... يجب أن يكون عشاق المناحل الهندية القديمة ممتنين للمؤلف لأنه جذب انتباه العديد من الطلاب إلى المناحل القديمة من خلال جمع الألغاز المعنية بها في كتابه هذا. وإلا من يقرأ تلك المناحل والكتب المقدسة في أيامنا هذه؟ ولا يستطيع المثقفون حتى النطق الصحيح بأسماء الفيدات الأربعة، ولا لوحة من اللوحات الثلاثة، ولا الكتب المقدسة السابقة.

وإن أربعة أو خمسة ألغاز بداية من اللغز الحادي عشر إلى اللغز السادس عشر تتعلق بالآلهة والإلهات للهنداس، ومن خلال هذه الألغاز عالج المؤلف تلك السرديات المتعلقة بقصة العنف واللاعنف في كتبنا الدينية وأبرز سماتها المميزة. وإذا كنا غير مألوفين بتاريخنا الديني القديم ويبدو لنا أنه هناك شيء جديد غريب لأنه يُسمع لأول مرة، فماذا يمكن للمرء أن يفعل، وما هو علاجه؟ عندما بدأ المسيحيون في التبشير بالمسيحية بين اليهود، قالوا أن يسوع هو ابن الله. سأل اليهود متى تزوج الله؟ مع من حدث هذا؟ وإذا لم يكن هناك زواج فماذا عن الإبن؟

أثناء دراسة الكتب القديمة، إذا ظهرت أي شكوك داخل شخص ما وقام بتدوينها، وكتابة جملها أو كلها بغية التعرف عليها والوصول إلى حلها في وقت ما، فهل هناك بأس بأي شخص مثله وهل يلومه أحد على عمله ذلك.

هناك ملاحق للألغاز المذكورة أعلاه من ٧ إلى ٢١، والتي بطريقة ما تتكرر نفس الأشياء كما في الألغاز الأصلية. يبدو أن المؤلف ربما أعد بعض

"الملاحظات" أولاً لتوضيح مقالاته، والتي أضحت تعرف باسم "الألغاز" في أوسع صورها. ولو أعطى المؤلف بابا صاحب الكتاب شكله النهائي فلا أدري هل كان سيعطي هذه الملاحق مكاناً في الكتاب أم لا؟ واعتقد أنه أبقى ملحقين يتعلقان بـ راما وكريشنا، لأنهما حقاً لغزان كبيران في تاريخنا الديني (الهندوسي).

في حين نحو أربعة أو خمسة ألغاز بداية من اللغز الثاني والعشرين إلى اللغز السادس والعشرين ترتبط بالحياة الشخصية والتنظيم الاجتماعي لكل شخص من مجتمع الأغلبية أي الهندوسي. فإذا لم تكن رؤية المؤلف واضح الدستور الهندي غير ديمقراطية مائة بالمائة فرؤية من ستكون ديمقراطية؟ فقد ألقى المؤلف نظره الشامل الدقيق على طريقتي فارنا، وأشرم على منهجه الدقيق رؤيته هذه ويرى أن طريقة فارنا أشرم قد انتهت حتى في العصور القديمة وفي هذا الوقت أصبح قديماً تماماً، لكنه ليس من الضروري ألا يوافق كل شخص مع وجهة نظر المؤلف ورؤيته هذه. فالذين لديهم وجهات نظر متباينة وأيديولوجيات مختلفة لديهم اتجاهات فكرية شتى ووجهات نظر مختلفة، ومن لديهم وجهات نظر مختلفة يحاولون التعبير عنها بين فينة وأخرى، فهل تعتقد أن التعبير عن وجهاتهم الفكرية لا يضر بمشاعر أحد؟

فلم ينتقد المؤلف شخصية أحد ولم يحاول النيل من عرضه شيئاً سواء كانوا حكماء من الأوبنشاد، أو كانوا حكماء الذكريات (الأسامرة) أو كانوا أتشاريا

من العصر الحديث، وإنما قام بالتعليق على آرائهم وما ذهبوا إليه من أفكار فحسب، ترتبط برفاهية المجتمع.

لا أدري كيف انتشر هذا الفكر من بيت إلى آخر؛ سواء عرف هندوسي أسماء الفيدات الأربعة أم لا، لكنه يعرف جيداً أسماء العصور الأربعة<sup>(١)</sup> ويعتقد أنه في عصر "كريتا يوجا" كانت العقيدة مستقيمة على أرجلها الأربعة، وكان الناس على قدر من الاستقامة، والانسجام مع الحياة. والآن دخلوا في "كالي يوجا" فما بقيت الاستقامة ولا الصلاح فيه إلا اسمه وانطمست القيم. فما

(١). والعصور الأربعة هي الأطوار التي مر بها العالم وفقاً للأساطير الهندوسية. ويسمى العصر بـ "يوجا/ أي Yug بالإنجليزية". والعصور الأربعة هي كالتالي:

- ١- كريتا يوجا: أي العصر الأول، وكان الناس فيه على قدر من الاستقامة، والانسجام مع الحياة، وقد استمر فترة تقدر بـ ٧٢٨, ٠٠٠ سنة!
- ٢- ترتا يوجا: أي العصر الثاني. وفيه بدأ انهيار استقامة البشر.
- ٣- ديفار يوجا: أي العصر الثالث. وفيه دخل الشر إلى العالم.
- ٤- كالي يوجا: أي العصر الرابع. والذي بدأ من عام ٣١٠٢ قبل الميلاد، وسوف يستمر ٤٣٠, ٠٠٠ سنة، وسوف يشهد ازدياد الجوع، والخوف، والكوارث.

ويرى الدكتور إمام عبد الفتاح: "وكل عصر يقصر عن العصر الذي قبله، والعصور الأربعة تشكل ما يسمى "ماها - يوجا" وكل ألف «ماها - يوجا» تشكل "كولبا" الذي هو ليل ونهار واحد عند الإله الهندوسي "براهما" أو ما يعادل ٤, ٤٢٠, ٠٠٠, ٠٠٠ سنة من سنوات البشر! أما مصطلح "ماهي - برالايا" فهي تعنى الدمار الشامل للعالم عندما تتلاشى الآلهة مع البشر جميعاً. وهناك مصطلحات أخرى للعصور التي يمر بها العالم منها: جاهاناكا، كاهيتا، وسانهارا". (أ. د. إمام عبد الفتاح إمام، معجم ديانات وأساطير العالم، ص ٤٧٧: مكتبة مدبولي، ج. الكتاب الثالث). (ع.م).

مضى أصبح حديث الماضي ما فائدة في تذكاره؟ كل ما يمكن أن يحدث، أو يمكن للمرء أن يفعله، لا يمكن فعله إلا في المستقبل. وبادئ ذي بدء، إذا كان الأدب هو مرآة المجتمع، فليس لدينا أي أدبيات من هذا القبيل يمكن أن تثبت أننا كنا جيدين جداً في الماضي أو كنا على الصراط السوي المستقيم آنذاك الوقت، وبسبب تأثير "كالي يوجا" ودخولنا فيه، فإننا نتدهور في الوقت الحاضر. والواقع أننا في أيامنا هذه أصبحنا مدركين أكثر لقيمنا الأخلاقية وتحلى صلاحنا أكثر من الماضي، فلا داعي لأن نشعر بخيبة أمل أو إحباط.

ليس لغزاً واحداً، ولكن ملحقاً واحداً للألغاز الأربعة الأخيرة، والتي يُطلق عليه "لغز راما وكريشنا" اتخذ نقطة محورية القائمين بحركة المعارضة ضد هذا الكتاب. لم يفعل راما ولا كريشنا بسوء مع المؤلف بابا صاحب، وبالتالي كان أبوه رجلاً متديناً وذا طبيعة دينية عظيمة. وسبق له أن سمع الكثير من أساطير رامايانا ومهاباراتا عن أبيه عندما كان طفلاً، وعندما بلغ رشده وتسرب إلى ذهنه بعض الشكوك حول راما وكريشنا، أو نشأت بعض الارتباك في قلبه، أو نشأ بعض الألغاز فما الذي يمكن أن يفعله المؤلف بابا صاحب؟ فالصعوبات التي واجهها المؤلف يتمثل فيما يلي:

١- أنه من طعن "بالي" عن ظهره وقتله مختلفاً وراء غطاء شجرة لم يستطع أن يعتبر ذلك الشخص المسمى بـ "راما" إلهه المثالي.

٢. والذي قطع أخوه لاكشمان أنف وأذني "شوربانكا" لم يستطع اعتبار ذلك "راما" إلهه الرائع.

٣. ولم يستطع أن يعتبر إلهه الرائع المثالي ذلك "راما" الذي تخلى عن زوجته "سيتا" بالرغم أنها قامت بإثبات براءتها من تهمة الزنا مع رافانا - والذي اختطفها - حتى بعد اجتيازها "الاختبار بالنار" مرتين.

٤. لم يستطع اعتبار "راما" إلهه الرائع، والذي قتل شامبوك، الذي كان غارقاً في العبادة، ولم يك خطأه في نظر راما إلا أنه كان من الطبقة الدنيا المنبوذة، يحاول الاستغفار عن ذنبه ليدخل الجنة.

نشأت نفس المشكلة في ذهن المؤلف بخصوص اللورد "كريشنا" على النحو التالي:

١. ذلك "كريشنا"، الذي قتلت امرأة تدعى "بوتنا" في طفولته، لا يمكن أن يكون ذلك القاتل "إلهه".

٢. الشخص الذي يختطف ملابس فتيات رعاة البقر وهن ذهبن للاستحمام في نهر يامونا ويجبرهن على الخروج عراة لا يمكن أن يكون "ربه".

٣. "كريشنا" الذي تخلى عن زوجته "روكمني" وعاش مع زوجة رجل آخر المسماة بـ "رادها" لا يمكن أن يكون "ربه".

والحين لم يبق المؤلف بابا صاحب على قيد الحياة، وبالتالي كان صاحب عقلي منطقي، لو كان بيننا اليوم، لقال لمتقديه - "نحن نقبل "راما" و "كريشنا"، وإنما اعتراضنا على "راما" ذي الشخصية الخارقة و"كريشنا" كذلك. ولا نقول إلا أن تجردوا كل ما أورده فالميكى في كتابه "رامايانا" وبياس في "مهاباراتا" وما جاء في "بهاغافاد جيتا" من عادات خارقة ومسيئة لشخصية مثالية وأن تأتي بنسخ منقحة لكل الكتب... وهذا التعديل سيكون الشخصيتان تاج على رؤسنا، وسوف نرحب ترحيباً حاراً بهذا الجهد المشكور.

وكان هذا عملاً مهماً للغاية لخدم لصالح جيلنا القادم.

فكان المؤلف بابا صاحب ضد ذاك راما الخارق، وذاك كريشنا الخارق، ليس ضد راما العادي وكريشنا العادي!

خلال الحكم البريطاني كان هناك نوعان من الدوائر الانتخابية في بلادنا: دائرة المسلمين، وأخرى دائرة غير المسلمين، فما عدا المسلمين كل الهنود كانوا في دائرة "غير المسلمين"، في حين تقول الشيوعية: إن المجتمع بأكمله منقسم إلى طبقتين - الطبقة الرأسمالية والطبقة العاملة الفلاحية. ولأجل فهم المجتمع الهندي الحديث، ربما يكون من الضروري أن نقسم المجتمع بين فئتين:

(١) فئة هندوسية (٢) وأخرى غير هندوسية؛ فالهندوس يرى أن جميع غير الهندوس - سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو سيخ أو بارسيين أو جاينيين أو بوذيين - هم خصومهم وأعدائهم، وأنهم مهددون بكل من هؤلاء الملل. في

حين يرى غير الهندوسيين أن الهنادس لا يعاملون كل من خالفهم في ديانتهم بعدل، وأنهم يهربون من ظل أي شخص، ولا يلمسون أحداً، ولا يشربون الشاي والماء من أيدي الآخرين، ولا يتزوجون مع غيرهم.

واليوم هناك حاجة ماسة إلى أن يفهم كل من الهندوس وغير الهندوس بعضهم البعض. في لغة السياسة، بالطبع، الهندوس يكونون أغلبية ساحقة مقابل غير الهندوس، وأنهم في أقلية. ولكن إذا أخذ جميع غير الهندوس في الاعتبار تاريخهم ومعتقداتهم ومنظمتهم من وجهة نظر ليبرالية وحاولوا إيجاد حلول لمشاكل بعضهم البعض معاً، فلن يكون "الوعي المتزايد" للطبقة الأغلبية الهندوسية صحيحاً ولن يحتاج غير الهندوس إلى اعتبارهم أقلية مهددين من قبل الأغلبية الهندوسية.

أعتقد أن كتاب "ألغاز الديانة الهندوسية" لمؤلفه بابا صاحب عمل رائع لكل من الهندوس وغير الهندوس. كما يمكن للمرء أن يرى وجهه بوضوح في المرأة، فإن هذا الكتاب بالمثل سيكون بمثابة مرآة للأخوة الهندوس ولغير الهندوس أيضاً للحصول على مقدمة حقيقية للهندوسية، فمن النادر العثور على كتاب أكبر قيمة من كتابه هذا، وبه من المؤلف على الهنادس وغير الهنادس إذ وضع هذا الكتاب على حد سواء.

نحن جميعاً مدينون لحكومة ولاية مهاراشترا لأنها قررت نشر خطابات المؤلف بابا صاحب ونصومه بشكل دائم.

وبما أن هذا الكتاب أصلاً كان باللغة الإنجليزية، فلم يك ممكناً أن يصل الكتاب إلى عامة الناس، وبه رأينا نقل هذه الألغاز إلى العامة من الناس بإخراجه في ثوبه الجديد باللغة الهندية، لكن تم حذف الكثير من المقتطفات من النسخة الأصلية الإنجليزية، ولم يتم تضمين سوى أجزاء مهمة منها في الترجمة الهندية.

هذه الترجمة الهندية ليست مرهقة مثل الكتاب الإنجليزي الأصلي. وتبدو جميع فقراته صغيرة غير أنه تجد فرقاً ملحوظاً في جدية المشاعر.

كل أولئك الذين قدموا مساعدة كبيرة لتحمل عبء طباعة الكتاب، لكنهم رغبوا في ألا تذكر أسمائهم، فبدون الصراحة عن أسماء جميع المتبرعين الكرام أعرب لهم عن خالص امتناني وشكري وتقديري. وأتمنى أن يجزل المثلان لهم الأجر والثوبة بكونهم شركاء في هذا العمل المقدس الرائع.

**الدكتور بادانانت آنند كوساليان**

تحياتي

عيد ميلاد بوذا

١ / مايو ١٩٨٨ م

## مقدمة المؤلف

يكشف هذا الكتاب عن القناع المزيف للمعتقدات التي قدمها ما يمكن أن يدعى اللاهوت البراهماني. ويستهدف إلى لفت انتباه العامة من الهندوس الذين هم بحاجة إلى أن يستيقظوا من سباتهم العميق حتى يعرفوا ذلك المستتبع الذي أوقعهم فيه البراهمة كما يقودهم هذا الكتاب إلى الطريق للتفكير العقلاني.

لقد روَّج البراهمة رأياً خاطئاً بأن الحضارة الهندوسية تمثل (ساناتان) أي الديانة الأبدية، أي أنها لا تتغير. وتم تعزيز هذا الرأي من قبل العديد من العلماء الأوروبيين الذين قالوا إن الحضارة الهندوسية ثابتة. وقد حاولتُ في هذا الكتاب أن أبين أن هذا الرأي لا يتفق مع الحقائق، وأن المجتمع الهندوسي قد شهد تغيرات من وقت لآخر وأن هذا التغيير غالباً ما يكون من النوع الأكثر جذرية (راديكالية). وفي هذا السياق، قمتُ بمقارنة بين الأساطير من العنف إلى فلسفة اللاعنف ومن فلسفة اللاعنف مرة أخرى إلى العنف، أريد أن أجعل العامة من الهندوس يدركون أن الديانة الهندوسية ليست (ساناتان) أي الديانة الأبدية.

والغرض الثاني من هذا الكتاب هو لفت انتباه الجماهير الهندوسية إلى أجهزة البراهمة، وجعلهم يفكرون بأنفسهم كيف تم خداعهم وتضليلهم من قبل البراهمة.

ومن الملاحظ أن البراهمة قاموا بالتغيير الجذري في الديانة الأصيلة وقطعوا العامة من الناس عن طرقهم وأساليبهم القديمة.

وفي وقت من الأوقات كانوا يعبدون آلهة الفيديا. ثم جاء وقت تخلوا فيه عن آلهة الفيديا وبدأوا يعبدون الآلهة غير الفيديا. قد يسألهم المرء - أين إندرا، وأين فارونا، وأين براهما، وأين ميترا - هذه أسماء الآلهة المذكورة في الفيديا؟ لقد اختلفوا جميعاً. ولماذا، لأن عبادة الآلهة إندرا وفارونا وبراهما عندهم لم تعد مربحة. لم يقتصر الأمر على تخلي البراهمة عن آلهتهم الفيديا ولكن هناك أوضاع أو حالات قد أصبحوا فيها عبادة لأحد رئيس القبورين من المسلمين. ومن هذا المنطق، يجدر بنا الإشارة إلى حالة فاضحة أكثر؛ ففي منطقة كاليان بالقرب من مدينة بومباي من ولاية مهاراشترا، يوجد هناك ضريح شهير يسمى "باوا مالانجشاه" على قمة تل. وهو ضريح شهير جداً. وكل عام يقام فيه احتفال كبير يتم تقديم الهدايا والنذر من القرابين. والشخص الذي يؤدي مهام الضريح ككاهن هو أحد البراهمة، يجلس بالقرب منها، يرتدي ملابس المسلمين ويتلقى الأموال المقدمة إلى الضريح. وكل هذا لا يفعله إلا من أجل كسب المال. والبراهمة لا يهمهم إلا داكشينا (الأموال المقدمة في الأضحية) من

أي طريق يأتي، سواء وافقت الديانة أم لا! وفي الواقع، قد جعل البراهمة الدين مسألة تجارة وربح. وفي المقارنة بين عدم إيمان البراهمة مع إخلاص اليهود تجاه آلهتهم حتى عندما أجبرهم الفاتح (الملك) نبو خذ نصر اليهود على هجر دينهم القديم واعتناق (دينه الجديد).

وإن نبو خذ نصرَ الملك، صنع تمثالاً من ذهب طوله ستون ذراعاً وعرضه ستة أذرع، ونصبه في بقعة دُورا في ولاية بابل.

ثم أمر نبو خذ نصرَ الملك، ليجمع الأمراء والولاة والقادة والقضاة والخزنة والمستشارين وقادة الشرطة وكل حكام الولايات، ليأتو لتدشين التمثال الذي نصبه نبو خذ نصرَ الملك.

حينئذ اجتمع الأمراء والولاة والقادة والقضاة والخزنة والمستشارين وقادة الشرطة وكل حكام الولايات، ليأتو لتدشين التمثال الذي نصبه نبو خذ نصرَ الملك، ووقفوا أمام التمثال الذي نصبه نبو خذ نصرَ.

ونادى مُناد بشدة. "قد أمرتم أيها الشعوب والأمم والألسنة،

عندما تسمعون صوت القرن والنأي والعود والرّباب والسنطير والمزمار وكل أنواع الموسيقى، أن تحروا وتسجدوا لتمثال الذهب الذي نصبه نبو خذ نصر الملك".

ومن لا يخرّ ويسجد ففي تلك الساعة يُلقى في وسط أتون نار مُتقدمة.

لأجل ذلك وقتما سمع كل الشعوب صوت القرن والنَّاي والعُود والرَّبَاب  
والسنطير والمزمار وكل أنواع الموسيقى، خرَّ كل الشعوب والأمم والألسنة  
وسجدوا لتمثال الذهب الذي نصبه نبوخذ نصر الملك.

لأجل ذلك تقدم حينئذ رجال كلدانيون واشتكوا على اليهود،

أجابوا وقالوا للملك نبوخذ نصر: أيها الملك، عش إلى الأبد!

أنت أيُّها الملك قد أصدرت أمراً بأن كل إنسان يسمع صوت القرن والنَّاي  
والعُود والرَّبَاب والسنطير والمزمار وكل أنواع الموسيقى، يخرّ ويسجد لتمثال  
الذهب.

ومن لا يخرّ ويسجد ففي تلك الساعة يُلقى في وسط أتون نار مُتقددة.

يوجد رجال يهود، الذين وكلتهم على أعمال ولاية بابل: شدرخ، وميشخ،  
وعبد نغو. هولاء الرجال لم يجعلوا لك أيها الملك اعتباراً. أهلك لا يعبدون  
ولتمثال الذهب الذي نصبت لا يسجدون.

حينئذ أمر نبوخذ نصر بغضب وغيظ بإحضار شدرخ، وميشخ وعبد نغو.  
فأتوا بهولاء الرجال أمامه.

فأجاب نبوخذ نصر وقال لهم: تعمداً يا شدرخ، وميشخ وعبد نغو لا  
تعبدون آلهتي ولا تسجدون لتمثال الذهب الذي نصبت!

فإن كنتم الآن مستعدين عندما تسمعون صوت القرن والنَّاي والعود والرباب والسنتير والمزمار وكل أنواع الموسيقى إلى أن تحروا وتسجدوا للتمثال الذي عملته. وإن لم تسجدوا ففي تلك الساعة تُلقون في وسط أتون النار المتقدة. ومن هو الإله الذي ينقذكم من يدي؟

فأجاب شدرخ، وميشخ وعبد نغو، وقالوا للملك: يا نبوخذ نصر، لا يلزمنا أن نجيبك عن هذا الأمر. وإن كان هكذا يوجد إلهنا الذي نعبد، وهو يستطيع أن ينجينا من أتون النار المتقدة، وأن ينقذنا من يدك أيها الملك".

وإلا فليكن معلوماً لك أيها الملك، أننا لا نعبد آلهتك ولا نسجد لتمثال الذهب الذي نصبته.

حينئذ امتلأ نبوخذ نصر غيظاً وتغير منظر وجهه على شدرخ، وميشخ وعبد نغو، فأجاب وأمر بأن يوقد الأتون سبعة أضعاف أكثر مما كانت معتادة أن توقد.

وأمر جابرة القوة في جيشه بأن يشدوا وثاق شدرخ، وميشخ وعبد نغو، ويلقوهم في أتون النار المتقدة.

ثم أوثق هولاء الرجال في سراويلهم وأقمصتهم وأزديتهم ولباسهم وألقوا في وسط أتون النار المتقدة.

ولما كانت أوامر الملك شديدة، ونار الأتون قد اتقدت جدا، قتل لهيب النارُ الرجال الذين رفعوا شدرُخ، وميشخ وعبد نغو.

هؤلاء الثلاثة الرجال شدرُخ، وميشخ وعبد نغو، سقطوا موثقين في وسط أتون النار المتقدة.

فهل يمكن لبراهمة الهند أن يظهروا مثل هذا الإيـان الثابت والتماسك والإرتباط بآلهم وإيمانهم الديني؟

لقد كتب بكل في كتابه "تاريخ الحضارة":

"من الواضح أنه ما لم يبدأ الشك، كان التقدم مستحيلاً، كما رأينا بوضوح، ذلك أن تقدم الحضارة يعتمد فقط على ما حققه العقل البشري من مكتسبات، وعلى مدى انتشار هذه المكتسبات. لكن الرجال الذين يثقون تماماً في معرفتهم الخاصة لن يحاولوا أبداً زيادة تلك المعرفة. فالرجال الذين هم مقتنعين تماماً بدقة آرائهم لن يتحملوا ألم فحص الأساس الذي تم بناءهم عليه.

إنهم ينظرون بعجب، وفي كثير من الأحيان برعب، إلى وجهات نظر تتعارض مع تلك التي ورثوها من آبائهم؛ وبينما هم في هذه الحالة الذهنية، من المستحيل أن يتلقوا أي حقيقة جديدة تتعارض مع استنتاجاتهم السابقة.

ومن هذا المنطلق، فإنه على الرغم من أن اكتساب المعرفة الجديدة هو المبادرة الضرورية أو المهمة لكل خطوة ترقى إلى التقدم الاجتماعي، فإن هذا

الاكتساب في حد ذاته يجب أن يسبقه حب التحقيق، وبالتالي روح الشك؛ لأنه بدون شك لن يتحقق البحث والتحقيق، وبدون تحقيق لن تتحقق المعرفة والعلم. فالمعرفة ليست مبدأ خاملاً وسلبياً يأتي إلينا سواء أردنا ذلك أم لا؛ ولكن يجب السعي إلى تحقيقها قبل أن يتسنى الفوز بها؛ كما أن المعرفة هي نتاج عمل عظيم وعمل دوؤب وبالتالي يتطلب تضحية كبيرة.

ومن العبث أو السخف أن نفترض أن الناس سيتحملون العمل والمشاق، ويقدمون التضحية من أجل الموضوعات التي يحترمونها بالفعل. ومن الذين لا يشعرون بالظلام، لن يبحثوا عن النور أبداً. وعندما نكون قد وصلنا إلى درجة اليقين في نقطة ما، فلن نجري أي بحث وتحقيق آخر بشأن تلك النقطة؛ لأن التحقيق سيكون بدون جدوى، أو ربما يكون خطيراً. فيجب أن ينبت الشك قبل أن يبدأ التحقيق.

ومن هنا، يجب علينا أن نقوم الشك كمنشئ أو نشك في جميع الأحوال، وهذا أمر ضروري لكل من تقدم إلى الأمام."

من المعلوم أن البراهمة لم يتركوا أي مجال للشك، لأنهم قدموا عقيدة مؤذية للغاية وقد نشرها البراهمة بين عامة الناس والجماهير، وهذه العقيدة تمثل عصمة الفيذا. إذا توقف العقل الهندوسي عن النمو، وإذا أصبحت الحضارة والثقافة الهندوسية بركة راكدة ورائحة كريهة، فيجب إقلاع هذه العقيدة من جذورها وفروعها إذا أرادت الهند أن تتقدم وتزدهر.

أما الفيديات هي مجموعة من الكتب الأربعة، وهي لا قيمة لها. لا يوجد سبب إما لتسميتها مقدسة أو معصومة من الخطأ. لقد استثمرها البراهميون بالقداسية والعصمة فقط لأنه من خلال استيفاء لاحق لما يسمى "بروشا سوكتا"، جعلهم الفيديات أمراء الأرض أو سادة الأرض.

لم يكن لدى أحد الشجاعة للتساؤل عن سبب كون هذه الكتب التي لا قيمة لها والتي لا تحتوي إلا على استدعاء الآلهة القبلية لإزالة الأعداء ونهب ممتلكاتهم وإعطائها لأتباعهم، (أصبحت مقدسة ومعصومة من الخطأ)، لذلك لقد حان الوقت الذي يجب أن يتحرر فيه العقل الهندوسي من السيطرة والمعتقدات التي تحملها الأفكار السخيفة التي روجها البراهمة. وبدون هذا التحرير لا مستقبل للهند.

لقد اضطلعت بهذه المهمة وأنا أعلم جيداً ما هي المخاطر التي تنطوي عليها. وأنا لست خائفاً من العواقب. سأكون سعيداً إذا نجحت في إثارة الجماهير.

لقد تعهدت بالقيام بذلك جيداً وأنا أعلم أن هناك خطراً كبيراً في ذلك، لا يهمني النتائج، إذا كان بإمكانني إيقاظ الجمهور، سأكون سعيداً.

دكتور. بي. آر. أمبيدكر

## تأملات في السلطة البراهمنية

### نبذة عن الديانات

الهند هي بلاد القبائل والجماعات. يقطنها الفرس (المجوس) والمسيحيون والمسلمون والهندوس كذلك. لاتعتمد هذه الجماعات على أعراق متنوعة، ومن الواضح أن هذه انقسامات دينية. اللهم إلا أن وجود مثل هذا الاعتقاد لا يعني التعمق في أي شيء. والمهم هو لماذا يصبح مجوسي مجوسياً؟ والمسيحي مسيحياً؟ والمسلم مسلماً؟ والهندوسي هندوسياً؟ فيما يتعلق بالمجوس والمسيحيين والمسلمين، فليس من الصعب عليهم الإجابة على هذا السؤال. إن تسأل مجوسياً لماذا هو مجوسي؟ لن يجد صعوبة في الإجابة على هذا السؤال. سيقول إنه مجوسي لأنه من أتباع زرادشتا. اطرح نفس السؤال على أي مسيحي. هو أيضاً لن يجد صعوبة في الإجابة على هذا السؤال. إنه مسيحي لأنه يؤمن بالنبي عيسى (عليه السلام). واسأل كذلك مسلماً نفس السؤال. هو أيضاً لن يتردد في الإجابة على هذا السؤال. سيقول إنه يؤمن بالإسلام ولهذا فهو مسلم.

حاول الآن أن تطرح نفس السؤال على هندوسي. ليس هناك شك في أنه سيجد نفسه في مأزق كبير وزربعة من الحيرة سيكون محيرًا تمامًا. لأنه لا يعرف بماذا يجيب؟

إذا قال إنه هندوسي لأنه يعبد نفس الإله مثل جميع الهندوس الآخرين، فإن إجابته لا يمكن أن تكون صحيحة وصادقة. حيث لا تتفق كلمة الهنادس كلهم على الإيمان بإله واحد ولا يعبدون إلهًا واحدًا يتفق عليه الجميع. بعض الهندوس موحدون؛ يعبدون إلهًا واحدًا، والبعض الآخر لا يؤمنون بالعديد من الآلهة. ومنهم من يعبدون الإله "فيشنو". ومن يعبدون "شيفا"، ومن يعبدون "كريشنا". في حين أن البعض لا يؤمن بأي إله ذكّر وإنما يعبدون واحدة أو أخرى من الإلهات. والذين يؤمنون بالإلهات لا يعبدون إلهة واحدة وإنما يعبدون إلهات شتى؛ فالبعض يعبدون الإلهة "كالي"، والبعض يعبدون "بارفاتي"، والبعض يعبدون "لاكشمي".

وعلى سبيل المثال نأخذ المشركين المؤمنين بالعديد من الآلهة والإلهات؛ الذين يؤمنون بالعديد من الآلهة والإلهات ويعبدونها؛ فيعبدون "فيشنو"، و"شيفا"، و"راما"، و"كريشنا" كذلك من الآلهة... وبالتالي يعبدون الإلهات مثل "كالي" و"بارفاتي" و"لاكشمي" معًا! ويهتم الهندوسي بصوم "شيفاراتري" (ليلة شيفا) باعتبارها ليلة شيفا المقدسة، كما يصوم بمناسبة "إيكاداشي" لأنها يوم الإله "فيشنو" المقدس. ويقوم بزرع نبات

"بيل" لأنها شجرة شيفا المقدسة. ويزرع نبات "الريحان المقدس" لأنه من النباتات المفضلة لدى فيشنو.

والمشركون من الهنادس لا يعبدون سوى الآلهة والإلهات الهندوسية فحسب وإنما يعبدون الآلهة والإلهات المختلفة حتى من الديانات الأخرى أيضًا. حتى لا يتردد الهندوسي بعض الأحيان من عبادة المشائخ (المجاورين)<sup>(١)</sup> من عبادة القبور) المسلمين، كما لا يترددون حتى في عبادة آلهة المسيحيين، فقد يقصد آلاف من الهنادس بزيارة العديد من مقابر المشائخ المجاورين للقبور ويقدمون لها القرابين والنذر لهؤلاء المشائخ (بيران). في الواقع هناك بعض الأماكن التي يكون فيها المشائخ الهنادس هم المسؤولون لجميع الطقوس ويعملون باسم المسلمين التقليديين وأصلاً ينتمون إلى البراهمة ويرتدون زي المشائخ المسلمين. يذهب الآلاف من الهندوس لتقديم القرابين للإله المسيحي المسمى "مانتا مولي" بالقرب من مدين "مبهاي".

تتم عبادة الآلهة المسيحية أو إله المسلمين في أوقات خاصة، ويحافظ بعض الهندوس على علاقة ولاء أو ثق مع الأديان الأخرى أكثر من علاقتهم مع ألهتهم وإلههم. وهناك العديد من الهندوس الذين يتزعمون بأن ديانتهم تترج بشكل كبير مع الإسلام. ومن أبرز هؤلاء أتباع طائفة "فيشيترا باجشا بيريا". إنهم يعبدون خمسة من هؤلاء القديسين المسلمين، الذين لم يُعرف شيء عن

(١). المجاورين هم كهنة الأضرحة والقبور. (م.ع)

أسمائهم ولا عن شخصياتهم. يقدم هؤلاء الهنادس لهم القرابين حتى الدجاج، ولهذا العمل يتم استخدام درويش مسلم. كما يزور الهنادس "أضرحة الهنادس" من شتى أقطار الهند، وعلى سبيل المثال يعبدون الشيخ "سخي بير سرور في ولاية بنجاب.

خلال الحديث عن "مسلمي الملكانا" يقول السيد بلانت: إنهم جميعًا كانوا هنادس في الماضي وكانوا يقطنون مناطق "أجرا" والمناطق المجاورة مثل "ماتورا" و"إيتا" و"ماينبوري". وهم كانوا في السابق ينتمون إلى طبقة "راجبوت" و"جاتا" و"بانياس". إنهم لا يعرفون أنفسهم كمسلمين. في الأغلب لا يذكرون انتمائهم القديم كما لا يكادون يعرفون كلمة "ملكانا". أسمائهم تتشابه بأسماء الهنادس. ويزورون المعابد الهندوسية بين فينة وأخرى. وعندما يلتقيان فيما بينهم يقولون: "أما راما". يتزوجون فقط فيما بينهم. قلما يذهبون إلى المساجد. يختنون ويدفنون موتاهم في القبور، وإذا كانت هناك علاقة وثيقة تربطهم بالإسلام فإنهم يأكلون ويشربون مع المسلمين فقط.

هناك العديد من أمثال هذه الفئات يتواجدون في ولاية غوجارات، مثل "ماتيا كوني" الذين ينجزون مناسباتهم مثل الزواج على أيدي البراهمة وفقًا للطقوس الهندوسية. لكنهم من أتباع القديس بيران الإمام شاه، ويدفنون موتاهم مثل المسلمين. وهناك طبقة تُعرف بـ "أسرة شيوخداس" الذين يدعون في مناسباتهم مثل الزواج العلماء من المسلمين جنبًا إلى جنب مع الكهنة

البراهمين. و "أسرة مؤمن" يقومون بالختان، لكنهم يجرِّقون موتاهم ويقرؤون أيضًا القرآن المطبوع باللغة الغجراتية. ويعتمدون في أمورهم الأخرى على التقاليد والطقوس الهندوسية.

وإن قال الهندوسي إنني هندوسي بحكم أتبع المبادئ الهندوسية، فإن إجابته هذه أيضًا ليست بإجابة صحيحة. حقاً أن الوضع هنا مروع للغاية لدرجة أن الديانة الهندوسية ليس لديها أي مبادئ ثابتة خاصة بها، إلى تختلف مبادئ بعض المهنداس كثيرًا عن مبادئ المهنداس الآخرين إلى حدّ كبير، حتى أن هذا الاختلاف أكثر باختلاف مبادئ المسلم عن مبادئ المسيحي. وإذا قصرنا أنفسنا على عدد قليل من المبادئ الرئيسية في الديانة الهندوسية، فإن هذا القدر القليل من المبادئ الأساسية للمهنداس هي أيضًا متناقضة فيما بينها. يرى بعض المهنداس أنه يجب قبول جميع الكتب المقدسة الهندوسية. في حين يبطل البعض نصوص التانتراس الهندوسية. وبعضهم لا يقبلون سوى الفيدات، ويقول بعض المهنداس الآخرين لتبقى هندوسياً، يكفي أن تتبع مبدأ الكرمة (العمل) ومبادئ ما بعد الولادة.

والهندوسية هي ببساطة تطلق على مجموعة معقدة للغاية من المعتقدات والمبادئ. إنها تضم مجموعة مختلفة من الناس فمنهم المؤحدين، والمؤمنين بالعديد من الآلهة، والحلوليين، وكهنة الآلهة العظيمة مثل شيفا وفيشنو، وعبّاد زوجات هؤلاء الآلهة العظيمة، وعبّاد الأشجار، وعبّاد الصخور والأنهار،

وعُباد الآلهة الحارسين للقوى... وبالإضافة إلى هؤلاء الناس تضم الديانة الهندوسية الشرائح الآخرين من الذين يحاولون إرضاء آلهتهم بكل أنواع من التضحيات الدموية والقرايين، كما تضم هذه الديانة أناسًا لن يقتلوا أي مخلوق ولا يؤذونه بل لن ينطقوا حتى بكلمة "القتل" من أفواههم. ومنهم أناس لا تعد طقوسهم أكثر من صلوات وترانيم. ويشمل هذا الدين أشخاصًا ينغمسون في ممارسات لا تمت للدين بصلة. كما يتم احتساب العديد من هذه الطوائف المعادية للتقاليد البراهمة، وكثير منهم لا يقبلون إعطاء مكانة أعلى للبراهمين كما أن زعمائهم في الشؤون الدينية أيضًا ليسوا بالبراهمة.

وإن قال الهندوسي إنني هندوسي لأنني أتبع عادات وتقاليد الهنادس الآخرين، فإن إجابته هذه أيضًا غير صحيحة. حيث إن عادات جميع الهندوس ليست هي نفسها، بل هناك تنوعات وخلافات شائعة فيما بينها.

في شمال الهند، لا يمكن لذوي الأرحام المقربين الزواج فيما بينهم؛ ولكن في الجنوب يشرع الزواج من ابن عم (من قبل الأب) أو ابن عم (من قبل الأم) أو بنت عم كذلك. كما يحصل الزواج بعض الأحيان مع الأقارب وذوي الأرحام المقربين الآخرين الأكثر فيما بينهم. وبشكل عام، تُعطى عفة المرأة مكانة عالية في المجتمع الهندوسي، لكن البعض لا يوليها أهمية كبيرة، على الأقل إلى أن تتزوج الفتيات أو إلى أن يتم عقد قرانها. هناك أيضًا بعض الأشخاص الذين يتركون بعض بناتهم أو أخرى ليعشن حياة "ديفاداسية"

(عاهرة دينية). في بعض أجزاء البلاد، تتحرك النساء بحرية، وفي أجزاء أخرى يتعين عليهن أن يعشن محجبات. أحياناً ترتدي النساء الساري<sup>(١)</sup>، وأحياناً البيجامات أو السراويل.

ثم إن قال الهندوسي إنه هندوسي لأنه يؤمن بنظام الطبقات! فإن إجابته هذه أيضًا ليست مرضية تمامًا. صحيح أنه لا يوجد هندوسي تحت أديم السماء يأبه بما يؤمن به جاره وما لا يؤمن به. لكنه يكون قلقًا جدًا بشأن معرفة ما إذا كان جاره يستطيع شرب الماء من يده أم لا؟ هل يأكل من يده طعاما أم لا؟ هذا يعني أن الإيمان بالنظام الطبقي هو جزء أساسي من الديانة الهندوسية؛ فالرجل الذي لا ينتمي إلى أي طبقة محترمة ليس هندوسياً على الإطلاق. وبالرغم من سيادة النظام الطبقي في المجتمع الهندوسي وهيمنة تأثيره فيهم، والثوق به، لكن لا يمكن أن ننسى أن الإيمان بالطبقية فقط لا يكفي لكون المرء هندوسياً. حتى إن كثيرًا من المسلمين والمسيحيين، حتى لو لم يفعلوا ذلك بشأن الطعام، فإنهم يتبعون أيضًا نظام الطبقات في مسألة الزواج<sup>(٢)</sup>. لكن حتى لهذا السبب

(١) "ساري" هو ثوب نسائي ترتديه في الأغلب النساء الهندوسيات، اللهم إلا أنه في بعض الولايات الهندية ترتديها المسلمات والهندوسيات كذلك، خاصة في ولاية بيهار، وجاراكندا.

(٢) أي أنهم أيضًا يحاولون الزواج فيما بين طبقاتهم؛ يعني الأنصاري لا يزوج إلا مع الأنصاري، والخان لا يزوج إلا مع الخان، وكذلك السيد، والصدقي، والفئات الأخرى كلها تحاول الزواج في فئته، وهذه ممارسة مضادة قد يبررها بعض الناس بحكم "الكفو". لكن أهم شيء في هذا، هو أن النظام الطبقي لا يعود إلى العامل الديني، وإنما ساد هذا النظام على الأساس الاجتماعي، في حين أن للنظام الطبقي في المجتمع الهندوسي خلفية دينية، كما سبقت الإشارة

وحده لا يمكن تسميتهم هندوسًا، (أي تسمية المسلمين والمسيحيين بسبب التمييز الطبقي). يجب أن يحدث كلا الأمرين معًا؛ لا بُدَّ من أن يكون هندوسياً مع إيمانه بالنظام الطبقي (على غرار الهندوسية). الآن يطرح علينا نفس السؤال الرئيسي - أي من هو الهندوسي إذن؟ فقد رجعنا من حيث بدأنا!

أليس هذا السؤال مثيرًا للغاية بالنسبة لكل هندوسي، وهو لماذا موقفه مضطرب جدًا فيما يتعلق بدينه؟ مع أن هذا السؤال بسيط للغاية للآخرين للمجوس، والمسيحي والمسلم، يمكنهم الإجابة بكل سهولة! لكن لماذا لا يستطيع الهندوسي وحده الإجابة على هذا السؤال؟ ألم يكن الوقت بعدُ بشكل ضروري أن يسأل نفسه سؤالاً عن الأسباب التي أدت إلى هذا الاحتمال الماكر؟

فيما سبق، وأن المسلمين لا يفرقون بين طائفة وأخرى إلا في مسألة الزواج، لا في الطعام، والشراب والممارسات الاجتماعية الأخرى، ربما يعود السبب إلى مسألة الكفو تحت التأثير المذهب الحنفي الذي يشترط مساواة الكفو في الزواج، والمذهب الحنفي له أثر كبير في مسلمي الهند، إذ كان معظم الحكام المسلمين خاصة المغول منهم ينتمون إلى المذهب الحنفي، والناس على دين ملوكهم. (م.ع.).

## نشأة الفيدات

لا يكون هناك هندوسي لا يعتبر الفيدات من أقدس الكتب والصحائف الدينية. ولئن سألت أي هندوسي عن أصل الفيدات ونشأتها، فمن الصعب أن تجد هندوسياً يمكنه تقديم إجابة محددة وحقيقية على هذا السؤال البسيط. ولكن إذا تم طرح نفس السؤال على أي من براهمين فيدي، فستكون إجابته: أن الفيدات هي (سناتنا) أي أبدية. ولكنها ليست بإجابة دقيقة على ذلك السؤال. ثم على المرء أن يسأل ما معنى سناتنا أي الأبدية؟ وقد ورد أفضل تفسير لـ "المذهب السناتني" في تعليق العالم الهندوسي كُلو باتيه، على الآيتين ٢٢ و ٢٣ من الفصل الأول من كتاب "مانو اسمرتي". فيما يتعلق بكلمة "سناتنا"، يقول كُلو باتيه: إن كلمة "سناتنا" تعني "الحاضر دائماً" أو الموجود من الأزل. يعترف مانو بمبدأ القيمة الإنسانية للفيدات. تم حفظ الفيدات التي كانت موجودة في فترة "كالبا السابقة" في ذكرى البراهما صاحب المعرفة الكلية. كان "البراهما" و "باراميشفارا" واحداً. في بداية فترة "كالبا" تم تكوين الفيدات من النار أي آكني، وفايو أي الهواء، وسوريا أي الشمس. إن هذا الاعتقاد بخصوص الفيدات لا يمكن أن يكون باطلاً بأي شكل من الأشكال.

فمن أقوال الفيدات نفسها أن آكني أي النار هي أصل "ريجفيدا"، والهواء (فايو) هو أصل يجور فيدا، وسوريه أي الشمس هي أصل "ساما فيدا".

لأجل الوصول إلى مقصود "كَلُّو باتيه" يجب أن نفهم أولاً ما هو المقصود بـ "كالبا"؟ إن "كالبا" هو حساب الوقت الذي يقبله البراهمين الفيدي. قسم البراهمة الوقت إلى خمسة أجزاء- فارشا أي السنة، ٢. يوجا، ٣. مهايوجا، ٤. مانفانتارا، ٥. كالبا.<sup>(١)</sup>

معنى "فارشا" العام هو "السنة". كما أنه يكون مرادفًا لـ "الوقت". اللهم إلا أنه لا يوجد إجماع حول المعنى الدقيق لـ "يوجا" أي العصر. وأما "مها يوجا" فهي تعني مجموعة من أربعة عصور أو أعمار: ١. "كريتا" (= السبت)، ٢. "تريتا"، ٣. "دفابارا"، ٤. و"كالي". العصور الأربعة تتبع بعضها البعض مثل عجلات الدراجة. وعندما ينتهي أحد يوجا أي العصر، يتبعه يوجا التالي أي عصرًا تاليًا وفقًا للتسلسل المحدد. وعند اكتمال الدورة، تكتمل "مهايوجا"، ثم تبتدأ فترة "مهايوجا" الثانية، ويكون رأس كل مهايوجا "كريتا يوجا" وآخرها "كالي يوجا".

لا يبدو شيء يشك به من وجهة نظر علاقة الزمن بين "مهايوجا" و"كالبا".

(١). قد سوف يأتي البيان عن هذه الفترات لاحقًا بالتفصيل. (م.ع.)

يكون نحو ٧١ مها يوجا "كالبا واحداً"، غير أنه هناك بعض الشكوك واللايقين في العلاقة بين مهايوجا ومانفانتارا من حيث التوقيت الزمني. حيث تحتوي مدة "مانفانتارا" واحدة على ٧١ (واحد وسبعون) مها يوجا، وعلى أشياء أخرى. ولم يرد في أي مكان في نصوص البراهمة ما معنى هذه "الأشياء الأخرى"؟ ومن هنا تبدو العلاقة بين مانفانتارا وكالبا من حيث الوقت غير واضحة تمامًا. والسؤال القابل للنقاش الآن أمام من وجهة نظر الوقت، لا يهم لنا هذه العلاقة بين مانفانتارا وكالبا بشيء. في هذا الوقت يكفي أن نفكر في "كالبا" وحدها. والاعتقاد فيما يتعلق بـ "كالبا" يدور حول صنع العالم، وخرابه بشكل وثيق. ويعني "صنع العالم" هو خلق الكون، وخرابه يسمى بـ "القيامة". الوقت بين الخلق والقيامة يسمى "كالبا". وهكذا يرتبط مفهوم أصل الفيدا ارتباطاً وثيقاً بمفهوم "كالبا".

وفقاً لنظام الفكر هذا، مها يحدث أمراً إنها يحدث وفقاً لهذا النظام؛ فعندما تبدأ فترة "كالبا" يبدأ خلق الكون، وعندما يبدأ خلق الكون في اللحظة نفسها يتم ظهور نسخة جديدة من الفيدا إلى حيز الوجود. يريد "كلّو باتيه" أن يقول: إنه على الرغم من أنه وفقاً لوجهة نظر أن لكل "كالبا جديد" يكون فيدا جديد خاص به، غير أنه هي نفس الفيدا القديمة التي كانت موجودة من قبل، نعم يتم تقديمها من جديد بواسطة البراهما (أو الإله الأكبر) بعد نزولها من ذاكرته القوية. وبنفس المعنى يقول أن الفيدات هي أبدية، أي موجودة مسبقاً دائماً.

يقول كُلو باتيه: إن الفيذا تم تقديمها من الذاكرة الربانية (أي وحي منزل من البراهما). والسؤال ليس من قَدّم أو أنزل الفيذات؟ وإنما السؤال هو لمن أبدعها أو كتبها؟ حتى لو قبلنا تقديم الفيذات من جديد في بداية كل "كالبا"، يبقى السؤال حول من قام بكتابة الفيذا لأول مرة في بداية "كالبا" الأولى؟ لم تكن الفيذات لتوجد ببساطة بسبب النقص. سيكون لديها بداية، حتى لو لم يكن لها نهاية. لماذا لا يحل البراهمة هذه الشكوك علانية؟ لماذا كل هذا التلاعب بالكلمات؟

## نظرة أكاديمية على الفيدات

(١)

يمكننا أن نبدأ البحث عن أصل الفيدات منطلقين من بداية الفيدات نفسها. يطرح "ريجفيدا" نظرية حول أصل الفيدات. تم تضمين هذه النظرية في الترنيمة الشهيرة. ووفقاً لهذه النظرية قام أحد المخلوقين يُدعى "بوروشا" بقيام عبادة النار أي "ياغيه" ملفقة، وأنجبت هذه الياغيه الفيدات الثلاثة المسماة بـ "ريجا"، و"يجورا"، و"ساما".

لا نجد حتى كلمة واحدة عن أصل الفيدات في "ساما فيدا"، ولا "يجورفيدا"، وبقي الآن "أترفيدا" الكتاب الآخر ليقول شيئاً عن أصل الفيدا. هناك العديد من المعتقدات في "أترافيدا" فيما يتعلق بأصل الفيدات على النحو التالي:

هناك اعتقاد يقول "إن" كال" هو الذي أنجب "تعويدات ريجفيدا". وأنجبت هذه التعويدات "يجورا فيدا". ونشأت "يجورفيدا" من الكال. وهناك نوعان من وجهات النظر في "أترافيدا" بخصوص أصل الفيدات. والرأي الأول منها غير واضح تماماً، حيث جاءت قصته على النحو التالي:

"أخبرني، أي رُكن من الأركان تمخض عنها معتمدًا عليه كل من "جماعة الآلهة من الحكماء"، و"ريجو"، و"ساما"، و"يجورفيدا"، والأرض والحكيم؟ أخبرني ما هو العماد الذي يتم به الانفصال عنه تعويدات ريجو فيدا، والتي تفصل بها يجورفيدا، ويعتبر بها تراويل ساما فيدا خلفاؤها، وتعتبر تراويل "أترا"، و"آكني راسا" أفواهما.

من الواضح أن هذا البيان هو تنفيذ لأي اعتقاد من هذا القبيل يحاول إثبات أن ريجيفيدا، ويجورفيدا، وساما فيدا نشأت من عمود واحد أو ركن واحد.

وفقًا للرأي الثاني الوارد في أترافيدا، إن المنشئ الحقيقي للفيدات هو "إندرا".

## (٢)

هذا هو القدر الوارد من البيانات في الفيدات التي تخبرنا عن أصلها ومبدأها. وبعد الفيدات يأتي رقم "نصوص البراهمين" على المركز الثاني. هيا نعرف ما هو بيان نصوص البراهمة في هذا الخصوص؟ فالدراسة تشير إلى أنه لا يوجد سوى أربعة نصوص البراهمة تحاول تفسير أصل الفيدات: (١) ساتباثا براهمين، (٢) تايتريا براهمين، (٣) إيتريا براهمين، (٤) كوشيتاكي براهمين.

تم تقديم تفسيرات مختلفة في "ساتاباثا براهمين" لأصل الفيدات، ووفقاً لتفسير أن الفيدات نشأت من يد "براجاباتي"، والذي يقول:

"وقد أتى على الكون حين من الدهر كان "براجاباتي" هو الوجود الوحيد فيه، بل كان هو الكائن الوحيد في هذا العالم، وقد تمنى ذات مرة - يجب أن أتحقق وجودي بشكل موسّع أكثر، فقام بالتعبّد بكل إخلاص وتفانٍ، والمجاهدة كذلك... وعندما قام بمجاهدة جبارة كهذه، وتعبّد بتفانٍ فتمخّصت ثلاثة عوالم جراء ذلك، وهي: الأرض، والهواء، والسماء. وقدمت براجاباتي حرارة لهذه العوالم الثلاثة. وبعد أن بلغت حرارتها إلى درجة مرضاةٍ ظهرت ثلاثة أنواع من الأضواء من تلك العوالم الثلاثة: المطهّر، والنار، والرياح أو الهواء والشمس. وعندما لحقت الحرارة والسخونة لهذه الأضواء الثلاثة ولدت منها ثلاثة فيدات؛ "ريجفيدا" من النار، و"يجورفيدا" من الهواء أو الرياح، و"سامافيدا" من سوربه أي الشمس. وعندما لحقت الحرارة والسخونة بالفيدات نشأت منها ثلاثة جوهرات ضوئية؛ "بهوه" من ريجفيدا، و"بوفاه" من يجورفيدا، و"سفاه" من "سامافيدا". هذا هو السبب في ارتباط أدهفاريو بريجفيدا، وترتبط أدجاتا بـ يجورفيدا، وأصل عمل البراهما هو جوهر الضوء الناشئ عن الجوهر المشترك للفيدات الثلاثة.

هناك أيضًا تفسير آخر في "ساتباثا براهمين" نفسه فيما يتعلق بمسألة أصل الفيدات ومنشأها من "براجباتي" والذي يفيد بأن براجاباتي هو الذي خلق الفيدات من الماء. وعلى حدّ تعبير "ساتباثا براهمين":

"تمنى بروشا براجاباتي ذلك أن يصبح أكثر من واحد وأن يتم توسيعي. فقام بالرياضة والمجاهدة، والشراذه، أي الإجلال والتبجيل، وبعمله هذا قام أولاً بإنشاء جميع معارف الفيدات الثلاثة. وأصبح هذا العلم المقدس أو المعرفة المقدسة أساساً له، ومن ثم يقول الناس أن المعرفة الصادقة الأصيلة هي أساس الكون. ومنذ ذلك الحين فصاعداً تعتبر معرفة الفيدات هي أساس الوجود الإنساني، لأن المعرفة المقدسة هي ركنه الذي يأوي إليه الإنسان. وعلى هذا الأساس قام بالرياضة والمجاهدة، وخلق آب أي الماء من الكلمة<sup>(١)</sup>، وكانت كلمته هي "صوته" والذي حصل وجوده من قبل، وبما أن صوته كان منتشرًا ومن ثم سمي بـ "أب"، لأنه غطّى الأشياء جُلّها وكُلّها، ولذلك أطلق على الماء اسم "فار". ثم تمنى أن أنتشر في هذه المياه بشكل شامل. ومن هنا دخل المياه مع هذا علوم الفيدات الثلاثة وتلاشى فيها. فخرج منه "بيضة"، ثم دفع تلك البيضة وحضّنها وقال: دعي تحدث ودعيها تحدث، ثم دعيها تحدث. من ذلك نشأت المعرفة المقدسة الأولى! علوم الفيدات الثلاثة. وعلى هذا الأساس يقول الناس أن المعرفة المقدسة نشأت في العالم. بصرف النظر عن هذا، كانت المعرفة

(١). ربما فيه إشارة إلى كلمة "كُن" فيكون.

المقدسة التي انبثقت من عضو البروشا الأمامي أي من وجه ذاك البروشا<sup>(١)</sup> أي الرجل العظيم، وظهرت هذه المعرفة في شكل وجهه. لذلك يقال لرجل يتضلع بعلوم الفيدات إنه كالنار، لأن المعرفة المقدسة نشأت من النار!

تم تقديم تفسير ثالث في "ساتباثا براهمين" نفسها على النحو الآتي:

"سأجعلك تجلس على كرسي البحر".

"العقل هو المحيط. وقد حفر الآلهة معرفة الفيدات ثلاثية الاتجاهات بمساعدة مجرفة في شكل الصوت من محيط العقل. ومن ثم نزل هذا المانترا: "يجب أن يعرف هذا الإله الشبيه بالضوء هذا اليوم موضع الاحتفاظ بالهدية التي حفرتها الآلهة بمجرفة حادة من عقل المحيط. "الصوت" هو "المجرفة الحادة". ومعرفة الفيدات الثلاثة هي الهدية. وقد وردت هذه الترنيمة بهذا الخصوص، والتي تحفظها ثابتة في الذاكرة.

تم التعبير عن ثلاث وجهات نظر بهذا الخصوص في "تيتاريا براهمين"، ومن إحدى وجهاته نظره أن براجاباتي هو وراء نشأة الفيدات ووجودها. كما يقول: إن براجاباتي خلق سوما وبعد ذلك وُلدت الفيدات الثلاثة. ثم ذُكر هناك رأي آخر في هذا "النص البراهماني" والذي لا علاقة له بـ براجاباتي فيما يتعلق بأصل الفيدات ونشأتها.

(١). بروشا معناه الرجل العظيم أو الرجل العادي. (م.ع.)

الكلام غير فانٍ وإنما سيبقى للأبد. وهو أول مولود في هذا الكون. وهو منشأ الفيدات وأمها. وهو مركز الخلود. وجاء في ياغيه راضياً مرضياً عنا. لندعو أن تكون ربتنا الراعية المحافظة بنا حاضرةً لاستماع نداءنا واستجابة دعواتنا. هذا هو الكلام الذي كان يبحث عنه العلماء من الحكماء، الذين ألقوا نصوص الفيدات وتراتيلها، وقامت بها الآلهة بالمجاهدة، ومن خلال التكفير عن الذنب والإخلاص ظلوا يبحثون عنه.

فوق كل هذا هناك تفسير أساسي ثالث ورد في "تيتاريا براهمين"، الذي يفيد بأن الفيدات نشأت من لحية "براجاباتي".

### (٣)

كما عبّرت الأوبنشادات عن رأيها حول أصل الفيدات. والتفسير الوارد بخصوص أصل الفيدات في "تشانديوجا أوبانيشادا" هو نفس التفسير الوارد في "ساتباثا براهمين" القائل إن ريجفيدا نشأت من النار، ويجورفيدا من الكلام، وساما فيدا من الشمس.

في "براهادرايناكا أوبانيشادا" تم شرح هذه المسألة بطريقتين اثنتين. فقد جاء في موضعٍ أنه كما تخرج شتى أنواع من الدخان بحرق الخشب المبلل، وعلى نفس الشاكلة خرج كل شيءٍ من نفسِ هذا الرجل العظيم: فكل من "ريجفيدا"، و"يجورفيدا"، و"سامفيدا"، و"أرثا فيدا"، و"التاريخ"، وعلوم البوراناس"، و"الأوبانيشادات"، و"اشلوكاس أي الآيات"، "سوتراس" أي

النصوص، و"التعليقات المعنية". وتمخضت كل هذه الأشياء عن أنفاس ذاك "الإله الأسمى". وقد جاء شرحه في موضع آخر حيث يقول: إن براجاباتي (ياما راجا) هو الذي خلق الكلام، من خلاله خلق الأشياء كلها بما في ذلك الروح، والفييدات كذلك.

"بهذا الكلام والروح، خلق براجاباتي كل الأشياء من ريجفيدا، ومجورفيدا، وسامافيدا، وتشانداسا، وياغيه، ومخلوقات وحيوانات كثيرة."

"والفييدات الثلاثة هنا أصلا ثلاثة أشياء؛ الكلام (أي الصوت)، والعقل، والنفس. فنشأت "ريجفيدا" من كلامه، و"ميجورفيدا" من العقل، و"سامافيدا" من النفس.

#### (٤)

والآن لندرس "اسمريتياس" لأجل التوصل إلى أصل الفييدات. هناك نوعان من وجهات النظر فيما يتعلق بأصل الفييدات المذكورة في "مانوسمريتتي". فقد جاء في موضع "أن الفييدات نشأت من البراهما".

"في البداية خلق البراهما العديد من الأسماء والأفعال والمواقف لجميع الكائنات من كلمات الفييدات. وهو الذي خلق الآلهة الحية بعمله اللطيف. خلقت الموارد. كما خلق ياغياس اللانهائية ومن أجل ترسيم قواعد الياغياس

قام بتأليف الفيدات الثلاثة المسماة بـ ريجوفيدا، ويجورفيدا وسامافيدا من النار، والهواء، والشمس بالتوالي.

وفي موضع آخر يبدو أن الاسمريتاس تعترف بنظرية كون البراهما منشئ الفيدات، كما يدل عليه الاقتباس التالي:

"فقد تلفظ براجاباتي بـ "أ" أي الفتحة، و"أو" أي الضمة، و"ما" أي ميم، بالإضافة إلى كلمات ثلاثة أخرى وهي: "بهوه"، و"بهوفاه"، و"سفاه"، وقامت هذه المواد الرئيسية بإنشاء جزء من الأجزاء الثلاثة بأصلها، يطلق عليها بـ سافيتري أو جياتري، ويبدأ بـ "التات"، من العناصر الثلاثة غير القابلة للفناء (بهوه، وبهوفاه، وسفاه) التي تأتي في مستهلها "أوم" ويعتبر تراثيل (مانتراس) جياتري ذات الأسطر الثلاثة، بمثابة وجه البراهما.

### (٥)

ومهما يكن من آراء البوراناس بخصوص أصل الفيدات، فهو مثير للاهتمام أيضًا. فمن أقوال فيشنو بورانا:

"قام البراهما، مع فمه المواجه للشرق، بتأليف غياتري، و تراثيل ريجفيدا، وتريفريت، وسومارتانتار، وياغيراتا أجنيستوم. ومن فمه المواجه للجنوب قام بتأليف بتراثيل يجورفيدا، وتريشتوبا تشانداس، واستوتراس الخمسة حتى

العشرة، وفيروبا، وآتياراترا. ومن فمه المواجه للشمال قام بتأليف "آيات إكفينشا فيجا". كما يقول بهاغافاد بورانا:

"نشأت ذات مرة الفيدات من وجوه أربعة للبراهما. في ذلك الوقت كان يفكر كيف سأخلق العالم كله كالسابق؟ عندئذ ابتكر ريجا، ويجورا، وساما، وأترا ب فمه المواجه للشرق وبأفواه الأخرى. ومع ذلك شرع التساييح والصلاة ومكفريات الذنوب والمعاصي".

"بدخوله في عينيه ولدت منه روح رباعية، كانت من الجنس الذكوري. وكان هذا البروشا أي الرجل مضيئاً مثل الكون أو "البراهما"، لا يمكن رؤيته، وكان أزلياً لانهاية له، وخالياً من الحواس أو الصفات الجسدية، وكان مضيئاً جداً، ونظيفاً ونقياً مثل أشعة القمر، كان متوهجاً وخالياً من الألوان. قام الرجل الأول<sup>(١)</sup> بتأليف "ريجفيدا"، و"يجورفيدا"، من أعينه، و"ساما فيدا" من مؤخر لسانه، و"أترافيدا" من رأسه. وبمجرد ظهور هذه الفيدات، فإنها تصل إلى جهاتها المنشودة، ومن ثم يمكنهم الحصول على أشكالها الخاصة من الفيدات، ثم تؤدي هذه الفيدات إلى ظهور البراهما الأبدي، وبه يحصل مخاض رجل إلهي يتمتع بصفات عقله الخاص.

كما تعتبر هذه البوراناس براجاباتي كأصل الفيدات ومنشئ لها. حيث ترى أنه عندما كان الرجل الأول مهتماً بخلق العالم، كان في مرحلة "هيرانيا غاربا"

(١). كأنه يشير إلى آدم عليه السلام (م.ع.).

أو "حمل الضبي". فتلفظ براجاباتي بكلمة "أوما" من فمه. كان يحاول أن يجزأ نفسه ويقسمه لكنه لا يعرف الطريق المناسب لإنجاز هذه المهمة، ولم يكن هذا واضحًا بالنسبة للبراهما.

يقول "هريفانشا بورانا":

"وبينما كان البراهما متأملًا ومستغرقًا في همّه هكذا إذ خرجت خمس كلمة "أوما" من فمه. وتردد صدى الكلمة هذه في الأرض والهواء والسماء. وفي حينٍ عندما كان "ديفادي ديفا" ينطق هذه الكلمات مرات وكرات إذ خرج من قلبه "فاشكارا" ياغيه، فقد تم Devadhivev ينطق بهذه الكلمة مرارًا وتكرارًا، خرج Vashtkara من قلبه. ثم تم إنشاء الأرض والهواء والسماء في شكل كلمات ثلاثة (بهو، بهوفاه، وسفاه)، وقد تم خلقها من مها-اسمريتيا. ثم ظهرت الإلهة أفضل الآيات "جاياتري" المكونة من ٢٤ حرفًا. وبالنظر إلى بداية الجذر بكلمة "تات"، قام الرجل الأول بتأليف "جاياتري". بعد ذلك قام بتأليف ريجفيدا، ويجور فيدا، وسامافيدا وأترافيدا أي الفيدات بأسرها مع ترانيمها وتراتيلها وطقوسها وصلواتها.

ومن المعلومات المذكورة أعلاها يحصل لنا أحد عشر رأيًا مختلفًا بشأن أصل الفيدات على النحو التالي:

(١) أنها نشأت من قرابين الرجل الأول أي من الياغيه الذي قام به

البوروشا.

- (٢) أنها تستند على سكاندا أو العمود.
- (٣) يرجع أصله إلى شعر البراهما الذي تم قطعه وأخذه منه أو إلى فمه.
- (٤) وأنها نشأت أصلاً من إندرا أي الحواس.
- (٥) أو أنها نشأت من "كالالا" الزمن.
- (٦) وأنها نشأت من النار والهواء والشمس.
- (٧) وأنها نشأت من براجاباتي والماء.
- (٨) وأنها نشأت من أنفاس براهما فقط.
- (٩) وتم الحصول عليها بعد المحيط في شكل "ماناس" من المحيط من قبل الآلهة.
- (١٠) نشأت الفيدات من شعر لحية براجاباتي.
- (١١) تم إنجابها من اكلام براجاباتي أو صوته.
- يا ترى الكثير من الإجابات المحيرة لسؤال واحد! يبدو أن الذين قدموا العديد من الإجابات المختلفة هذه ربما كانوا جميعاً من طبقة البراهمين. وكانوا جميعاً من أنصار نفس مدرسة الفكر الفيديّة. كان منطق الفيدات القديمة آمنة في أيدي البراهمة فحسب!

ومن ثم لدينا فضول طبيعي يتمثل في سؤال بسيط - ما هو أصل الفيدات؟ لماذا نجد العديد من الإجابات المحيرة المختلفة المتناقضة فيما بينها ولا سبيل للتوافق فيما بينها؟

## الفيدات مجترحة للمعجزات

إن القول بأن الفيدات تحتل مكانة عالية جدًا في الأدب الديني للهندوس ليس بأمر كبير. كما لا غرو في القول بأن الفيدات بصرف النظر عن كونها أدبًا دينيًا للهنداس هي نصوص مصادق عليها، ولا يمكن التشكيك في صحتها! لا يمكن أن يكون هناك شيء غير صالح في الفيدات، والمنطق الذي تقوم عليه الفيدات هي نهائية، لا يتم تقديم أي شيء بين يديها، لا يمكن أن يقوم ضدها مرافعة، ولا دليل، ولا مناشدة، ولا محامي! هذا هو الاعتقاد العام السائد في المجتمع بخصوص الفيدات البراهمنية، ومقبول بشكل عام من قبل جميع الهنداس.

### (١)

ما هو أساس هذه النظرية؟ إن أساس هذه النظرية هو الرأي القائل بأن الفيدات هي مجترحة للمعجزات وخارقة للطبيعة. وعندما يقول البراهمة الفيديون: إن الفيدات هي مجترحة للمعجزات فمرادهم أن الفيدات ليست من صنع أي رجل. لأنها ليست من صنع البشر أصلًا، لذلك لم يتسرب إليها مثل هذه العيوب المتواجدة في صنع البشر، ولا يوجد فيها شيء من النقصان من

هذا القبيل، ولا يوجد ضعفٌ كهذا ... ومن ثم تخلو الفيدات عن كل خطأ قد يتسرب إلى عمل بشري.

## (٢)

من الصعب جداً أن نفهم كيف سمح البراهميون الفيديون لمثل هذه النظريات أن تنتشر وتسد في المجتمع؟ لأنه كان هناك وقت، إذ كان لدى البراهمة الفيديين وجهات نظر حول أصالة الفيدات التي كانت تختلف عن آرائهم المذكورة أعلاها بأنها تفوق كل المعايير والأخطاء أو الزلات البشرية. إن هؤلاء البراهمة الفيديين ليسوا سوى المبدعين للعديد من النصوص الدينية وسوترا الديانة الهندوسية.

وعلى سبيل المثال نبدأ الحديث بـ "غوتما دراما سوترا" نفسها، بخصوص مسألة أصالة الفيدات. وقد وضع "غوتما دراما سوترا" الحدود التالية فيما يتعلق بأصالة الفيدات على النحو الآتي:

(١) الفيدات هي مخزن المعرفة المقدسة.

(٢) سلوك وتقاليد علماء يعرفون الفيدات.

(٣) في حالة وجود التعارض بين الأحكام يجوز للمرء إتباع أي سلوك أو

رأي حسب رغبته.

❁ **وجهة نظر فاشيشت دراما سوترا:**

(١) يتم تحديد المعرفة المقدسة من خلال الفيدات وسلوك حكمائها المعروفين.

(٢) إذا لم يتم تحقيق التوجيه الكامل المنشود من كلا المصدرين؛ فإن سلوك السادة يعتبر صحيحًا وحكمًا صائبًا. وقد ذكر رأى البوذيان (السؤال الأول، الباب الأول، العبارة الأولى) على النحو التالي:

(١) تتوفر المعرفة المقدسة في كل الفيدات.

(٢) سوف نحكم وفقًا لتلك المعارف.

(٣) ثم تأتي درجة المعرفة الواردة في اسمريتياس؟

(٤) ويحتل سلوك السادة على المركز الثالث.

(٥) وإن بقيت أي قضية غير حاسمة، يجب أن يحكم في مثل هذه القضايا اجتماع يحضره على الأقل عشرة رجال.

في حين تتضح وجهة نظر "آبستامبا دراما سوترا" من اقتباسات السوترا التالية الواردة فيها على النحو التالي:

"سوف نشير الآن إلى تلك الأعمال الفاضلة التي هي جزء من الحياة اليومية."

"الموافقة على هذه الواجبات هو إثبات لمن لديه معرفة بالاسمريتياس."

"والفيدات هي الدليل الوحيد لأولئك العارفين."

(٣)

لم يهتم "فاشيشتا دراما سوترا" بتعريف كلمة "الفضيلة" أي "فاشيشتا" وإنما اعتنى بها "بوذيان دراما سوترا" كذلك، واهتم بتعريف الفضيلة على النحو الآتي:

نورد مقتطفات من اقتباسات "فاشيشتا دراما سوترا" فيما يلي:

"الرجل المتحرر من الشهوة هو صاحب خلق حسن."

يعطي بوذيان مزيداً من التفاصيل حول محاسن الفضيلة؛ حيث يرى:

"الصالحون هم الذين تحرروا من الحسد والضغينة، والمتحررون من الأنانية، والمقتنعين بما يكفي من الحبوب لمدة عشرة أيام، والمتحررين من الشهوة، والمتحررين من التظاهر والسمعة، والمتحررون من الكبرياء، والمتحررون من الجشع، والمتحررون من الالتباس، والغضب كذلك".

"أولئك الذين درسوا الفيدات وتعليقاتهم وفقاً للقانون المقدس، والذين يعرفون كيفية استخلاص النتائج منها ويمكنهم تقديم أدلة واضحة منها، يطلق على مثل هؤلاء الأفاضل "شيشتاس".

والتجمع الذي يحضره عشر رجال وتم قبوله من قبل بوذيان كدليل في

الحكم على القضاء غير الحاسمة. يجب أن نعرف عن ميزات هؤلاء الرجال:

"الآن ينقلون هذه الآية، التي تعني بأنه " أربعة أشخاص يعرف كل منهم عن كل فيد، ولا بد من أن يعرف أحد "مياساكا"، و"فيدانتا" وغيرها، وأحد ينطق بتعويذات الفيدات، وثلاثة من البراهمة الممثلين لتقاليد ثلاثة مختلفة ... كلهم يشكلون معًا مجلسًا لا يقل عن عشرة أعضاء."

"كما يمكن أن يحكم على الدين المقدسي خمسة أو ثلاثة رجال أو حتى رجل طاهر. لكن لن يستطيعوا الحكم إن كانوا أغبياء ولو كانوا ألف رجل." فهم مثل فيل مصنوع من خشب، ومثل غزلان مصنوع من الجلد، لا أهمية لهم، فالشخص الذي لا يوجد فيه صلاحية للأعمال المذكورة لا يفيد وإن كان ينتمي إلى طبقة البراهمة!

ومن خلال نقد النصوص الدينية يتبين لنا أنه إذا كان لا بد من النظر في موضوع مثير للجدل واتخاذ قرار ما بخصوص الحق أو الباطل، يتم اعتبار أربعة أشياء كدليل، وهي: (١) الفيدات (٢) اسمريتياس (٣) سلوك الرجال المهذبين (٤) وموافقة مجلس لا يقل عن عشرة رجال. وبالتالي فيه دليل على أنه كان هناك وقت لم يتم فيه اعتبار الفيدات وحدها كدليل مطلق للحكم في الحق والباطل. كان هذا وقت "دارما-سوترا لفاشيشتا".

لا ترى "أباستامبا سوتراس" الفيدات جديرة بإثبات أي نوع من الأصاله، إذ كانت معرفة الفيدات هي المؤهل الأساسي الوحيد لانتخاب عضو في المجلس الذي يعتبر قراره قانونًا.

في زمن "غوتما دراما سوترا" وحده تم اعتبار الفيادات معصومة عن الخطأ  
ومترفعة عن الزلات البشرية! لماذا؟

## الاستثناءات الخارقة في الفيديات

لم يكن البراهمة الفيديون راضين عن مجرد إعلان الفيديات على أنها كتب بلا ريبة لا يتسرب إليها الشكوك، بل تقدموا خطوة إلى الأمام وأعلنوا أن الفيديات ليست من صنع الرجال. كان يقصدون بهذا أن الفيديات لم تكن من صنع أي إنسان. ومما لا شك فيه أنهم بإعلانهم بـ "أن الفيديات ليست من صنع الرجال" أرادوا القول إنها تخلو من الزلات والأخطاء البشرية وأنها معصومة عن الخطأ. وإن دَلَّ هذا على شيء فإنما يدلُّ على أنه عندما لم تكن من صنع الخالق فهذا يعني بالضرورة أنها تخلو من العيوب ونقاط الضعف البشري، في حين إذا كانت من صنع البشر فهناك إمكانيات واضحة للخطأ والزلات، وبالرغم من ذلك، لا بد من مراجعة هذا الاعتقاد بشكل مستقل لأنه نظرية مستقلة.

ألا يوجد مؤلف للفيديات حقًا؟ وهل الفيديات حقًا ليست من صنع الإنسان؟ وأعظم شهادة وأكبر دليل في هذا الأمر هي دليل الفهارس. وتقول إنها ليست أكثر من مجرد فهارس منهجية لأجزاء من الأدب الفيدي القديم. ولكل من كتب الفيديات فهرس. وقد يكون بعض الأحيان أكثر من فهرس لفيديا واحد، وعلى سبيل المثال هناك سبعة فهارس لـ ريج فيدا أو راجا فيدا

(الفيدا الملكية)؛ بما فيها خمسة من شوناك، وفهرس لكل من كاتيان، وفهرس لكتاب مجهول، وهناك ثلاثة فهارس في يجور فيدا؛ فهرس من أجزائها الثلاثة، في حين هناك نوعان من الفهارس في سم فيدا، يسمى الأول بأرشييه براهمن، والثاني بريشيشث. وأما في أثروا فيدا ففيه فهرس واحد، بالفهرس الضخم الشامل.

ويقول البروفيسور بريهات سارفانكراماني بأن فهرس كاتيان الخاص بـ"ريج فيدا" هو الفهرس الأكثر أصالة، تكمن أهميته في الأمور التالية:

(١) يحتوي الفهرس على الكلمة الأولى لكل تعويذة.

(٢) يحتوي على عدد التعويذات.

(٣) كما يقدم الفهرس تفاصيل المؤلف؛ أي اسم الحكيم. (رشي) وعائلته.

(٤) يشتمل على أسماء الآيات والترانيم.

(٥) وأنه يذكر الآيات والترانيم... والشيء الذي تم الكشف عنه من

"الفهرس الضخم الشامل" (ساروا نوكراما نيكّا) هو أن الحكيم (رشي) هو مؤلف ترانيم "ريج فيدا"؛ ووفقاً لهذا الفهرس، يجب اعتبار "رج فيدا" من صنع الإنسان. وهكذا يجب علينا أن نتوصل إلى نتيجة حول الفيديات الأخرى أيضاً فيما يتعلق بأنها هل من صنع الإنسان أم وحي منزل من السماء.

هذه الفهارس صحيحة ودقيقة للغاية، وقد تم إثبات هذه الحقيقة من خلال العديد من الاقتباسات الواردة في "رج فيدا" نفسها، حيث أطلق الحكماء على أنفسهم مؤلفي تلك التراجم.

وبصرف النظر عن شهادة الفهارس، هناك دليل آخر يدحض نظرية البراهميين حول الفيديات بكونها تنزيل من رب حكيم أو أنها ليست من صنع الإنسان، وهو أنه لقد اعترف الحكماء (النسك) أنفسهم بأن الفيديات هي إبداعات بشرية وأعمال ذات أهمية تاريخية. وبالتالي تفرّق تراويل "ريج فيدا" بين الحكماء القدامى والحكماء الجدد. مثل -

"وقد احتجك الحكماء الأوائل القدامى، الآن استمع إلى تسيحي هذا أيضًا".

"يا إندرا! كوني راضية عنا بحمدنا لك ورتبي لنا المال والطعام والأولاد!"

إن هذه الفيديات ليست إلا من صنع الإنسان، وبالرغم من توافر الكثير من الأدلة، ياليت شعري، لا أدري لماذا أصرّ البراهمنيون لأجل إثباتها بأنها ليست من صنع الإنسان، وأنها تنزيل ووحى منزل من السماء.

على الرغم من ذلك، كان هناك بعض الفلاسفة الذين لم يكونوا مستعدين لقبول فكرة أن الفيديات أبدية أو أنها ليست من صنع الإنسان، لكنهم كانوا

مستعدين لقبول أصلاتها. قال الحكيم غوتام، مؤسس "نياي دارشان" (رؤية العدل).

مثل أصالة المصادر ونصوص الأيورفيدا، تعتمد أصالة الفيدات أيضًا على كفاءة مؤلفيها. لأن مؤلفي الفيدات كانوا جديرين وأصلاء، وصادقين، ويُستتج منها أن نصوص الفيدات هي أصلية - طبعًا بسبب أصالة مؤلفيها- وأنها صادقة بشهادة مؤلفيها، وأنها نصوص مقبولة؛ بقبولها ورواجها بين الناس. وبالتالي فإن كل شيء فيه عنصر الأصالة فهو أصيل مثل أصالة الفيدات، فهي أصيلة. والآن يقول بعض الناس إنه يطلق الفيدات على شيء فيه شهادة لأصالة شيء! وبقبول هذا النوع من الأدلة والبراهين ستثبت أصالة كل شيء بديهية.

تعتبر "فلسفة فايشيك" أن الفيدات أصيلة، لكن أساس أصلاتها مختلف عن أساس "نياي دارشان"، وهي:

١. الفيدات هي نتاج بعض العقل الواعي.

٢. وكانت تلك العقول من صنع الله وخلقه، لذلك إبداعاتها تكون أصيلة.

تزعم "فلسفة ساخيا" والتي أسسها الحكيم كبل، لا يمكن اعتبار الفيدات بلانهاية أو أزلية الوجود، لأن العديد من أجزاء الفيدات نفسها تقول أنها

خُلقت فيما بعد. وهي ترفض رفضًا قاطعًا قبول أنها نتاج أي إله أو وحي منزل من السماء؛ فوفقًا لمدرسة ساخيا ، فإن الفيدات نفسها مضاءة مثل الشمس. توجد فيه هذه القوة الإلهية التي من خلالها ينير بنفسه وينير أيضًا كل الأشياء الأخرى - الماضي والحاضر، الكبير والصغير، القريب والبعيد.

في حين تبدو "فلسفة فيدانتا" تدعم موقفين مختلفين على النحو التالي:

والغرض منه أن براهما هو جذر الفيدا أو السبب الجذري. وأن براهمان ليس ذكوريًا، هو براهما المطلق، ليس أنثويًا ولا ذكوريًا - بل هو الكائن الأسمى. كما أن هذه الفلسفة تعترف ببداية الفيدا وتعترف بوجود خالق يعتمد على الروح.

لم يكن البراهمنيون<sup>(1)</sup> راضين عن المنطق القائل بأن الفيدات لم تكن من صنع الإنسان، بل تجاوزا كل الأشواط، إذ قالوا: إنها ليست من صنع الإنسان ولا من صنع الله الذي خلق كل شيء. هذا هو رأي "جياميني" مؤسس مدرسة "ميانسا" الفكرية. والحجج التي قدمها جياميني لدعم وجهة نظره غريبة للغاية لدرجة أن معرفتها ضرورية لإدراك غرابتها.

(1) . هم حكماء الهندوسية من الطبقة العلية أي براهمن، الذين ولدوا من رأس خالق الكون وهو البراهما. (م.ع.)

وقد ذُكر الدليل على أن الفيدات ليست من صنع الإنسان في كتاب سابق لميانشا من "فلسفة براهمان". والاستشهادات التالية من هذا النص ستعطي مثلاً على هذا المنطق المذكور فيه.

يقوم مؤسس "ميانشا السابق" جياميني أولاً بفحص حجة أهل مذهب "فلسفة نيائيك" الذين يعتقدون بأن الفيدات تنزل من الله تعالى، وي طرح دلائل هذا المذهب كرأي سابق.

ومن حجة "ميانشاكيين" ما يلي:

"لا يمكن أن يتلفظ بالفيدات إله مطلق عديم الجسد الذي ليس له حنك في فمه، أو أي عضو قادر على الكلام. لذلك لا يمكن أن نتخيل أنه قد نطق في أي وقت مضى تلك الآيات والترانيم التي تكونت بها الفيدات. في حين يقول أهل مذهب "النيائيك": إن هذه الحجة غير مبررة لأنه على الرغم من أن الله عديم الجسد، إلا أنه يمكن أن يأخذ جسداً مثل "ليلا" لأجل عباده الخُلص المتمسكين بدينه. لذلك، فإن القول بأن الفيدات لم يتم تأليفها شخصياً لا معنى له".

ثم يقوم بتقديم الحجج لصالح نظرية ميانشاكيين على النحو التالي:

"الآن سأكشف الغطاء وأزيل كل الصعوبات. ما معنى الصنعة البشرية الفاضلة التي تبذل المجهودات لإثباتها؟ هل هذا الكلام خارج من فم شخص

معين، كما يخرج الكلام من أفواهنا نحن؟ أم أنه مجرد تسلسل للمعرفة المكتسبة بطريقة أخرى حيث يؤلف بعض الأشخاص مثلنا كتابًا. وإن قصدنا المعنى الأول فلا نزاع".

إذا كان المراد به هو المعنى الثاني، فأنا أريد أن أعرف ما إذا كانت أصالة الفيديات مبنية على أدلة الاستدلال، أو على قوة المعرفة الإلهية؟

إذا كانت أصالة الفيديات تستند إلى براهينها، فلا يمكن اعتبار ذلك صحيحًا، إذ الظن لا يفيد باليقين، فالذي يمكن استنتاجه هو عدم الإثبات. إذا قلت أن محتوى الفيديات خاص مقارنة بالنصوص الأصلية الأخرى، فحتى هذا التفسير لا يرضى به أي فيلسوف. لأن الفيديات هي تعريف الكلمات؛ كلمات تثبت تلك الأشياء التي لا يمكن إثباتها بأي وسيلة أخرى، أي بدون الكلام.

والآن إذا أمكن إثبات أن تلك الأشياء التي يمكن إثباتها بطرق أخرى، فإن الفيديات لم تفعل شيئًا سوى إثبات نفس الأشياء، فسنعق فريسة لنفس النوع من التناقض كما في قول القائل: إن أمني عقيم".

حتى لو قبلنا حقيقة أن الله يجب أن يكون قد أخذ الجسد لأداء ليلا، فلا يمكن تخيل ذلك، لأنه في هذه الحالة يجب أن يكون لديه معرفة بمثل هذه الأشياء المحفوظة على مسافة من المكان والزمان.. ومن ثم لا يمكن تصديق أن

عينيه وحواسه الأخرى فقط هي التي يمكن أن تكون مصدر هذه المعرفة. يمكن للحواس أن تنتج فقط تلك المعرفة التي يتم إدراكها بالنسبة للحواس.

هذا ما قاله المعلم براهماكار خلال دحضه لنظرية كتابة الفيدات بواسطة كائن خبير (أي وجود ميتافيزيقي). أينما يتحقق ارتباط شيء من خلال الحس البصري - فمهما كان ذلك الشيء بعيداً أو دقيقاً - يمكن أن يكون مرئياً للعين. لأنه لا يوجد إحساس يمكن إدراكه لحاسة البصر خارج مجاله ونطاقه. على سبيل المثال، لا تستطيع أعضاء الحواس إدراك الصورة.

"ومن ثمّ، أن أصالة الفيدا لا تعتمد على أي معرفة إلهية يكتسبها الإله عن طريق التجسّدات."

هذه هي الحجج التي قدمها جيامني لدحض النياتيكيين ووفقاً لذلك يقدم "جيامني" حججه الخاصة لتأسيس وجهة نظره بأن الفيدات ليست كلمات الله، فهي أكثر من ذلك بكثير، ولأجل إثبات نظريته يقدم حججه على النحو التالي:

"قد قيل في المصادر السابقة إن علاقة الكلمات ومعانيها أبدية. وبقي الآن إثبات أن أبدية الكلمات ومعانيها تعتمد على استمرارية الكلمات وأبديتها. لذلك، يجب أولاً دحض آراء هؤلاء النياتيكيين الذين أثبتوا أن الكلمات ليست أبدية.

يقول بعض الفلاسفة (أتباع فلسفة العدل أو نياي دراشنا): إن الكلمة هي نتيجة، لأننا نرى أنها نتاج جهد مبذول. لو كانت الكلمة ثابتة، لما كانت نتاج جهد مبذول.

إنها ليست بأبدية بسبب تنوعها أي تنوع الكلمات، لأنها في غضون لحظة يتوقف الشعور بها.

لأننا نستخدم الفعل أي التكلم. نقول "نصنع صوتاً".

لأن العديد من الأشخاص يشعرون بها في وقت واحد؛ فلو كانت الكلمة واحدة وأبدية، فما كانت لشتى أعضاء الحواس إدراكها في الوقت نفسه معاً.

لأن الكلمات لها شكلان: (١) الشكل الأصلي و (٢) الشكل المتغير. والشكل المتغير للكلمات تثبت حسب ضوابط "ساندي"، ولا يطلق كلمة الأبدية على مادة يحدث بها التغيير.

حيث يزداد عدد الأصوات حسب عدد المخرجين بها، ومن ثم فقد خطأ ممن قال من مذهب الميمنانسكين بأن الصوت لا يمكن نشأته، وإنما يتم ظهورها فحسب. إذ هناك آلاف من الأشياء تؤدي إلى ظهور المواد غير أنها لا تزيد تلك المواد. فلا يمكن لألوف من الشموع معاً أن تكبر حجم إبريقٍ ما.

وما من اعتراض أصحاب فلسفة العدل "نيائيكين" ضد مقولة ميانسكين التي تفيد بأن كل من يتلفظ بالكلمات، لا يخلق الكلمات وإنما يقوم بتعبيرها وإظهارها، يقوم جياميني بالرد عليه، فيقول:

"وما هو من موقف بخصوص كون الكلمة مخلوقاً أو أصلاً، وما هو من موقف بخصوص كون الفيادات مجرد التعبير؛ فوفقاً للمذهبيّن يكون إدراك أعضاء الحواس مؤقتاً، ومن بين المذهبيّن مذهب التعبير هو الأصح. وقد تم إبداع هذا الرأي في المصدر (السوترا) الثاني.

الكلمة التي لا نشعر بها في وقت معين ليست لأن الكلمة لم تكن موجودة من قبل، بل الكلمة موجودة دائماً. وعدم الإدراك بالمعنى المعين في الوقت المعين إنما يحدث ذلك لأن الشخص الذي نطق بالكلمة لم يتلامس مع موضوعه (أي موضوع الكلمة) ذاك الحين، لأننا على سبيل المثال، قد تعودنا على سماع نطق الحرف "ك" بطريقة واحدة دائماً، لأن له تلفظ واحد معتاد، وبالتالي هذا النطق هو الأسهل لفهمه. وتلك الحالة غير المتلفظة بالكلمة، التي تتعلق بنطق الكلمة وتلفظها، يتم إدراكها من خلال إخراج الملامح الهوائية والحركات أثناء خروجها من فم المتحدث، ثم هناك يحدث الإدراك بالكلمة. هذا هو الرد على الاعتراض على "أبدية الكلمة" و"وجودها القديم". يعني الكلمة موجودة أبدية، ولكن لا بدّ من نطقها وبدون النطق لا تفيد معنى ولا إدراكاً.

وأما ما شاع من "إخراج الصوت" فمفاده هو النطق بالكلمات أو استخدامها.

"كلمة واحدة في آن واحد يتم سماعها من أشخاص عديدين. فالكلمة بمثابة الشمس. إنها ضخمة للغاية، وليست بشيء تافه. لهذا السبب يمكن أن يشعر به الكثير من الناس وإن كانوا على مسافة من بعضهم البعض."

"واستخدام الكسرة (ऌ) بدلاً من الياء (य) ليس تغييرًا للأبجدية، فالحرف "الياء" هو حرف مستقل. وهذا يعني أن "الكلمة لا تتغير."

"والإضافة التي يزداد عددها بسبب الناطقين بها، هي زيادة "الصوت" وليست بزيادة الكلمات. يرتبط الصوت بظروف الهواء التي تدخل في آن واحد في أذان المستمعين من اتجاهات مختلفة. فالإضافة الحاصلة إنما هي زيادة الأصوات لا الكلمات.

"يجب أن تكون الكلمة ثابتة وأبدية، لأن نطقها يعطي معنى للآخرين. فلو لم تكن ثابتة وأبدية لما كانت حالتها موجودة حتى يهتدي المستمع إلى معنى. ولا يمكن له أن يفهم مرادها لأن سببها المؤدي إلى فهم المعنى الآن لم يعد موجودًا.

"الكلمات هي أبدية، لأنه يتم فهم مرادها من قبل الكثير من الناس في آنٍ واحدٍ، ليس من الممكن أن يرتكب الجميع نفس الخطأ في نفس الوقت.

وعندما يتم نطق كلمة "إذهب" عشر مرات، سيقول المستمعون أنه نُطِقَت كلمة "إذهب" عشر مرات. ولن يقولوا أنه تم نطق عشر كلمات تفيد معنى "الذهاب". ويدل هذا أيضًا على أبدية الكلمة.

الكلمة أبدية، لأنه ليس لدينا سبب يمكننا على أساسه أن نقول أن الكلمة تفنى أو تنقضي.

"ولكن يمكن التأكيد على أن الكلمة هي تغيير في الهواء، لأنها تنشأ من تراكم الهواء وتفكيكه، ولأن الفيدات تقول أيضًا إن الهواء هو أصل الكلمة، ولأنها تنشأ من الهواء. ومن ثم، لا يمكن أن تكون الكلمة أبدية.

تم حل هذا الإشكال في سوترا (المصدر) رقم ٢٢ بأن الكلمة ليست من نتاج الهواء. لأنه إذا كان الأمر كذلك، فلن يكون هناك دعمًا لأعضاء الحواس التي يمكن أن تتلقاه. ولا يمكن لأعضاء الحواس ملاحظة أي تغير في الهواء. فلاتستطيع حاسة السمع إدراك تغير طارئ في الهواء من هذا القبيل، والذي يعتبره أهل مذهب النياتيين ملموسًا وماديًا، لأن أساسه هو الكلمة.

"كما يدعم نظرية أبدية الكلام واستمراريتها عبارة من الفيدا حيث يقال: "يا فيرووب! على الرغم من أن هذه الجملة لها معنى آخر هنا، إلا أنها لا تزال تمثل أبدية اللغة. ومن هنا الكلمة هي أبدية.

فقد قدم الفيلسفي "جياميني" كل هذه الحجج التي تدعم بأن الفيدات هي أبدية، غير أنها لم يتم إبداعها من قبل إنسان ولا من قبل أي إله.

### ✿ وإن أساس نظريته بسيط للغاية، على النحو التالي:

(١) إن براماتما "الروح الأسمى وهو كبير الإله" ليس له جسد. كما ليس لديه حنك. لذلك لا يستطيع أن يتلفظ بترانيم الفيدات. فلا يمكن أن تكون الفيدات من صنع الخالق أو الله.

(٢) لنفترض أن لهذا الإله الأعظم جسد، فإن الروح الأسمى لا يمكنها الحصول على معلومات حول أي شيء يتجاوز الإدراك الحسي. هناك أشياء تتجاوز الحواس في الفيدات.

(٣) العلاقة بين الكلمة والمعنى أبدية وثابتة.

(٤) والكلمة بنفسها أبدية.

(٥) وبما أن الكلمة أبدية، فإن الكلمات ذات المعاني التي تتكون من الكلمة أنها أيضًا أزلية.

(٦) وبما أن الكلمات ذات المعاني أزلية، لذلك فإن الفيدات أبدية أيضًا. ولأن الفيدا أبدية، فلم يتم إبداعها لا من قبل خالق أي الروح الأسمى ولا من صنع إنسان.

ماذا يمكن للمرء أن يقول عن هذه الجمل الأساسية؟ هل يمكن أن يكون هناك أي شيء أكثر عبثاً من هذه الفرضيات؟ من يستطيع أن يقبل أنه هناك بعض الأشياء في الفيدات التي لا تستطيع الحواس يادراكها؟ من يمكنه قبول هذه الحقيقة بأن هناك علاقة ثابتة أبدية بين الكلمات والعديد من المعاني؟ ومن يستطيع أن يقبل أن الكلمات لا تُخلق ولا تتغير، لكنها أبدية؟

وبالنظر إلى مثل هذا الهراء، فإن السؤال الذي ينبعث في ذهن القارئ هو "لماذا بذل البراهمنيون مثل هذا الجهود المضنية لإثبات هذه النظرية الخطيرة؟ أليس يعود سببها إلى أنهم اتخذوا هذه الفيدات آلة تدعم نظرية "طبقات الخلق الأربعة" للبراهميين والتي يتمتعون في ظل هذا النظام الطبقي الجائر بأعلى الرتب وأسماها؟!

## ما هي الفيدات؟

إذا أخذنا تعاليم الفيدات<sup>(١)</sup> بعين الاعتبار وأنها صحيحة ومعصومة عن الخطأ؛ فإن التعاليم التي توحى لنا هذه الفيدات يجب أن يكون لها قيم أخلاقية وروحية سامية. لن يقبل أي شخص الغث والسمين صحيحًا ومعصومًا عن الأخطاء ولا الزلات، وذلك ببساطة لأن فيلسوفًا مثل جياميني قد أيد مثل

(١) . "فيدا" وهي كلمة سنسكريتية معناها الحكمة والمعرفة، وتصور حياة الآريين، ومدارج الارتقاء للحياة العقلية من السذاجة إلى الشعور الفلسفي، وفيه أدعية تنتهي بالشك والارتياب، كما أن فيه تأليفها يرتقي إلى وحدة الوجود، وهي تتألف من أربعة كتب هي:

١- رج فيدا أو راجا فندا (أي: الفيدا الملكية) وترجع إلى (٣٠٠٠) سنة قبل الميلاد، فيها ذكر لإله الآلهة (إنذار) ثم لإله النار (أغني) ثم للإله (فارونا) ثم للإله سوريه (إله الشمس).

٢- يجور فيدا Yajur veda: يتلوها الرهبان عند تقديم القرابين.

٣- سم فيدا Sama veda: ينشدون أناشيده أثناء إقامة الصلوات والأدعية.

٤- أثروا فيدا Atharva veda: عبارة عن مقالات من الرقى والتائم لدفع السحر والتوهم والخرافة والأساطير والشياطين. وكل واحد من هذه الفيدات يشتمل على أربعة أجزاء هي:

أ- سَمَهَتا: تمثل مذهب الفطرة، وأدعيته كان يقدمها سكان الهند الأقدمون لأهتهم قبل زحف الآريين.

ب- البراهمن: يقدمها البراهمة للمقيمين في بلادهم مبنية أنواع القرابين.

ج- آرانياك: وهي الصلوات والأدعية التي يتقدم بها الشيوخ أثناء إقامتهم في الكهوف والمغاور وبين الأحراش والغابات.

د- آبا نيشادات: وهي الأسرار والمشاهدات النفسية للعرفاء من الصوفية.. (م.ع).

هذا الاقتراح. هل للفيديات أي قيمة أخلاقية وروحية حقًا؟ وعلى كل هندوسي يعتقد بأن الفيديات معصومة عن الأخطاء والزلات يجب أن يقوم أولاً برفع الشكوك بهذا الخصوص.

من الآراء التي أتى بها الكتّاب المعاصرون بخصوص الفيديات، يبدو أنه لا يوجد شيء روحي في الفيديات، أو يتسم بالقيم الروحية السامية، وعلى سبيل المثال نذكر هنا موقف الأستاذ البروفيسور مايور، والذي يقول:

"إن كل الأساليب والمناهج التي اتسمت بها الفيديات ووفقاً لشهادتها الداخلية أي محتوياتها تكشف عن وجهة نظر خاصٍ مفادها أن كلاً هذه الفيديات ليست سوى أغاني تعبر عن الآمال والتطلعات الفردية لهؤلاء الناس. وإن هذه الترانيم عبارة عن دعوات وصلوات الآريين تجاه آلهتهم وهي عبارة عن تلك الأدعية التي يدعو بها العامة من الناس من آلهتهم من أجل الصحة، والرخاء المادي، والعمر الطويل، والحيوانات، والانتصار على الأعداء. والاستغفار، ونعيم الجنان وسعادتها".

ولا بدّ من أن يقال: إن هذا الموقف عبارة عن التعصب المذهبي والانحياز لهؤلاء العلماء الأجانب ضد الديانة الهندوسية وبالتالي لا يمكن قبول آرائهم. لحسن الحظ، لسنا في وضع يمكننا من الاعتماد فقط على رأي الأجانب. كما أعرب بعض قادة مركز الأبحاث الهندي عن وجهات نظر مماثلة. والرأي الأكثر سمعة من حيث السوء هو رأي العلمانيين.

تتجلى معارضة العلمانيين من خلال اقتباس نصوصهم والتي تبين رقم حجتهم على النحو التالي:

"إن تقول أنت (أيها الخصم) إنه لا توجد حياة سعيدة في جنةٍ ما، فلماذا يقوم الحكماء النساك بأداء مناسك "أغنيهورا" وتضحيات أخرى من خلال إنفاق الكثير من المال؟ لا يمكن قبول حجتك كدليل متناقض، لأن تلك أغنيهورا وما إلى ذلك ليست سوى وسائل الارتزاق وكسب المال (من البسطاء باسم الدين). أما الفيدات فهي ملوثة بالباطل وملطخة بإنكار الذات وملطخة بعيوب التكرار. ثم أولئك الذين يسمون أنفسهم علماء الفيديا لا تفتقر همتهم عن دحض بعضهم البعض وتوجيه سهام النقد إلى بعضهم البعض. فالذين يمارسون طقوس العلم لا يعترفون بفضل المعرفة ومن يهتم بمناسباتها! إلى أصبح من ضرب الأمثال السائد بين الناس بأن الفيدات الثلاثة ليست أكثر من أغاني العبيد ومن أرذل موسيقاهم. ويرى المفكر بريهاسباتي: بأن مناسبات أغنيهورا، والفيدات الثلاثة، والتشف، وتلوين الجسد بالرماد ليست سوى وسائل لكسب العيش للأغبياء المرتزقة.

وكان بريهاسباتي متورطاً أكثر في دحض الفيدات من العلمانيين، ووفقاً للعالم القطبي مادو آتشاريه تلخص حجج بريهاسباتي فيما يلي:

"لا توجد هناك جنة، ولا تحرر نهائي، ولا روح تعيش في عالم آخر. ولا توجد أفعال للطبقات الأربعة ولا تأثير لنظام الفارناس، كما ليس لها ثمار

مادية. إن أغنيهوترا<sup>(١)</sup>، والفيدات الثلاثة، حالات الدراويش الثلاثة، وتلويث الجسد بالرماد، - وقد جعلتها الطبيعة وسائل الارتزاق للأشخاص الضعفاء من ناحية الذكاء والرجولة. إذا كان الحيوان الذي تم التضحية به وفقاً لـ"قربان جوياتيستام" يذهب مباشرة إلى الجنة، فلماذا لا يضحي الشخص الذي يقوم بالتضحية بوالده حتى يدخل هو أيضاً الجنة؟

إذا كان أقارب من توفي موتاهم ينتفعون بأداء الشرده<sup>(٢)</sup>، فما هي حاجة الناس للسفر لحمل الزاد معهم؟

(١) . "أغنيهوترا" من قربان النار، ويطلق على طقوس يتم فيه صب السمن في النار المقدسة وفقاً للطقوس الصارمة، ويطلب تقديم هذه القرابين لعائلات المزارعين لأجل الحصول على البركة في المواشي والحيوانات.

يرجع تاريخ هذه القرابين إلى العصر الفيدي. يؤدي البراهمانيون طقوس أغنيهوترا وهم يرددون الترانيم من رج فيدا المقدس، وهذا القربان جزء من تراث الهندي - والإيراني، والذي يتضمن طقوس عبادة النار الإيرانية ذات الصلة والتي تسمى طقوس الزرادشتية ياسنا هابتاهيتي المذكورة في أفستان القديم و في الديانة الفيدي التاريخية كذلك، كانت أغنيهوترا هي أبسط طقوس عامة وسائدة في المجتمع الهندوسي البدائي، وكان مطلوباً من رئيس كل عائلة أن يقوم البراهمين وفايشيا إجراؤها مرتين يومياً. كانت شعبية بالفعل في الهند في ظل تعاليم أوبنيشاد ويمارس كمنسك ديني. يُمارس هذا التقليد الآن في أجزاء كثيرة من جنوب آسيا بما فيه شبه القارة الهندية بشكل أساسي وكذلك في نيبال. يُطلق على رهبان البراهمين الذي يؤدي طقوس أغنيهوترا اسم أغنيهوتري. (م.ع.)

(٢) . إن "شراده" هو مصطلح ديني هندوسي وطقوس يتعلق بالموت. وأصلا هي كلمة سنسكريتية تعني عبادة يتم إجراؤها بقلب وروح، بإخلاص وتواضع كامل، يتم عقدها من قبل الأبناء لأجل تكريم الآباء خاصة للوالدين، ويتم تقديم الشكر والامتنان تجاه جبهم

"إذا كان الأجداد الذين يعيشون في الجنة راضين عن أداء "الشراده" عنا، فعندئذ لماذا لا يعطى الطعام لمن يعيشون أدنى المنزل بدلاً أن يُعطى لمن يعيش في أعلاه؟

"ما دامت هناك حياة، يجب على المرء أن يعيش بسعادة. حتى لو كان على الرأس دين، فينبغي أكل اللبن والسمن بسرور وهناء".

بعد أن يتحول الجسد إلى رماد، من المستحيل أن يصبح جسدياً مرة أخرى.

"إذا يرحل الراحل ويذهب إلى الجنة فلماذا لا يشعر بالضيق هناك لأجل زيارة أصدقائه الأعمى؟

وإن دَلَّ هذا على شيء فإنها يدل على أن طقوس "شراده" ليست سوى وسيلة الارتقاء للبراهمة.

وعنايتهم، حتى يشعر أن كل ما لديه من وظائف أو مكانات أو من أموال وثروات كلها بفضل الأبوين وسبب ذلك كل ما هم عليه هو العمل الدؤوب والحب والرحمة وتدريب والديهم. لذلك يجب أن يكرموهما من خلال أداء طقوس العبادة هذه مع التعبير عن إخلاصهم وحبهم له، وكذلك الدعاء من أجل سهولة الوصول إلى وجهتهم النهائية، ويمكن أن يطلق على هذه المناسبة أيضاً يوم الذكرى. يتم تنفيذ هذا البوجا (العبادة) بشكل منفصل لكل من الأم والأب. يتم تنفيذ هذه الطقوس في يوم الذكرى السنوية أو يوم "بيتراباكشا" أو في الخريف قبل شرادا نوراتري. (م.ع.)

إن كل هذه طقوس "الشراذ" تؤدي لأجل الموتى لكنهم لا ينتفعون بها في أي مكان. كان مؤلفو الفيدات الثلاثة خادعين وماكرين من يتجول ليلاً. وقد تم اكتشاف جميع العبارات التي تشبه العشب الجفري للبراهمين، وجميع الطقوس الموصوفة لسوء الحظ في "أشواميدها ياغيه" من قبل البلطجية والماكرين من الفلاسفة.

جميع التبرعات والصدقات هي للبراهمين فقط.

وبهذه الطريقة، وضع هؤلاء الأشخاص المتجولون ليلاً أيضاً قانوناً لأكل اللحوم.

حتى لو تم تجاهل رأي العلمانيين وبريهاسباتي، فلدينا العديد من المواد الأخرى ضد هذه الطقوس الخرافية، والتي متوفرة بكثرة في النصوص الفلسفية للمذاهب المختلفة مثل فلسفة نياي (العدل)، وفايشيشيكا، ميانسا السابق. هناك شيء واحد يجب أن يقال لصالح مؤلفي نصوص هذه الفلسفات أنهم قبل رفض وجهة النظر المناهضة للفيدات التي دحضوها، قدموها بعناية فائقة. من هذا يمكننا إثبات شيئين:

(١) كانت هناك طائفة من المفكرين الذين رفضوا أصالة الفيدات.

(٢) هؤلاء الأشخاص المناهضون للفيديات كانوا أشخاصًا محترمين، حتى اضطر أنصار الفيديات<sup>(١)</sup> إلى التفكير في آراء هؤلاء الفلاسفة المفكرين.

سأقدم هنا آراء الأشخاص المناهضين للفيديات المقتبسة في فلسفة "نيايائي" (العدل) و"ميانسا السابق" بصفتها طرفًا سابقًا.

كان غوتما مؤسس فلسفة العدل مؤيدًا لمبدأ أصالة الفيديات. وقد لخص حجج خصومه في سوترا رقم ٥٧، على النحو التالي:

"الفيديات ليست أصلية، لأنه يوجد فيه خطأ الأسطورة، وخطأ إنكار الذات وخطأ التكرار. ما يختلف عن شهادة الأشياء المرئية، تلك الشهادة الشفوية أيضًا ليست صحيحة، لأن الفيديات تسرب إليها خطأ الكذب، وخطأ إنكار الذات وخطأ التكرار".

"من بين العيوب المعنية بأخطاء الأسطورة تم إثباتها على أننا نرى أنه في بعض الأحيان من خلال أداء قربان "بوتراشيشتا"<sup>(٢)</sup> وغيرها من القرابين لا توجد لها ثمار مثل إنجاب الأطفال. والخطأ المتمثل في إنكار الذات يعني التمييز بين ما قبل التنفيذ وما بعده. يقول الفيديا إنه يؤدي القرابين عند شروق الشمس، ويؤدي القرابين عندما تشرق الشمس. ومن يؤدي القرابين قبل

(١) . يعتقد العديد من الناقدين أن الفيديات هي إبداع الفيلسفين كما قام العديد من رجال الفلسفة

بالتعديل والتغيير في الفيديات في شتى العصور. (ع.م).

(٢) . قربان يتم أدائها لأجل الحصول على الأولاد.

شروق الشمس يأخذ جرو ذبيحته ويأخذ كلاهما ذبيحة من يؤدى القرابين (بعد شروق الشمس). الآن هناك تضارب بين الكلمات التي تقول بأداء الذبيحة والكلمات التي تقول إن التضحية ستكون لها عواقب وخيمة. ثم الفيدات تبدو غير أصلية لأن فيها خطأ التكرار. هناك يقال في بعض الأماكن أنه يلفظ الجزء الأول ثلاث مرات، وفي الأماكن الأخرى يطلب من القارئ أن ينطق بالجزء الأخير ثلاث مرات. لأن الجزء الأخير من الجملة يتوافق مع الجزء السابق وبما أنه لا توجد أصالة لهذه الجمل المعينة، أي أن هذه الأجزاء تشمل الفيدات كلها، ومن هنا يكون موضوع الأصالة للفيدات كلها موطناً للشك ومثيراً للريبة، إن كان هناك مبدعٌ واحد لجميع الفيدات، فبسبب هذا الموقف، ينطبق هذا الخطأ على جميع الفيدات، وبه تبين أن الفيدات كلها مشكوكة وعرضة للتضاد.

والآن نأخذ بقول الفيلسفي "جياميني" والذي يلخص الحجج المناهضة للفيدات في سوترا (البند) رقم ٢٨ و ٣٢ من ميانسا السابق، فقد كتب في البند الثامن والعشرين:

"وقد أثير الجدل أيضًا على أن الفيدات لا يمكن أن تكون أبدية. لأننا نرى هناك من يولد ومن يموت؛ فمن يولد ويموت لا يمكن لهم أن يكونوا أبديين أو خالدين، وقد جاء في الفيدات ذكر من ليسوا أبديين، فكيف يمكن أن تكون الفيدات أبدية، على سبيل المثال نجد في الفيدات أنه مكتوب فيها أنه تمنى بابار

برافيني، كما تمنى كوسورفيند أودالاكاس... فلنفكر قليلاً، إذا نظرنا هذه الجمل في الفيدات هل يمكن كتابتها قبل ولادة أولئك الذين تمنوا وأبدوا رغباتهم! كلا! فهذا يثبت أن هذه الجمل بسيطة، أي! لقد بدأوا في وقت ما أو ذاك. لأنها ليست أبدية، فقد ثبت أنها من صنع الإنسان وأنها لم يتم وحيها من السماء".

وجاء في البند (سوترا) الثاني والثلاثين (٣٢):

"قد يُسأل كيف يمكن أن يكون هناك أي دليل على الواجب في الفيدات، عندما يكون مليئاً بالجمل غير المقيدة مثل الجمل التالية. يقف ثور عجوز يرتدي بطانية ونعال عند الباب ويبارك. يقول البراهمة الراغبة في الإنجاب - "راجان! من فضلك قل ماذا يحدث إذا قمت بالجماع بطريقة "مايتونا"<sup>(١)</sup> في مستهل الشهر الجديد؟ أو قامت "الأبقار" بأداء هذا الياغيه أي القربان؟ وقد ذهب "ياساك" مؤلف كتاب نيروكتا إلى المذهب نفسه، فله نفس الرأي. كما يقول:

"تم ذكر أربعة أنواع من الترانيم في المقطع السابق وهي:

(١) تلك التي يغيب فيها الآلهة (٢) تلك التي يوجد فيها الآلهة (٣) تلك التي يوجد ذكر فيها الكاهن (٤) تلك التي يذكر من يقوم بقراءة تلك الترانيم

(١) . هي طريقة ممارسة الجماع المقترحة دون إخراج الذكر من فرج الأنثى حتى الإنزال. (م.ع.).

أو المتحدث. وهو أيضاً أن الإله يُمدح دون طلب، ثم يُصلى الآلهة دون أي مدح. ثم في بعض الأماكن، تم الحلف وأعطيت الشتائم. ثم في بعض الأماكن الأخرى، يتم ذكر الموقف المحدد أيضاً. في مكان ما هناك رثاء، في مكان ما هناك اللوم والثناء. وفي مكان آخر يكون "كالي" القمار ملعوناً أيضاً. وهكذا كانت المواد التي كان الحكماء عليها شهود عيان كثيرة جداً.

ويقول ياساك أيضاً:

"لكل حكيم إله. وكل حكيم يصلي لإلهه فقط لدى طلب حاجته الخاصة."

إذا لم يثبت كل هذه المعلومات أنه لا توجد مادة أخلاقية وروحية في الفيدات، فيجب الإضافة في المعلومات المعنية لإثبات خلوها من القيم الأخلاقية السامية.

أما فيما يتعلق بالأخلاق، لا يكاد يكون هناك أي مبحث حول هذا الموضوع في ريج فيدا بأسره. لا توجد أيضاً أمثلة ملهمة للحياة الأخلاقية في ريج فيدا. ونذكر ثلاث إشارات فيما يلي لدعم المعارضة:

في البداية نذكر هنا محادثة تدور حول ياما ويامي، اللذين كانا أخ وأخت.

تقول يامي - "هل يوجد أخ لا يستطيع أن يكون زوج أخته؟ - وأنا - في ظل شهواتي سأدعو الإله أن تتحد معي وتغيب في داخلي".

يقول ياما - "لن أربط شخصيتي بك. من يقترب من أخته (بهذا الغرض) يسميه الناس آثما. فمارسي علاقاتك العاطفية مع شخص آخر غيري. أنا أخوك ليست لدي مثل هذه الرغبة الشهوانية تجاهك".

خذ بعض الترانيم الموجودة في ريج فيدا، وعلى سبيل المثال لا الحصر إليك ما يلي:

"أدعو زوجات إندرا للمجيء إلى مكاني وأن يشربن الخمر!

"يا إندرا! تناولوا هذا الخمر هو أفضل شراب وأزكى رائحة".

اسمحوا لي أن أقول إنني تركت عمداً العديد من هذه الاقتباسات من ريج فيدا ويجور فيدا وهي فاحشة وخليعة للغاية.

وأما فيما يتعلق بفلسفة الفيديات، فلا تجد شيئاً منها في هذه الكتب، إن المزايا فيها قليلة وعيوبها كثيرة.

## (١)

الآن دعونا نناقش أثر وفيدا لننظر ماذا بداخلها؟ بمجرد إلقاء نظرة على قائمة محتوياتها نجد تعويذات السحر والكهانة فاغرة أفواهاها، هناك أكثر من مائتي تعويذة وشعوذة إن بدأنا حصرها.

لا ينبغي أن نفهم أن "أثرو فيدا" هي كتاب وحيد مليء بآيات السحر والشعوذة فحسب، بل ريج فيدا أيضا لايشكو من قلة من هذه الشعوذة، هناك أكثر من مائة ترنيمة بخصوص السحر والشعوذة في ريج فيدا كذلك.

لإظهار أنه لا توجد أخلاق أو أي شيء كهذا في الفيدات يمكن تسميته روحياً أو أخلاقياً، حيث يمكن تقديم العديد من الاقتباسات. لا يمكن اعتبار الفيدات ولا المواد الموجودة فيها أصلية بأي شكل من الأشكال.

فلماذا إذن قام البراهمة بجهودهم المضني لأجل إلباس هذه الفيدات بالنقاء والأصالة؟

## الحد الأدنى لمكانة الفيدات

الأدب الديني الهندوسي تتكون من الكتب الثمانية التالية:

- (١) فيدات (٢) براهمن<sup>(١)</sup> جرانثس (٣) أرانياك<sup>(٢)</sup> (٤) أوبانيشادات (٥) سوترات (٦) إيتيهاساس (٧) قوانين منو (المعروفة ب اسمريتياس)، و (٨) بوراناس.

كما سبق التوضيح بأنه مضى حين من الدهر عندما كانت فيه جميع النصوص الهندوسية متساوية في الوضع والمكانة؛ من حيث مكانة عالية أو مرتبة منخفضة، مقدس سماوي أو دنيوي، أو قذفي أو مكتمل - لم يكن هناك فوارق مثل هذا، ولم يثر مثل هذا السؤال على الإطلاق قط.

وفي العصور المتأخرة - كما رأينا - رأى البراهمة الفيديون أنه يجب التمييز بين الفيدات والآداب الأخرى. فلم يكتفوا بإعلان تفوق الفيدات على الآداب الأخرى فحسب وإنما اعتبروها مقدسة وأبدية كذلك. وبتطوير فكرتهم المعنية بالفيدات على أنها أبدية وأنها معصومة من الخطأ، قسّموا أديهم الديني إلى

(١) يقدمها البراهمة للمقيمين في بلادهم مبيّنة أنواع القرابين. (م.ع.)

(٢) وهي الصلوات والأدعية التي يتقدم به الكهنة أثناء إقامتهم في الكهوف والمغاور وبين الأحرش والغابات. (م.ع.)

قسمين - (١) ما هو شروتى (٢) وما هو غير شروتى. في الفئة الأولى، وضعوا نوعين من الكتب المقدسة من بين الأنواع الثمانية المذكورة أعلاه. فمن الكتب المقدسة: (١) فيديك سمهيتا<sup>(١)</sup> (٢) ونصوص البراهمان<sup>(٢)</sup>. في حين أعطوا لبقية المؤلفات اسماً واحداً فقط وهي: الكتب غير الشروتية.

## (٢)

ليس من السهل القول متى تم بدأ هذا التمييز والتفريق بين هذه الكتب المقدسة بالضبط؟ والسؤال الأهم منه هو "ما هو أساس هذا التمييز والتفريق"؟ لماذا تم إبعاد "إيتيهاساس"، و"بوراناس" من هذه القائمة؟ و"أرانياك" و"آبانيشادات" كذلك؟ من المفهوم إلى حد ما لماذا تم إبعاد "إيتيهاساس" و"بوراناس" عن الشروتى. في الوقت الذي حدث فيه هذا التقسيم، ربما كان في حالة مبكرة من عدم التطور وربما لم يتم احتسابهم تحت حكم الشروتى في النصوص البراهمانية؟ ربما كانت جزء من النصوص البراهمية ولذلك ليس من الضروري القول إنها انضمت تحت حكم الشروتى. مسألة نصوص الأوبنشاد والسوترا لغز. لماذا تم إبعاد هذين الكتابين عن قائمة الشروتى؟ سنناقش الأوبنشادات في قسم آخر. والسؤال الجدير بالعناية هنا حول "السوترا" فقط. لأن نقطة إبعاد "السوترا" لا يمكن فهمها بسهولة.

(١) وهي تمثل مذهب الفطرة، وأدعيته كان يقدمها سكان الهند الأقدمون لأهتهم قبل زحف الآريين. (م.ع)

(٢) والتي يقدمها البراهمة للمقيمين في بلادهم مبينة أنواع القرابين. (م.ع).

للأسباب التي من أجلها تم اعتبار نصوص "البراهمن" في قائمة الشروتي، لنفس الأسباب التي كان يجب أن تعتبر "السوترا" ضمن الشروتي. فإبعاد "السوترا" بالرغم من ذلك من قائمة "الشروتي" هو لغز يحتاج إلى حل. هناك بعض الألغاز الأخرى التي تجذب انتباه أي مستكشف. إنهم مهتمون بالتغيرات في ذلك الأدب الذي يندرج تحت كلمة "الشروتي" وبالصدق النسبي لذلك الأدب.

هناك لغز مماثل مرتبط بـ "البراهمن-غرنت". وفي يوم من الأيام كان "البراهمان-غرنت" يُعتبر ضمن "الشروتي". لكنه يبدو أن مكانته انخفضت في وقت لاحق، ومن ثم يبدو أن "مانو" لا يتضمن النصوص البراهمانية تحت كلمة "الشروتي" في كتابه "منو اسمريتي". فكتابه المعروف بـ "قانون منو اسمريتي" هو دليل على قولنا هذا.

"إن كلمة "الشروتي" تعني تلك القوانين والأنظمة المستفيدة من الفيدات وقوانين سمريتيات... بالنسبة لأولئك الذين يريدون معرفة واجباتهم، شروتي هي أكثر إثبات للمفهوم".

فالسؤال هنا كيف تم إخراج "براهمين غرنت" من قائمة الشروتي؟

(٣)

والآن دعونا لنلقّ انتباهنا إلى الأدبيات التي تسمى اسمريتيا، ومن أهمها قانون منو، وقانون ياغيه والكاس اسمريتي، وشهدت هذه الاسمريتيا استمراراً في نموها تدريجياً واستمر هذا التسلسل حتى دخول البريطانيين في الهند واحتلالهم إياها. يذكر "ميتراميشرا، نحو ٥٧ اسمريتيا، ويعدها نيل كانتا نحو ٢٧ اسمريتيا، في حين عدّها كملاكار نحو ١٣١ اسمريتي. وهذا النوع من أدبيات الديانة الهندوسية أكثر من أي فئة أدبية أخرى من بين الآداب التي يعتبرها الهنادس مقدسة.

هناك العديد من القضايا التي يجب مراعاتها فيما يتعلق بالعلاقة بين اسمريتيا والفيديات، على النحو التالي:

أولاً، لم يتم اعتبار اسمريتيا جزءاً من اللاهوت الذي يمثله البوذيان، أو غوتما، أو أوساتامبا سوتراس. وفي البداية كانت هذه القوانين أي اسمريتيا مرتبطة بتلك العادات الاجتماعية التي اعترف بها قادة المجتمع المعترف بفضلهم. يقول البروفيسور:

"في البداية، كانت هذه اسمريتيا (أي الذكريات أو القوانين) مرادفة للأعمال الصالحة. وكانت تعتمد على أساس الفضائل ومنتحلية بالقيم الفاضلة. وعندما ظهرت هذه الاسمريتيا كان من الطبيعي أن يكون نطاق الفضيلة محدوداً. وبحكم البداية في باب القيم والآداب تم الاعتراف بجزء كبير منه كـ "قانون" التي أتت بها هذه الاسمريتيا، فأصبحت الفضيلة مرادفة لتلك

العادات القديمة، التي لم يخضع لقوانين اسمريتياس، أو كانت تلك العادات الجديدة، التي حازت بالاعتراف الاجتماعي بعد وجود علم الديانة مبكرًا وأصبح العمل الصالح معتمدًا على تلك القوانين.

والنقطة الثانية التي تجب ملاحظتها هي أنه كانت بخصوص هذه اسمريتياس معتقدات خاصة بصرف النظر عن الفيدات أو الشروتيااس. وفيما يتعلق الأمر بالأصالة، كانت لها مستوى فردي خاص بها، كانت الشروتيااس متفوقة وماوراء العالم مقارنة بالشروتيااس، في حين كانت استمريتياس مؤقتًا وسائدًا على المستوى الاجتماعي. وفيما يتعلق بأصالة اسمريتياس فقد ذكرت ميانسا السابقة قاعدتين بهذا الخصوص: القاعدة الأولى هي أنه إذا كان هناك تعارض بين عبارتين لشروتي، فيجب التعرف على كليهما، أي أنه يمكن للمرء أن يتصرف وفقًا لأي من العبارتين. ثانيًا، إذا كانت عبارات اسمريتياس تتعارض مع الشروتيااس، فيجب ضرب اسمريتياس على الحائط دون تفكير كثير، وكانت من نتيجة هذه القاعدة أن اسمريتياس لم تستطع الحصول على مكانة مثل الفيدات.

ومن المفاجئات بدون شك أنه دار الزمن فيما بعد عندما أحلّ البراهمة اسمريتياس محل الشروتيااس ووضعوا اسمريتياس فوق الشروتيااس من حيث القيمة والاحترام! يقول البروفيسور ألتيكار في هذا الخصوص:

"حتى ألغوا بعض الأحكام من الشروتيا س بالمعنى الحقيقي للكلمة، خاصة تلك الأحكام التي لم تتوافق مع "يوجا درما" والتي كانت تعارضها بشكل مباشر. حيث بموجب التقليد الفيدي كان يجب أداء "ديويه كرما" في الصباح الباكر ويجب أداء "بيترو كرما" خلال فترة ما بعد الظهر. لكن في وقت لاحق، بدأت حيلة "بيترو تربان" الحديثة وقرر البراهمة إجراؤها في الصباح الباكر، حيث أصبح من المعتاد أن يستحم الناس في الصباح (ولأجل أداء بيترو كرما أن يغتسل المرء، وبما أن الناس بدأوا يستحمون صباحًا فنظرًا إلى عاداتهم قاموا بالتغيير في وقت هذه العبادة)، مع أن هذه الممارسة يشير إلى تناقض صارخ مع القاعدة التي نوقشت أعلاه. يقول "ديفا باتا" مؤلف "اسميرتي تشانديكا" إنه لا يوجد شيء متناقض في هذا التغيير. ويجب التأويل هنا على أن نفترض أن حكم شروتي المتعلق بوقت "التربان" ربما يتعلق بأشكال أخرى من "بيترو كرما". تقول أدبيات شروتي أنه على الرغم من أنه كان لدى "فيشوا ميترا" أكثر من مائة ولد وكانوا على قيد الحياة، فقد تبنى فيشواميترا "سوناسيب". هذا يسمح للشخص بتبني ابن آخر حتى لو كان لديه عدة أبناء على قيد الحياة. لكن بموجب رأي "ميترا ميشرا" إن استنباط مسألة كهذه ليست بصحيحة. علينا أن نقبل أن كل ما يتم فعله وفقًا لاسميرتي يتواجد حكمه في الشروتيا س كذلك، والتي لم تعد موجودة الآن، غير أنه يجب الافتراض أنها كانت موجودة فيما مضى البتة".

وقد تم منع التبني في الفيدات بصراحة. لكن سمحت له أدبيات اسمريتياص بصراحة مطلقة. هذا دليل واضح على أن اسمريتياص قد تجاهلت تمامًا أحكام الشروتياص. لكن بموجب "ميترا ميشرا" أنه لا حرج في هذا السلوك والتغيير في الحكم؛ فاقتباص الشروتي هو مجرد كلمات مدح وثناء، فهو لا يطلب فعل أي شيء، في حين تدعم اسمريتياص التبني بحيث يمكن القيام بالعبادات على النحو الواجب.

وبه يحصل ازدرء "للشروتياص" على يد "اسمريتياص" نظرًا لوجود طريقة في اسمريتياص، فقد طلب منها القيام بشيء ما.

وفي العصور المتأخرة بدأت ممارسة "ستي"<sup>(١)</sup> وهي تتعارض تمامًا مع أوامر الفيدا فيما يتعلق بقتل النفس والانتحار. لكن يحاول "أبراركا" تبرير ذلك، قائلاً: إنه لا يمكن للطقوس التقليدية أن تكون مناهضة لأوامر الفيدات؛ لأن ما تأمر به "الشروتي" هو أمر عام يمنع الانتحار. وقد اعتبرت اسمريتياص الأرامل استثناء من هذه القاعدة العامة "أي حكم الشروتياص عاما يشمل الانتحار العام في حين "ستي" خاص بالأرامل.

لنترك هذا السؤال: هل ممارسة الستي صائبة أم خطأ، صالحة أم طالحة، وهي مسألة مستقلة. وبطريقة أو بأخرى، أصبحت هذه الممارسة مقبولة

(١) وهو طقس ديني عند بعض الهندوسيين، تقوم فيه المتوفى زوجها طوعاً أو كرهاً بحرق نفسها مع جثة زوجها المتوفى. أصبح هذا الطقس نادراً وغير قانوني منذ عام ١٨٢٩ م. (م.ع.)

اجتماعياً. كما جعلتها اسمريتياس مثالية من وجهة نظر الدين حتى تم اتخاذ مثل هذا القرار حتى على حساب كونه ضد الفيدات.

والسؤال المهم المثير للجدل هنا هو لمَ قام البراهمة بتفويق "الاسمريتياس" على الفيدات ووضعها على قمة الأصالة، بعد كل عناءهم لجعل الفيدات أكثر أصالة أولاً، لقد بذلوا كل غال ورخيص لإثبات الفيدات متعالية على كل الكتب المقدسة. لماذا حاولوا أن يضعوا الفيدات تحت تلك الاسمريتياس التي كانت تحتل على مكانة اجتماعية فقط (وما كانت لها مكانة من الناحية الدينية)؟

والطريقة التي اتبعتها البراهمة في هذا الأمر كانت ذكية وملفقة للغاية لدرجة أنه يخطر ببال الإنسان لا محالة أنه يجب أن يكون هناك سبب خاص بسبب وضع البراهمة هذه الاسمريتياس فوق الفيدات، وتعظيم أمرها حتى على حساب التقليل من شأن الفيدات!

ومن الأمثلة الذكية التي أدت إلى التقليل من أهمية الفيدات على حساب الاسمريتياس يمكننا تقديم حجة كوماريل بهات والتي تستند حجته على "الشروتيااس المفقودة". حيث يقال بخصوص اسمريتياس أنه على الرغم من أن بعض أحكامها تتعارض مع تعاليم "الشروتيااس" إلا أنه لا يمكن التجاهل منها، وتركها، إذ كان من الممكن أن تكون تلك الأحكام مأخوذة من بعض نسخ الشروتيااس التي باتت مفقودة ولم تعد تتواجد الآن".

لإعطاء مثال زايف على أساس حجة مصطنعة يمكننا ذكر رأي البريهاس باقى بهذا الخصوص. يقول بريهاسباتى أن الشروتى واسمريتى هما عينا البراهما (الخالق)؛ إن ذهبت إحدى العينين، فسيصبح البراهما أعور.

كما اختار البراهمة طريقة ثالثة لأعطاء الاسمريتىاس مكانة إن لم تكن متفوقة من الشروتىاس يجب أن تكون متساوية معها على الأقل. وهذا يتجلى فى اسمريتىاس أتري بشكل ملموس. يقول أتري: إنه من لا يحترم الاسمريتىاس يكون ملعونًا. يجادل أتري بأنه تمت نشأة الكون من الدراسة المشتركة لشروتى واسمريتى معًا. فإذا كان الرجل يدرس الفيدات فقط ويحتقر اسمريتىاس، فيُقضى عليه الولادة لـ ١٢ مرة فى مهبل الحيوانات والمواشى قبل حصول النجاة النهائية أى "نروان".

ما هو غرض البراهميين لبذل مجهوداتهم المضنية للتساوي بين الاسمريتىاس والشروتىاس واستخدام كل هذه الوسائل المتحسمة، وما كانت غايتهم وراء ذلك؟

تبدو حجة البروفيسور ألتكار غير كافية بأن تم إعطاء اسمريتىاس مكانة تفوق الفيدات لأنها تعطي العادات التقليدية والطقوس الاجتماعية السائدة فى المجتمع شكل القانون، يجب أن يكون هناك سبب آخر لجعل البراهمة الاسمريتىاس هذا المكان الفائق، حتى جعلوها أعظم مكانة من الفيدات! وماذا فعل البراهمة، فقد أخذوا ذلك الجزء من الفيدات التى تتعلق بالنظام

الطبقي وأدخلوها في الاسمريتياس وقاموا بنشرها وترسيخها في عقول السذج والبسطاء من الناس.

لم يقم البراهمة بمثل هذه الألعاب البهلوانية فحسب، وإنما أظهروا المزيد من الأعمال المشعوذة فيما أتى من الوقت.

وبعد اسمريتياس تأتي درجة بوراناس. هناك ٨ بوراناس، ٨ شبه بوراناس، ومن حيث المجموع هناك ستة وثلاثون بوراناس. بطريقة ما، الموضوعات المذكورة في بوراناس متشابهة فيما بينها. وتناقش هذه الكتب أصل الكون وصيانتته وتدميره. غير أنها تختلف أيضًا فيما بينها من ناحية وأخرى. حيث تعلّم بعض الآيات "عبادة براهما"، والبعض الآخر عبادة شيفا، ومنها ما تعلّم عبادة الإله فيشنو، وبعض الفايو، والبعض الآخر عبادة النار، ومنها ما تُعلّم عبادة الآلهة والملاك، ومنها ما تُعلّم عبادة الآلهة والآلهات الأخرى.

وكما قيل، في يوم من الأيام كانت بوراناس لا تُعدُّ ضمن الشروتياس. ويبدو أنه حدث تغيير ثوري في وقت لاحق. فها هي تلك البوراناس التي لا تعتبر دنيوية لدرجة أنها لم يتم احتسابها ضمن "الشروتياس" لكن في وقت لاحق تم وضع مكانتها فوق الشروتيات..

فقد جاء في "وايو-براناس":

قبل كل الصحف المقدسة أول ما تكلم به خالق الكون هي "براناس" وتنزلت الفيديات لاحقاً.

ولاتفيد بيانات "ماتسيا بورانا" بأن بوراناس نشأت قبل الفيديات فحسب، لكنها تفوقها في المحاسن والفضائل كذلك، فهي مرتبطة بالكلمة نفسها. في بعض الأحيان كان هذا الحديث يقال عن الفيديات وحدها. فمن أقوال "ماتسيا بورانا":

"من بين جميع الكائنات الخالدة؛ تَشَكَّلَ براهما لأول مرة. ثم ظهرت الفيديات مع أجزائها الرئيسية والفرعية، وعندئذٍ ظهرت أشكال عديدة من خلقه. بوراناس التي كانت أبدية، نشأت من "الكلمات" المقدسة، احتوت على عشرات الملايين من الآيات والترانيم، كانت أول الكتب المقدسة التي خرجت من فم براهما، فيما بعد خرجت الفيديات من فمه. ثم ظهرت فلسفة العدل لاحقاً مع ميانسا وأنواعها الثمانية من البراهمن.

تدعي البهاغافاد بورانا نفس الأصالة، فمن قولها:

أبلغ البراهماترا عن إبداع البهاغافاد غيتا، ودرجة "البهاغافاد برانا" متساوية مع درجة الفيديات.

في حينٍ تعلن "براهما ويطرا برانا" نفسها متفوقة على الفيديات. فمن تصريحاتها:

"إن الحكيم المؤقر الذي ترغب في معرفته هو معروف جيداً بالنسبة لي، كما أن جوهر بوراناس أيضاً معروف لدينا، ومعروف لدينا كل من براهمافايفارتا بورانا الشهير، التي تعطي رؤية لأخطاء بوراناس أصلية وبوراناس فرعية وفيدا."

من أجل إعطاء الأولوية والتقدم والأصالة لنصوصهم المقدسة، استخدم البراهمة عملاً مشعوذاً آخر هنا.

هذه ليست القصة الكاملة لإذلال الفيدات والتقليل من شأنها. هناك المزيد من الشرور المتربصة بها فيما سيأتي من الزمان. وبعد بوراناس ظهر نوع آخر من الأدب، والذي كان يسمى "التانرا". عددهم مرتفع بما فيه الكفاية. وقد ذكر تشانكرا آتشاريه عددها والذي يبلغ نحو ٦٤ تانرا، وسيكون عددها أكثر أصلاً.

الرأي التقليدي هو أن هذه النصوص قد ألفها "داتاتريا". وكان "داتاتريا" صورة متجسدة لبراهما أي خالق الكون، وفيشنو، وماهيش، ثلوث الهنداس. هذا هو السبب في أنها تعتبر أيضاً مظهرًا من مظاهر الآلهة الثلاثة الأسمى. وفي الشكل المادي، كل هولاء الآلهة تعتمد على "شيفا" وحده، الذي، أثناء حديثه مع زوجته "دورغا" أو "كالي"، يظهر المبادئ والمعتقدات الإلهية التي يجب على أتباع تلك المدرسة الهندوسية قبولها والخضوع لعبادتها. يقال إن هذه المعرفة الأصيلة أو عالية المستوى قد خرجت من الفم المركزي

لبراهما، أي الفم "الخامس". وعلى هذا المنطلق يعتبر الكتاب مقدسا وسرياً كذلك. ويمكن الوصول إلى جذرها فقط لأناس يعتقدون بأصالتها، وتسمى هذه النصوص أيضاً بـ "آغاماس" وأخص من الفيدات والكتب الدينية ونصوص الرسائل الأخرى.

تعتبر التانترا على وجه الخصوص كتاباً مقدساً للشكتاس والفرق الهندوسية الأخرى مثلهم. هناك العديد من مبادئ التانترا مع العديد من التقاليد المختلفة. لا يمكن فهم اختلافاتها وتنوعاتها إلا من قبل أقرب أتباعها وأخلصهم. تعتبر الأنشطة الدينية مقدسة ويُعتقد أنها تنسجم مع الفيدات. يتم وصف سلوك واماتشاريين للطبقات المنبوذة والمسحوقة أي شودراس فقط.

مثل تعليم البوراناس، يعتمد تعليم التانترا أيضاً على مسار التفاني، والذي يعتبر أعلى من مسار المعرفة ومسار عمل البراهمانات والأوبانيشاد. يتم تسجيل عبادة الألوهية المتجسدة، خاصة عبادة زوجة شيفا "بارفاتي" والتي تعتبر غاية الخلق للكون كله، في كل هذا تم تغليب الجانب الأنثوي ومقاطعة الرجولة بشكل ما.

ما هي العلاقة بين التانترا والفيدا فيما بينها؟ يرى "كَلُّو باتا" المفسر الشهير لقانون منو (منو اسمريتي): بأنه ليس لديه أي اعتراض على القول بأن هناك نوعين للشروتياس: الشروتي الفيديوي والشروتي التانتركي، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على أن الفيدات والتانتراس كليهما تحتلان نفس المكانة ولهما

وضع مماثل. في حين أن يعطي البراهمة الفيديويين مثل كُلو باتا وضغًا متساويًا لـ التانتراس والفيدات؛ فقد ذهب مؤلفو التانتراس إلى أبعد من ذلك. يقولون أن الفيدات و"شاستراس" و"بوراناس" كلها مثل المرأة العادية والتانترا مثل المرأة عالية الولادة. وهذا يعني أنه وفقًا لاعتقادهم، فإن التانترا فوق الفيدات ولها مكانة أعلى من الفيدات.

ومن خلال كل هذه الملاحظات أصبح واضحًا بأن آراؤهم حول الكتب المقدسة التي كان البراهمة يعبدونها ويقدمونها لا تبدو مستقرة وأن آراءهم بخصوصها مضطربة للغاية. وقد بذلوا جهودًا مضنية لا لإثبات الفيدات مقدسة فحسب بل لإعلانها معصومة عن الأخطاء والزلات كذلك. لم يعلنوا بإعلان الفيدات معصومة عن الأخطاء فحسب وإنما قاموا بوضع الخرافات والأساطير التي لاتأوي إلى دليل ولا منطق لمجرد إثباتها مثالية للغاية. على الرغم من بذل كل الجهودات لأجل الدفاع عن الفيدات وقداستها لم يترددوا فيما بعد بوضع قداستها تحت الأقدام ووضع مكانتها تحت الاسمريتياس، وبوراناس، حتى من نصوص التانترا كذلك.

ومن ثم ينشأ هنا سؤال كبير وهو ما الذي حصل عليه البراهمنيون، الذين اعتبروا الفيدات الخاصة بهم على أنها نصوص دينية بعد أن وضعوها أدنى منزلة وأقل شأنًا حتى من اسمريتياس، وبوراناس، والتانتراس؟

## الأوبانشادات ضد الفيدات

ما هو موقف الأوبنشادات بالنسبة للفيدات؟ هل الاثنان تكملان بعضهما البعض أم أنهما متعارضتان فيما بينهما؟ ليس هناك شك في أنه لن يقبل أي هندوسي أن الفيدات والأوبنشادات متناقضتان وأنهما تنتميان إلى مدرسة فكرية واحدة، هل هذا الاعتقاد حقيقي؟

السبب الرئيسي لمثل هذا الاعتقاد هو أن اسمًا آخر للأوبنشادات أصبح شائعًا في الأوساط العلمية، وهذا هو "فيدانتا". كلمة "فيدانتا" لها معنيان: يمكن فهم معنى هذا أنه الجزء الأخير من الفيدات. كما يتم استخدامها المعنى ثانٍ وهو "جوهر الفيدات أو مخها". نظرًا إلى أن أحد أسماء الأوبنشادات هو "فيدانتا"، فقد أصبح كل من المعاني المذكورة أعلاه لكلمة الأوبنشاد ثابتة في حد ذاتها.

إلى أي مدى يمكن هذان المعنيان لكلمة "أوبنشاد" أن يكونا صحيحين؟ سيكون من الأفضل أن نفكر أولاً في كلمة فيدانتا. تعني كلمة "فيدانتا" نهاية الفيدا أو الجزء النهائي للفيدا. فكلمة "فيدانتا" هنا ليست سوى ترجمة لكلمة "فيدادو"، ولا يصح ترجمتها بكلمة "فيدانتا" أو "أوبنشاد" على حد رأي مفسر الفيدات سايناتشاريه (ت ١٣٨٧ م).

وتؤكد المصادر البوذية الغوتمية بأنه كان هناك فرقاً بين الأوبنشادات والفيديات خلال فترة غوتما بوذا ولم تكن الأوبنشادات جزءاً للأدب الفيدي. فقد كتب هاريداتا في "قاموسه" أن الأجزاء من "آرنيك" التي لم تكن من الأوبنشاد تسمى "فيداتنا" وهذا دليل قاطع على أن الأوبنشاد لم يتم عدّها ضمن الفيديات، وكان مكانها خارج النطاق.

هذا الرأي مدعوم أيضاً بكلمة "فيدا" المستخدمة في البهاغافاد غيتا. تستخدم كلمة فيدا في العديد من الأماكن في البهاغافاد غيتا. يقول "شري بهاتا" أن المعنى الذي تم استخدام "كلمة فيدا" له، في "البهاغافاد غيتا" يوضح أن الأوبنشاد لم يتم حسبانه ضمن الفيديات.

وبالتالي يختلف موضوع الأوبنشادات عن موضوع الفيديات تماماً. هذا سبب إضافي لإبراز الفرق البين بين الصنفين من الكتب، فلاتأتي الأوبنشادات ضمن الفيديات في صورة ما. فما هو أصل كلمة "أوبنشاد" وما هو مدلولها الحقيقي؟ استخدم العديد من العلماء الأوروبيين هذه الكلمة للإشارة إلى "الجلوس بالقرب من المعلم".

هناك اعتراضان على هذا الاستنباط للبروفيسور ماكس مولر. لذلك فإن هذا المعنى غير صحيح بالنسبة له.

عنده مدلول خاص وهو مقبول لدي العديد من الفلاسفة الهنود؛ فالذي يقضي على الجهل هو أوبنشاد! فإن صحّ تعبير البروفيسور ماكس مولر

فسيصبح هذا دليل آخر في هذا الصدد على أن الفيذا والأوبنشاد ليسا مكملين لبعضهما البعض، وكلاهما متناقض. إن اعتقاد الهندوس العاديين حول كليهما خاطئ تمامًا. مما لا شك فيه أن نطاق التفكير في الأوبنشاد يختلف تمامًا عن محتوى الفيذا.

يقول موندك أوبنشاد:

"يجب معرفة نوعين من العلم: "العلم الذاتي أو الوعي الذاتي"، و"العلم الكوني". وتأتي ضمن العلم الكوني "ريج فيدا"، و"يجورفيدا"، و"علم النجوم" كذلك. وأما العلم الذاتي أو الوعي الذاتي هو علم يؤدي إلى تحقيق الخلود، وفيه إشارة بوضوح إلى الأوبنشاد.

ويقول تشاندوغيه في هذه الخصوص:

"اقترب "نارادا" من ساناتكومار - وقال يا شيخي! علّمني وأعطني المعرفة. ونال نارادا جواباً يقول: 'تعال إلي وأخبرني بكل ما تعرفه؟ وكل ما هو جدير بالمعرفة سأخبرك وأعلمك إياها. (2) رد نارادا - يا شيخي! لقد قرأت ريج فيدا، وسام فيدا، ويجور فيدا، و الكتاب الرابع أثروا فيدا، حتى قرأت الفيذا الخامس بورانا أتيهاس. لقد قرأت باب الأبوية، واكتسبت المعرفة بالرياضيات، وعرفت الفأل السيئ أي الشؤم، وأعرف الأعمار العظيمة، وأنا على دراية بالمنطق والأخلاق، وأنا على علم بالألهيات، كما أعرف النصوص المقدسة، و علم الشياطين، و علم الحرب، ولديّ علم النجوم، أعرف عن

الثعابين والآلهة... كل هذا أعرفه. يا شيخي! أنا أعرف فقط التغني. لا أعرف شيئاً عن الروح. لكنني سمعت من الشيوخ أمثالك - شخص يعرف أن الروح تتجاوز المعاناة. شيخي! أنا حزين اقترح لي ما ينهي حزني ويعيد لي سعادتي!

أجاب ساناتكومار - "كل هذا ، كل ما درسته ، هو مجرد اسم." (4) ريجفيدا مليئة "بالاسماء" - عبادة الاسماء فحسب. الشخص الذي يعبد "الاسم" مثل براهمان ، يتلقى كل ما يأتي تحت كلمة براهمان.

سأل نارادا استيفار - "شيخي! هل هناك أي موضع فوق "الاسم". كان رد ساناتكومار: هذا هو الوضع. كان طلب نارادا، أخبرني.

يقول بردارانيك أوبنشاد:

"في تلك الحالة من الاستغراق التأملي، لا يبقى الأب أباً، والأم أما، والعالم عالماً، والآلهة آلهة، والفيديات فيدا، وطقوس الياغيه ياغيًا، كما لا يبق السارق سارقاً في ذاك الوضع، ولا يكون قاتل الأجنة قاتلاً، ولا يبقى المحب محباً، والطالح طالحاً، والراهب البوذي راهباً، والزاهد زاهداً، ففي تلك الحالة يصبح الناسك لا يعبأ بالربح ولا الضر، ويطرف عن الفضائل والرذائل؛ لأنه بعد ذلك يتجاوز حدود كل أنواع الأحزان".

فقد ورد في كتوب أوبنشاد:

"لا يُكتَسَب الوعي الذاتي بالدراسة والتعلم، ولا بالعقل، ولا من النصوص الدينية. ولا يمكن من اكتسابه إلا من تختاره روحه، أو تجعل الروح من جسد ذلك الرجل مسكنًا لها.

"على الرغم من أنه ليس من السهل معرفة هذه الروح، إلا أنه من السهل التعرف عليها بالوسائل الصحيحة ... معرفة الذات أو الوعي الذاتي لا يتم الحصول عليها بالتعليم ولا بالعقل ولا بدراسة العديد من الفيدات ... فكيف تُكتَسَبُ إذن؟"

كم كان هناك من معارضات تجاه الأوبنشاد وفلسفتها، يتضح هذا العدد الهائل من المعارضات من دراسة أصل الكلمات "أنولوما" و "براتي أولوما"، تستخدم هاتان الكلمتان بشكل عام فيما يتعلق بعلاقة الزواج في المجتمع الهندوسي. وبخصوص أصل الكلمة يكتب السيد كين:

"إن كلمتي "أنولوما: و"براتي أولوما" كليهما على حد سواء، والتي يتم استخدامها فيما يتعلق بزواج الهندوس، ما كانت تستخدمان بنفس المعنى في أي مكان في الأدب الفيدي. وقد سبق استخدامها في "برهادرانيك" و "كوشيتكي" بمعنى الكون، والذهاب إلى ناحية من نواحي الكون وأخرى.

أنولوم تعني بالتوافق مع "لوم" يعني بترتيب طبيعي، في حين يفيد "براتي لوم" ما هو ضد العالم أي ضد الترتيب الطبيعي. فيما يتعلق بأصل كلمة "براتي ولوم" يقول السيد كين: "يتضح من الرأي الذي عبر عنه السيد كين أنه حتى

لو لم ينظر البراهمة الفيديّة إلى الأوبنشاد بازدراء، فإن الأوبنشاد كان لا يزال لا يهمّهم قط. هذا دليل آخر للكشف عن وجود التباين البيّن بين الفيدات والأوبنشادات.

مثال واضح يدلّ على مدى تمييز عنصري بين البراهميين الفيديين ضد البراهميين المتعلمين من الأوبنشاد، وهو مثال البوذية دارما سوترا أو سوترا الخاصة. يقول البوذيان في "دارما سوترا" (٨/٣): إنه يسمح لدعوة البراهمة المتصوفة إلى حفل شراده فقط عندما لا يتم العثور على براهمين آخرين.

وغني عن القول إن الصوفي البراهمة يعني البراهمة الذي قام بدراسة جادة للأوبنشاد.

فكيف إذن نشأ معتقد يفيد بأن الفيدات والأوبنشاداس يكملان بعضهما البعض، وما زال هذا المعتقد لغزاً في حد ذاته؟

## الفيادات أهم وأعلى درجة من الأوبنشادات

في المبحث السابق تم توضيح أن الأوبنشاد لم يكن في البداية جزءاً من الفيادات، وكلاهما متعارض فيما بينهما من حيث المبدأ. وكيف نشأت علاقات ودية بينهما فيما بعد، هذا، موضوع دراسة مثيرة للاهتمام. وكيف كانت العلاقة بينهما فيما بعد...؟؟ كل هذا يتضح من الخلاف المتبادل بين الفيلسوفين: "جياميني" و"بادرايانه".

"جياميني" هو مؤلف "ميانسا سوترا" و"بادرايانه" هو مؤلف "براهمن سوترا". يؤيد جياميني الفيادات وأما بادرايانه فهو يؤيد الأوبانيشاد.

وكان موضوع الخلاف بينهما هو هل يصح الاهتمام بطقوس القرابين (ياغيه) أم لا؟ ترى الفيادات أنها تصح، في حين ترى الأوبانيشادات أنها لا تصح إطلاقاً.

وقد ذكر بادرايانا مذهب جياميني في سوتراته رقم (٢-٧) وقام تشانكرا آشاريه بتفسيره في كتابه "بهاشيه".

ومذهب جياميني يتمثل فيما يأتي:

لا يقدم أي إنسان أي قربان إلا إذا كان يعتقد أنه منفصل عن الجسد وأنه بعد الموت سيذهب إلى الجنة ويذهب حيث يستمتع بثمار القرايين التي قدّمها في حياته. العبارات المتعلقة بمعرفة الذات تحدث عنم يقوم بأداء القرايين. لذلك هي تحتل مرتبة ثانوية مقارنة بأوامر أداء القرايين.

وباختصار، كل ما يستفاد من قول جياميني هو أن فيدانتا لا تعلّمنا إلا أن الروح منفصلة عن الجسد، وتبقى حتى بدون الجسد. وهذا القدر من المعرفة لا يكفي. يجب أن يكون لدى الروح رغبة في دخول الجنة. ولكن ما لم يؤد القربان، فإن ذهابه إلى الجنة غير ممكن. ولا تعلّم كرما كاندا إلا طريقة أداء القرايين فقط. لذلك، فإن "كرما كاندا" هو الطريق الوحيد للنجاة، ومن وجهة النظر هذه، فإن غيانا كاندا أو المعرفة تبدو عديمة الفائدة تمامًا. ولأجل تدعيم قوله قدّم جياميني أمثلة لأشخاص قاموا بطقوس القرايين على الرغم من انتباههم إلى مذهب الفيدينتي المعرفي أي مع اعتقادهم بفلسفة المعرفة أو التنويرية. ومن هؤلاء الشخصيات هناك أسمين: جاناك، وأشواباتي، يقول جياميني أن كلا من جاناك وأشواباتي كانا ينتميان إلى الفلسفة التنويرية أو المعرفة، فإذا كان بمجرد معرفتهم الكوني يمكن لهما النجاة والتحرر فلماذا قاما بأداء القرايين؟ وإن دلّ هذا على شيء فإنها يدلّ على أن النجاة لا تتحقق إلا من خلال أداء القرايين فحسب، لا عن طريق العلم الكوني أو معرفة الذات أي الوعي الذاتي كما يرى فيدينتي.

وتفيد تصريحات جياميني العلمية أن الكتاب المقدس يعلن أن النجاة يتم تحقيقها فقط من خلال تقديم القرابين، وبالتالي فإن معرفة الذات أو الوعي الذاتي هي مرحلة ثانية تالية. ولا يقبل جياميني حتى بالسلطة المستقلة لجيان كاندا الذي ينتمي إليه باداريان. ويقدم حججاً تدعيًا لمذهبه هذا:

(١) معرفة الذات وحدها لا تثمر بشكل مستقل أو بمفردها.

(٢) وفقاً للفيدات، فإن منزلة كرما كاندا أعلى من منزلة المعرفة "جيان

كاندان".

هذا هو موقف جياميني فيما يتعلق بفضيحة معرفة باداريان، ما هو موقف بدريان من جياميني وطقوسها؟ أوضح بادريان موقفه من براهما سوترا على النحو التالي:

قال بدريانا إن أول ما يتحدث عنه جياميني هو روح محدودة، يجب فهم الفرق بين الروح أي "آتما" والكون أي "البراهمان"، فقد اعترفت النصوص المقدسة بوجود الكون أو البراهمان.

الشيء الآخر الذي قاله بادريان هو يتعلق بالفيدات، حيث تدعم الفيدات نظرية معرفة الذات والقرابين كليهما.

وحجة بدريانا الثالثة هي أن أولئك الذين يؤمنون بالفيديات، يجب عليهم أداء القرابين. لكن ليس من الضروري لمن يتبع الأوبنشاد أن يقوم بأداء القرابين.

يوضح تشانكرا آشاريه هذه الحجة على النحو التالي:

أولئك الذين قرأوا الفيديات وهم على دراية بالقرابين كذلك، يجب عليهم أداء القرابين. وأما من لديهم معرفة ذاتية، فإن القرابين ليست لهم عملاً يفيد. المعرفة الكونية ومعرفة الذات لا تتوافقان فيما بينهما.

قال بادريانا الشيء الرابع الجدير بالذكر هنا أن طقوس القرابين اختيارية فقط للبراهمين الذين لديهم معرفة الكون. يقول تشانكرا آشاريه بهذا الخصوص:

"لقد تخلى بعض الناس عن جميع الطقوس (كرما كاندا) بإرادتهم الحرة. وقد يختار الآخرون الانخراط في هذه الطقوس ليثبتوا أنفسهم المثل الأعلى للآخرين! ويمكن للبعض الآخرين التخلي عن جميع الطقوس. لا توجد قيود على أن يظل العارفين بالعلم الكوني منخرطين في الطقوس لأنهم على دراية مستمرة بأنفسهم.

موقفه الواضح الأخير هو- معرفة الكون هي نقيض كل الطقوس (كرما كاندا). لا يمكن أن تكون معرفة الكون أقل مستوى من ممارسة الطقوس.

دعماً لبيانه، يقدم تشانكرا آتشاريه شهادة من الكتب المقدسة التي ترى الرهبنة على أنها الأشرم الرابع وتعتبر الرهبنة خالية من جميع الإجراءات التي تفرضها الطقوس (كرما كاندا).

يمكن الاستشهاد بالعديد من مثل هؤلاء البراهمسوتراس التي يتضح من خلالها مواقف العالمين. يرى جياميني أن فيدانتا كتاب مقدس زائف، فيه فخ، وخدعة، وتلفيق، وتزوير، وأنه غير ضروري وعبثي للغاية. كيف يتصدى بدريان لهذا الهجوم؟ هل يدين أيضاً طقوس جياميني باعتبارها كتاباً مقدساً مزيفاً، وفخاً، وخدعة، ومزوراً، وغير ضرورياً، وعبثياً؟ لا، لا يمكن لبدريان أن يظهر مثل هذه الشجاعة. إنه متسامح جداً. يقول إن طقوس جياميني (كراما كاندا) كتابية وأن نقاء وأصالة تلك النصوص الدينية عالمية. يقول فقط أن مذهبه "فيدانتا" صحيح أيضاً لأنه كتابي مثل طقوس جياميني.

لا يكتفي بادرايانا به فحسب، بل يستخدم كلمة فيدانتا في معنيين. كما يصر على أن الأوبنشادات (فيدانتا) هي جزء من الفيديّة. كما يقول إن معرفة الأوبنشاد أو فيدانتا ليست ضد طقوس الفيديا. كلاهما يكمل بعضهما البعض. قام بادرايان ببناء هيكل فيدانتا سوتراس على هذا الأساس.

غير أن معتقدات بادريان التي يقيم على أساسه موقفه بأن أوبنشاد جزء من الفيديا وأنه لا يوجد صراع ولا تناقض بين الأوبنشادات والفيديات، ليست بصحيحة تمام. فهو مضاد لتأسيس الأوبنشاد وعلاقتهم بالفيديات. وليس من

السهل فهم وجهة نظر بادرايانا، لكن من الواضح أن موقفه هو موقف خصم  
مثير للشفقة يبدأ حربه بقبول أفكار خصمه. لماذا قبل بادارايان صحة آراء  
الذين كانوا ضد الفيادات والأوبنشادات؟ لماذا لم يؤيد بادارايان الحقيقة، الحقيقة  
الكلية، والحقيقة المحضة؟ فقد خان بادريان مع معتقداته بخصوص سوترا  
فيدانتا؟ لماذا ذلك؟

## تحارب الآلهة فيما بينهم

تعتمد فلسفة ربوبية الهندوس فيما يتعلق بالعالم على مبدأ تريمورتى (ثلاثية الآلهة). وبموجب هذه القاعدة أنه يجب أن يمرّ العالم بثلاث مراحل: الميلاد أو الظهور، والاستقرار (الحياة)، والفناء (القيامة). إن هذه المراحل دورة لا نهائية تستمر دون توقف. يتم تنفيذ الإجراءات لهذه المراحل الثلاثة بواسطة آلهة ثلاث. أي تقع مسئولية القيام بكل هذه المراحل على عاتق آلهة ثلاث. وهم: براهما، وفيشنو، وماهيش؛ فالإله براهما يخلق، والإله فيشنو يربّي، وأما الإله ماهيش فيقوم بالتدمير والتخريب أي يقضي على الحياة للميلاد الجديد (الحياة الجديدة من خلال التناسخ). ويسمى هؤلاء الآلهة معاً بـ تريمورتى (أي الآلهة الثلاث). تنطلق عقيدة "تريمورتى" (ثلاثية الآلهة) بأن الآلهة الثلاث لهم نفس المرتبة في كل شيء، وأنهم يشاركون في أداء المهام التي يتم إنجازها في نفس الوقت، وهم لا يتنافسون فيما بينهم، بل هم أصدقاء مشتركون. إنهم لا يتعارضون مع بعضهم البعض قط.

لكن عندما ندرس الكتب المعنية التي تُصوّر في طيات صفحاتها شخصية هؤلاء الآلهة الثلاث، نرى تبايناً واضحاً مثل تباعد الأرض والسماء في أقوالهم وأفعالهم، وأنى لهم يكونوا أصدقاء مشتركون، ويبدو أن الآلهة الثلاث هم

أعداء متناحرون. إنهم يقاتلون فيما بينهم من أجل الكرامة والسلطة. هنا نسوق بعض الأمثلة من "بوراناس" والتي سوف توضح الموقف بقليل:

بعض الأحيان، يبدو أن براهما كان فيما مضى الإله الأسمى مقارنة بشيفا وفيشنو، وكان خالق الكون؛ بديع الكون كله، ورب الناس. وكان سلفاً للإله شيفا وسيداً للإله فيشنو. حيث بأمر من "براهما" أصبح فيشنو حامياً ووصياً للعالم. وكان براهما قوياً لدرجة أنه أصبح حاكماً حاسماً في القتال الذي دار بين "رودرا" و"نارايانا" وفي القتال بين كريشنا وشيفا.

ومن الحقيقة أيضاً أنه في وقت لاحق خاض براهما معركة مع الإله شيفا وفيشنو، وجراء ذلك أصبح براهما أضعف من شيفا وفيشنو.

يمكن تقديم حادثتين من الخلاف بين براهما وفيشنو على سبيل النموذج لا

الحصر:

الحادثة الأولى - قصة التجسد (أفاتار<sup>(١)</sup>): وهي تتعلق بتجسد الإله براهما، وبه تبدأ قصة التجسد مع براهما. يقال عنه أنه أخذ تجسدين - (١) تجسد خنزير (٢) تجسد سمكة. لكن لم يعجب هذا التجسد أتباع فيشنو، فكفروا به، وقالوا: إن هذه الصور الرمزية لم تكن تجسيدات لبراهما، وإنما كان

(١). أخذ الصورة الرمزية والتمثل بها أمام الإنسان.

تجسد الإله فيشنو. ولم يكتفوا به، وإنما ابتكروا العديد من الصور الرمزية لفيشنو لإثبات تجسده.

وفي البوراناس هناك عدد لا يحصى من تجسيدات الإله فيشنو وصوره الرمزية. وفي شتى بوراناس نجد شتى صورته الرمزية؛ ففي "هاريفانشا بورانا" تم إحصاء خمسة تجسيدات لفيشنو، وفي "نارايانا آكيان" هناك عشرة تجسيدات له، ونفس العدد من الصور الرمزية المذكورة في "فاره بورانا"، بفرق بسيط حيث ذكر فيه "تجسيد بوذا" بدلاً من تجسيد "البعجة" من بين التجسيدات العشرة السابقة. وهناك ١٢ تجسداً في "وايوبورانا"، وقد حذف العديد من الصور الرمزية المذكورة في "فاره بورانا" وأضيفت تجسيدات أخرى محلها، في حين وصل عدد هذه التجسيدات إلى ٧٢ صورة رمزية في "بهاغا فا بورانا"، ومن بينها "تجسد كريشنا"، و"تجسد رامانا"، و"تجسد كيلكي"<sup>(١)</sup> في المستقبل.

والقصة الثانية قد تكون مثيرة للجدل بين الناس، وهي تتعلق بمن وُلد أولاً؟ وردت هذه القصة في "سكاندا بورانا". تحكي القصة أنه بمجرد أن كان فيشنو ينام ورأسه على صدر الإلهة. فنشأت زهرة اللوتس من سرتها وصعدت، وسرعان ما وصلت زهرة اللوتس إلى سطح الفيضان. قفز براهما من الزهرة.

(١) تشير العديد من المصادر المهمة أن الصفات المذكورة في خصوص "كيلكي" هذا، هو نفس الصفات المحمودة لخاتم الأنبياء محمد - صلى الله عليه وسلم -، يرجع لمزيد من التفصيل حول الموضوع إلى كتاب "كيلكي أفاتار ومحمد" للمؤلف الهندوسي الدكتور ويد براكاش أبادياي.

معتقدًا أنه أول مولود في العالم، وبالرغم من ذلك أراد أن يتأكد من هل هناك شخص آخر ولد قبله في هذا العالم الواسع؟ نزل من جذع اللوتس ورأى فيشنو نائمًا هناك وسأله - "من أنت؟" قال فيشنو: "أنا أول مولود." عندما رفض براهما قبول دعواه، تشاجر كلاهما. ثم حاول مهاديف أن يصلح فيما بينهما كوسيط، وقال - "أنا الذي وُلدت من قبلكما. لكنني أنا مستعد لقبول المولود الأول أحدكما من يصل إلى قمة رأسي أو يلامس نعلي؟ فقد حاول براهما أن يصعد على الفور إلى قمة رأس مهاديف وأرهق نفسه ولكن دون جدوى. وبالرغم من ذلك حاول، لأنه ما كان يريد أن يُحرم من حقه بكونه "المولود الأول"، وبالرغم من فشله في المحاولة عاد إلى ماهاديف وادعى بأنه لمس رأس فيشنو وأنه اتخذ "بقرة أولى" كشاهدة له. وبه تجرأ على الكذب والأناية، غير أنه انكشف عليه كذبه، فقرر مهاديف بأن لا يكون هناك مكانًا لبراهما في الطقوس الدينية، وأن يكون فم البقرة ملوثًا منذ ذاك الحين... وبجانب آخر عندما عاد فيشنو فاعترف بالحقيقة بأنه لم يستطع الصعود حتى إلى نعال مهاديف. ففرح مهاديف بصدقه، وقال أن تستحق أن تكون المولود الأول ويجب أن تعيش فوق كل الآلهة. ثم قطع براهما الرأس الخامس لمهاديف. وهكذا حُرِم من أنايته وسلطته ونفوذ.

وفقًا لهذه الحكاية، ثبت أن ادعاء براهما بأنه أول مولود كان كذبًا. فعاقبه شيفا بسبب كذبه، غير أنه بفضل شيفا حصل على الحق في زعمه وقوله بأنه كان

هو المولود الأول. ونشأ الغضب في قلوب أتباع براهما ضد فيشنو، والذي تسبب في حرمان براهما من حق الأولوية في الميلاد بمساعدة شيفا، ومن هنا وضعوا قصة مزيفة أخرى تقول بأن شيفا ولد من أنف براهما في شكل جرو خنزير وبالتدريج أصبح "وارها"! يا له من تفسير حقير بخصوص تجسد شيفا في شكل "وارها".

بعد ذلك، بدأ براهما يزرع بذور الحقد والعداء السافر بين شيفا وفيشنو لأجل استعادة كرامته المفقودة. وهذه الحكاية وردت في "رامايانا" على النحو التالي:

"عندما كان الملك دشراتا عائداً إلى عاصمته بعد وداع جاناكا، تنبه لسماع أصوات بعض الطيور المتشائمة. عزاه الحكيم الناسك فاششت بقوله: إنه محاط بمثل هذه الحيوانات من الغابة، والإحاطة بمثل هذه الحيوانات تعتبر فألاً حسناً. وأصلاً كانت هذه إشارة إلى حدث مخيف على وشك الحدوث، وهو وصول باراشوراما. قبل ذلك كانت هناك عاصفة هزت الأرض وجعلت الأشجار والنباتات تنام في سبات عميق، وساد ظلام هالك غطى الشمس بشكل كامل. كان شكل باراشوراما رهيباً، يلتهب كالنار. يحمل على كتفه فأساً وقوساً. بعد الترحيب به والتحيات التفت نحو راما وقال: "لقد كسرت قوس الملك جاناك (لأجل الحصول على سينا المتربية على يديه). لقد سمعت شجاعتك. لقد أحضرت لك هذا القوس الآخر. إذا نجحت في إخضاعه

ووضعت هذا السهم على خيطه، فسوف أتحداك لأجل المبارزة. و"لدى سماع هذا الخطاب، شعر والد راما دشراتا بالقلق. واتخذ موقفًا لطيفًا تجاه باراشوراما، حتى ذلك الحين خاطب باراشوراما "راما" مرة أخرى وقال: "القوس الذي كسرته كان قوس شيفا، والقوس الذي أحضرته لنفسى هو قوس فيشنو. تم صنع هذين القوسين بواسطة "فيشواكارما". وقد أعطى الآلهة أحد القوسين لمهاديف (شيفا) والثاني لفيشنو".

"ثم تضرع جميع الآلهة إلى براهما ليخبرهم عن مدى قوة ماهاديف و فيشنو؟ لقد فهم براهما، الذي كان الأكثر مهارة من بين الثلاث، إلى ما يشير إليه الآلهة ... فأنشأ العداء بين شيفا و فيشنو. كانت حالة العداء هذه رهيبية للغاية، دار قتال عنيف بين مهاديف و فيشنو. أراد كل من الألهين هزيمة بعضهما البعض. في ذلك الوقت انحنى قوس شيفا العظيم فقام فيشنو بأسر مهاديف ذي العيون الثلاثة بقوة المانترا. وعندما خر الآلهة كلهم ساجدين تابعين للإلهين معًا، أصبحت هادئين، وبرؤية الآلهة أن قوة فيشنو قد انحنى قوس شيفا، اعترفوا بأن الإله فيشنو أكثر قوة. وعلى هذه الشاكلة انتقم براهما من مهاديف.

حتى مع هذا الترتيب الحربي الدقيق، لم يستطع براهما الحفاظ على مكانته بمقابل فيشنو. وشهد تدهورًا كبيرًا بالمقارنة مع فيشنو لدرجة أن فيشنو الذي كان في وقت من الأوقات يطبع أوامر براهما، أصبح والد براهما، حتى شهد

براهما هزيمة مريرة في الحفاظ على مكانته المرموقة في منافسته مع شيفا، فأصبح شيفا والد براهما؛ فلم يعد براهما هو المنقذ والمحرر. وصار شيفا إلهًا يمكن أن يعطي التحرر والنجاة لمن يلتجأ إليه ويتضرع إليه. كما تراجعت هيبة براهما كثيرًا لدرجة أنه أصبح كاهنًا عاديًا يُعبدُ شيفا ويُحدمه، وصار نوعًا من سائق عربة شيفا.

في وقت لاحق، أتهم براهما باغتصاب ابنته وحتى لم يسنح له فرصة ليُعبد على الإطلاق.

فقد وردت حالته هذه المزرية في "بهاغافاد بورانا" في الكلمات التالية:

"يا أيها كتشاتريه (المحارب)! لقد سمعنا أن سوايامبو (براهما) أصبح مفتونًا بفتاته النحيلة الضعيفة المسماة بـ "أكراشاك فاك". وعندما رأى أبناءه وحكامه أن والدهم عازمًا على ارتكاب هذه الدعارة (أي اغتصاب ابنته) انتقدوا عليه بلطف في قيادة ماريتشي قائلين: "هذه جريمة لم يرتكبها أحد من قبلك ولن يكررها أحد بعدك". وهذا لا يناسب قط للرجال البارزين مثلك أن يقوم الأب باغتصاب ابنته، مع أنه هو فيشنو المجد الذي أضاء العالم كله بأشعته، وقد حمل على عاتقه مسئولية الشؤون الدينية! أنى يكون هذا صحيحًا بالنسبة له! عندما رأى أبناءه وشعبه ينتقدون عليه بهذه الطريقة جهراً، بدأ براجاباتيس (براهما) يشعر بالحجل، فترك جسده، أي تخلى عن حياته التجسدية. هذا الجسد المخيف نفسه أصبح الآن موجودًا كظلام الضباب".

وجاء هذا الهجوم الرذيل المشوّه لسمعة براهما، لأجل القضاء على شخصيته فقط بشكل كلي. فلا عجب أن عبادة براهما قد ألغيت تمامًا، وأصبح الآن يُذكر اسمه فقط ضمن الآلهة الثلاث.

بقي شيفا وفيشنو إلهان يُعبدان بعد خروج براهما من بين الآلهة الثلاث. لكن لم يكن هناك أي أمن ولا سلام بين الإلهين الإثنين. فالغيرة والتنافس بينهما لا تزال باقية حتى الآن.

إن بوراناس مليئة بعمل الدعوة الذي قام به عبّاد شيفا وفيشنو من البرهمنيين فيما يتعلق لصالح كل منهما أو ضدهما. سيتضح مدى عمل الدعاية لصالح وضد بعضنا البعض من خلال هذه الأمثلة القليلة الآتية:

يرتبط إله فيشنو الفيدي بالشمس، في حين جعل كهنة شيفا علاقة شيفا بالنار. كان الهدف هو أنه إذا كان لفيشنو أصل فيدي فيجب أن يكون لشيفا أصلًا أصل فيدي. إذ لا ينبغي أن يكون المرء أدنى من الآخر فيما يتعلق بالأصل المتفوق.

يجب أن يكون شيفا أعلى من فيشون ويجب ألا يكون فيشنو أقل شأنًا من شيفا. إذ كان لفيشنو ألف اسم، فلا بدّ من أن يكون لشيفا أيضًا ألف اسم، وقد ذكرت هذه الأسماء في "بدما بورانا".

إن فيشنو له رموزه الخاصة يبلغ عددها إلى أربعة، فكان من الضروري أن يكون لشييفا أيضاً أربع رموز وهي: (١) نهر الغانج المتدفق (٢) القمر (٣) شيشا ناج (الأفعي الكوبرا)، (٤) الشعر (ضفيرة). ولم ينافس "شييفا" فيشنو فقط بسبب التجسد. هذا لا يعني أن الرغبة في التنافس في هذا الموضوع لم تكن موجودة من قبل، بل لا يمكن تأييد تجسد شييفا من الناحية الفلسفية؛ فقد كان نهجه الفلسفي عقبة رئيسية في هذا المجال.

لم يكن هناك أي نقص في ترويج الأعمال التي تثبت شييفا كإله ناجح، وبالمقابل لم يدخر أتباع فيشنو وسعاً لأجل سمعته إلا وبدلوه بكل جديدة. وهناك تنافس كبير بين الإثنين. وعلى سبيل المثال يتم سرد قصة تتعلق بأصل نهر الغانج المقدس. فقد يرى معتقدو شييفا بأن النهر الغانج خرج من ضفائر شييفا، في حين لايعترف معتقدو فيشنو بهذا الأصل، واخترعوا قصة أخرى، تقول: إن النهر الغانج الطاهر والمطهر للآخرين، خرج من جنة فيشنو - وهو مسكنه<sup>(١)</sup> - أولاً ثم نزل من أقدام فيشنو وصعد نحو جبل "كيلاش" إلى أن صب في ضفائر شييفا. هناك روايتان لهذه القصة. وبداي ذي بدء، أولاً أن شييفا ليس المصدر الأصلي لنهر الغانج. ثانياً أن فيشنو هو الأعلى من شييفا، وأن ماء قدميه يسقط على رأس شييفا.

(١). يطلق على ذلك بـ "فيكوندا".

وتتعلق القصة الثانية بتموج المحيط الذي كان يخرج فيه الآلهة والشياطين معًا. حيث استخدموا جبل ماندار كعصًا لتضخيم المحيط. تم استخداموا الأفعى الكوبرا (شيش ناغ) كحبل. فبدأت الأرض ترتعد وخاف الناس بأنه قد حانت نهاية الأرض. فتمثل فيشنو في تجسد سلحفاة وحمل الأرض على ظهره أثناء تموج المحيط. وتم اختراع هذه القصة لأجل التغني بمجد فيشنو. وأضاف معتقدو شيفا ملحقات لهذه القصة؛ فوفقًا لهذا الملحق، خرج أربعة عشر جوهرة من المحيط نتيجة تموج المحيط. واحدة من هذه الجواهر الأربعة عشر كانت "سم كالاكوتا". كان "سم كالاكوتا" على وشك تدمير الأرض إذا لم يكن هناك أحد يستعد لشربه. كان شيفا هو الذي شرع في شرب "سم كالاكوتا". وملخص هذه القصة هو أن فيشنو كان أحمقًا لدرجة أنه تسبب في خلق السم من الآلهة والشياطين المتصارعة عن طريق تحريك المحيط. وما أعظم شيفا أنه شرب السم، وإلا لكانت هذه الأرض قد دمرت. يا لها من حماقة فيشنو هذه!

وفي القصة الثالثة إشارة إلى أن فيشنو كان شخصًا أحمقًا للغاية.

إنه شيفا الذي حمى فيشنو بذكائه الحاد. هذه قصة شيطان مريد فتاك، وكان "أكرورا أسورا" شيطانًا تمثل في شكل خنزير. كان يتلو باستمرار الفيدات وعاش بتفان كبير. أصبح فيشنو سعيدًا جدًا به وطلب منه أن يطلب أي نعمة يريدتها. قال أكرورا أسورا: "إعطني هبة لا يمكن لأي مخلوق قهرها وألا

يتمكن أحد من العوالم الثلاثة من قتلي." فمنحه فيشنو هذه النعمة. ونتيجة لذلك، أصبح الأسورا عصياناً جداً وبدأ يتعذب الآلهة لدرجة أن الآلهة اضطروا للاختباء. سيطر ذاك الشيطان المرید على العوالم الثلاثة وبسط نفوذه فيها. في ذلك الوقت كان فيشنو متوتراً للغاية وكان جالساً قلقاً جداً على ضفة نهر "كالي". فثار غضبه وغضب غضباً شديداً، وعندئذٍ ظهر من عينه ضوء لم يسبق له مثيل من قبل، وكان هذا الضوء هو مهاديف نفسه، وقضى هذا النور على أكرورا أسورا فذهبت مخاوف فيشنو كلها.

وبالمقابل ذاك، هناك قصة ملفقة أخرى، تثبت بأن شيفا كان أحمقاً وأن فيشنو قام بحمايته من حماقته. حيث طلب الشيطان "بهاساسورا" من شيفا نعمةً أبدية بعد إرضائه. وكانت النعمة هي أن يحترق الرجل الذي يضع يده على "بهاساسورا" ويتحول إلى رماد. فمنح شيفا تلك النعمة. فأراد "بهاساسورا" أن يقوم بتجريب قوته هذه ضد شيفا فقط. أصيب شيفا بالخوف والهلع وذهب مسرعاً إلى فيشنو للاستنجاد، فوعد فيشنو بالمساعدة، وتمثل نفسه في صورة امرأة جميلة واقترب من "بهاماسورا" والذي وقع في حبها، فقال فيشنو (المتجسد في شكل المرأة) يجب عليه أن يطيع كل ما تقوله هذه المرأة الجميلة أن كنت ترغب في حبها، فرضي له الشيطان، وعندئذ طلب فيشنو المتجسد أنه يجب عليه أن يضع يديه على رأسه نفسه، ففعل بهاماسورا ووضع يده على رأسه، وكنتيجة احترق بهاساسورا وتحول إلى رماد... وعلى

هذه الشاكلة قام فيشنو بحماية شيفا وإنقاذه من البلية التي وقع فيها بسبب حماقته.

"هل هناك سبب آخر لاعتبار مهاديف إله الآلهة؟ لم نسمع أبداً أنه يتعبد الآلهة ذَكَرَ (لينغ)<sup>(١)</sup> إله آخر ما عدا مهاديف. وإن كنت سمعتَ أنتَ عن إله آخر ما عدا مهاديف فأخبرني من هو الإله الذي تعبد الآلهة ذكره في الماضي أو يتعبدونه حالياً. إذا كنت قد سمعت ذلك، أخبرني أي إله آخر غير ماهاديف، الذي يعبد الآلهة ذكوره حالياً، أو أنهم كانوا يفعلون ذلك في الماضي؟ أنت هو الإله الأعلى والأعظم الذي تعبد ذكره كل الآلهة حتى براهما وفيشنو وإندرا، أي آلهة التناسلية الذكورية! لأن الأطفال لا يحملون رمز اللوتس لبراهما، ولا رمز فيشنو ممسكاً بالتشاكرا، ولا علامة إندرا "الصاعقة"، نعم أن العضو التناسلي يحمل كل الرجال والنساء، وهو رمز ذكر مهاديف في الرجال وفرج المرأة هو رمز فرج فارباتي... فمن يستطيع القول إنه هناك سبب آخر لخلق الكون غير مهاديف، أو أن تخبرني هل هناك امرأة في العوالم الثلاثة لا تحمل علامة الإلهة.. اطرده أحمقاً يقول تواجد الإنسان بدون عضو التناسلي؟! فمن كان عنده ذكر فاعتبره الإله مهاديف ومن كان عندها فرج فاعتبرها "أوما أي فارباتي" (زوجة مهاديف). مهما ترى من هذا الإبداع المهيب في الكون فجوهره يكمن في الأمرين: الذكورة والأنوثة!

(١). وهو عضو التناسل الرجولي. (م.ع.)

يرى الفيلسوف "جينو فين" أن وجود أكثر من إله واحد أو تعدد الآلهة هو أمر مستحيل. لا يمكن تخيله. هذا الرأي (أي رأي تعدد الآلهة) رأي متضارب. التوحيد هو عقيدة صحيحة وحيدة. من خلال التفكير مثل الفيلسوف فقط، يمكن أن يكون موقف "جينو فين" صحيحًا. وأما من وجهة النظر التاريخية كلا من الشرك والتوحيد أو تعدد الآلهة أو وحدة الألوهية كلاهما ممكن<sup>(١)</sup>. حيث يوجد قسم واحد فقط في المجتمع يمكن أن يكون التوحيد أمرًا طبيعيًا. ولكن عندما يتألف المجتمع من طبقات وشرائح اجتماعية شتى يوجد العديد من الآلهة بشكل طبيعي وحتمي<sup>(٢)</sup>. وبها أن كل مجتمع قديم لم يشمل رجال تلك الطبقة فحسب، بل شمل أيضًا الآلهة الممتين إلى الطبقة، فيمكن لهذه الطبقات أن تختلط مع بعضها البعض فقط بشرط واحد، وهو أن تقبل جميع الطبقات الآلهة من جميع الطبقات، والاعتراف بها. وبهذه الطريقة تطورت نظرية تعدد الآلهة.

- (١) . حتى من وجهة النظر التاريخية أيضًا الحق مع التوحيد فقط، وقد يكون المؤلف صحيح في فكره، لأنه لم يدرس عقيدة التوحيد في التاريخ الإنساني في إطاره العام، وإنما درس التاريخ في سياق الديانة الهندوسية فقط. وربما يعتقد صحة "نظرية الارتقاء" التي أتى بها دارفين، أو نظرية بداية الكون بالهمجية، مع أن الصحيح هو نظرية بداية الكون بالهداية الربانية، والتوحيد، فأول الإنسان "آدم" عليه السلام كان نبيًا مرسلًا، بعث بتوحيده تعالى. (م.ع.)
- (٢) . هذا يمكن، بالطبع، لكن لا يجب أن يكون هذا المنطلق التاريخي أو العمل التاريخي صحيحًا من حيث العقيدة الصحيحة. (م.ع.)

وعلى هذا المنطلق، إن وجود تعدد الآلهة في الهندوس أمر مفهوم، لأن المجتمع الهندوسي هو مجموعة من فئات عديدة وطبقات متنوعة وجميعهم لديهم آلهة خاصة بهم، وكل بأهتهم فرحون.

وأما ما هو غير مفهوم ويثير الدهشة هو مدى خطورة تحارب الآلهة الهندوسية وتناحرهم فيما بينهم على مستوى منخفض لدرجة أن مثل هذا الاضطراب يكون مخزياً بشكل عام للبشر المتربصين بفناءهم.

لماذا حدث هذا؟ هو حقا سبب قلق ومثير للانزعاج!

## صعود الآلهة وسقوطهم

الهندوس متهمون بأنهم عبدة أوثان وأصنام ولكن ما هو الضرر من كونهم عابدين للأصنام؟ تمامًا مثلما يجوز الاحتفاظ بصورةٍ للإله، ليس هناك حرج في صنع تمثال للإله كذلك؛ فإذا كان الاحتفاظ بصورةٍ للإله أو تعليقها على الجدران وغيرها أمرًا غير آثم، فإن الاحتفاظ بتماثيلهم أيضًا يُعدُّ غير آثم بنفس القدر. إن ما يُنتقد الهنادس ليس بسبب عبادتهم للأوثان والأصنام فحسب وإنما هو أكثر بكثير من ذلك، وأنه ليس مجرد تصوير فوتوغرافي، كما أنه ليس بمجرد صناعة الأصنام. المعبود الهندوسي هو كائن حي، يُعتبر منسقًا لجميع أنشطة الكائن الحي. يُجعل المعبود الهندوسي من خلال مراسم التكريس. وأما فيما يتعلق الأمر بعبادة الأصنام أو الأوثان، فإن البوذيين هم أيضًا عبدة أوثان، لأنهم يعبدون تماثيل بوذا أيضًا. لكن عبادتهم للأوثان هي فقط عبادة للأوثان بالكلمات، وهي عبادة شكلية، لا معنوية. لا يوجد "روح" في أي مكان في هذه العبادة. إذن لماذا جعل البراهميون الآلهة الهندوسية على قيد الحياة؟ هذا فضول مثير للاهتمام. غير أن هذا السؤال سيكون فضولًا يتجاوز حدود هذا المقطع.

والشيء الثاني الذي يتهم به الهنادس هو أنهم متعددوا الآلهة إذ يعبدون آلهة كثيرين، وأنهم يشركون بالله الواحد، بعبادتهم للعديد من الآلهة، والآن لم يبق

الهنادس وحدهم ذوا تعدد الآلهة، وإنما هناك طبقات وفئات أخرى تعبد العديد من الآلهة ويقعون في مثل هذه الانحرافات. وعلى سبيل المثال نأخذ طبقتين فقط للتوضيح. فقد كان الرومان واليوفان أيضًا من معتقدي تعدد الآلهة. كما كانوا يعبدون العديد من الآلهة. لذلك، لا توجد ميزة خاصة في هذا الادعاء أيضًا.

يبدو أن الادعاء الحقيقي الذي يجب توجيهه ضد الهندوس قد مر دون أن يلاحظه أحد. وهو أن الهندوس ليس لديهم إيمان قوي أو تفاني تجاه آلهتهم. لا يوجد شيء من الولاء أو الارتباط أو الإيمان بإله واحد. في تاريخ الآلهة الهندوسية، يبدو أن بعض الآلهة كانوا يُعبدون لبعض الوقت، ثم توقفت عبادتهم فيما بعد وألقيت تلك الآلهة نفسها في كومة القمامة. ثم يتم اختيار آلهة جدد تمامًا. وتستمر هذه الدورة. بهذه الطريقة، يستمر صعود الآلهة الهندوسية وسقوطهم من حيث المكانة والعبادة - لم يُعرف تاريخ أي عرق آخر في العالم بمثل هذا التسلسل الرائع للأحداث.

لا يمكن بسهولة الاعتقاد بصحة القول أن الهنادس سيتصرفون بمثل هذه الطريقة التافهة تجاه آلهتهم. يجب تقديم بعض الأدلة في هذا الصدد ولحسن الحظ لا تندر هناك أدلة كهذه. وحاليًا يعبد الهنادس أربعة آلهة: (١) شيفا (٢) فيشنو (٣) راما (٤) وكريشنا. والسؤال هنا، هل هؤلاء هم الآلهة الأربع الذين يعبدونهم الهنادس منذ البداية حتى الآن؟

وقد شهدت الديانة الهندوسية إضافة هائلة في عدد الآلهة، ومن ناحية الحصر والإحصاء لا يمكن لديانة أخرى أن تنافس الهندوسية في هذا المجال. فقد كان الآلهة موجودين بأعداد كبيرة حتى في وقت ريجفيدا. وتم إحصاء عددهم في موضعين في ريجفيدا على أنهم ثلاثة آلاف وثلاثمائة وتسعة (٣٣٠٩) آلهة. غير أنه لا يمكننا الآن معرفة تلك الأسباب المجهولة التي أدت إلى انخفاض هذا الرقم إلى ٣٣ فقط فيما بعد. فقد شهد الآلهة انقراضاً كبيراً في عددهم. ولكن بالرغم من التحول الكبير هذا في عددهم بقية الهندوسية ذات عدد أكبر للآلهة.

فقد قام ساتيات براهمان بعدّ هولاء الآلهة الثلاثة والثلاثين على النحو التالي: (١) فاسو أي آلهة الشمس: ٨، (٢) رودرا أي الآلهة الهائلة مثل شيفا: ١١ (٣) أديتيا: ١٢ (٤) إله السماء: ١ (٥) إله الأرض: ١.

الأهم من مسألة العدد هو مسألة الأهمية المتبادلة والمكانة والهيبة. وفقاً لـ ريجفيدا، يبدو أنه في وقت سابق لم يكن هناك إله كبير أو صغير، ولكن في العصور المتأخرة تم تقسيم الآلهة بين قسمين اثنين وفقاً للمكانة والهيبة. هناك العديد من هذه الترانيم في الفيدات التي من خلالها يتم استهداف عظمة الآلهة. في بعض الترانيم يتم إعطاء المكانة العلية للنار، وفي بعضها تم تقديم إندرا (إله المطر) على النار، وفي الترانيم الأخرى تم إحلال الإله "سوما" محل النار وإندرا

بل على فوقهما، وفي وقت لاحقٍ تم إهمال سوما أيضًا، إذ أصبح "فارون" هو الأهم والأعلى معبودًا.

من الأدلة الأدبية المتاحة، يبدو أنه من بين الآلهة الثلاثة والثلاثين احتل أكني (النار) وإندرا وسوما وفارونا المكانة الرئيسية للآلهة. هذا لا يعني أن الآلهة الأخرى لم يعدو آلهة. ليس الأمر كذلك، فقد تم اعتبار هؤلاء الآلهة الأربعة الآلهة الرئيسية من بين الآلهة الأخرى. وفي العصور المتأخرة شهد الآلهة تغييرًا مرة أخرى وكان هناك اختلاف في مكانة وهيبة الآلهة؛ فلم يتم احتساب سوما وفارونا من بين الآلهة الرئيسية. بقي "أكني"، و "إندرا" على حالهما. في وسط هذا نشأ إله جديد اسمه "سوريا" (أي الشمس). كانت النتيجة أنه بدلاً من أكني وإندرا وسوما وفارونا أصبح أكني، وإندرا، وسوما، وسوريا هم الآلهة الرئيسية.

من الصعب القول إلى متى ظل هؤلاء الآلهة الثلاثة هي الآلهة الرئيسية. لكن تغيرت هذه الأمور فيما بعد، دون ريب ولا مرية.

وهناك كتاب يسمى "تشول نديسا" وهو جزء من "تريبيتاكا"<sup>(١)</sup> البوذية". على الرغم من أننا لا نستطيع تحديد وقتها بالضبط، إلا أننا نعلم أنه تم تسجيلها في سريلانكا في عهد الملك فاتاجماناي في القرن الأول. وفي هذه

(١). تريبيتاكا أو تريبيتك معناه "السلات الثلاثة" وهي مجموعة لكتب ثلاثة لديانة بوذا. (م.ع.)

السلات هناك قائمة الأسماء للفرق الدينية التي كانت موجودة في الهند في زمن "تشول نديسا".

تقدم هذه القائمة أسماء فرق "باي" والآلهة التي كانوا يعبدونها، ومن إلهين اثنين: فاسوديفا وبلديفا.

وعندما نقارن القائمة الواردة في "تشول نديسا" مع "ست باتا براهما" تتضح الأشياء التالي من خلال المقارنة فيما بينها:

(١) استمرت عبادة أكني وسوريا وإندرا حتى زمن "تشول نديسا".

(٢) على الرغم من أن عبادة أكني وسوريا وإندرا كانت لا تزال مستمرة في ذلك الوقت، لكنها لم تبق مجيدة كما كانت من قبل، كما نشأت بعض الفرق والآلهة الأخرى.

(٣) من بين هذه الفرق الجديدة، هناك فرقتان من هذا القبيل، أصبحتا فيما بعد مرموقتين للغاية، أحدهما "عبادة فاسوديفا (كريشنا)" والآخر "عبادة براهما".

(٤) لم تكن فرقة عبادة فيشنو وشيفا وراما موجودة آنذاك الوقت، وإنما ظهرت لاحقاً. ماذا نجد عندما نقارن الوضع السائد في زمن تشول نديسا بالوضع الحالي اللاحق؟ سوف نعلم يقيناً ثلاثة أشياء بالتأكيد، وهي:

(١) اختفت فرق عبادة أكني وإندرا وبراهما وسوريا.

(٢) ظلت "فرقة عبّاد كريشنا" باقية وحافضة على مكانتها السابقة.

(٣) فرقة عبادة فيشنو-شيفا وراما كانت هي الفرق الجديدة التي ظهرت

إلى الوجود بعد زمن تشول نديسا.

هناك ثلاثة أشياء يجب مراعاتها في هذه الأوضاع:

(١) لماذا اختفت فرق عبادة أكني وإندرا وبراهما وسوريا؟ لماذا توقفت

عبادة هؤلاء الآلهة؟

(٢) ما هي الظروف التي أدت إلى نشوء طقوس عبادة كريشنا وراما

وشيفا وفيشنو؟

(٣) وما هي العلاقة بين كريشنا وراما وشيفا وفيشنو، وكيف كانت نوعية

هذه العلاقة فيما بينهم؟

ليس لدينا إجابة على السؤال الأول. إذ لا يعطينا الأدب البراهماني أي

فكرة عن سبب تخلي البراهمة عن عبادة أكني وإندرا وسوريا وبراهما. نعم،

هناك بعض المؤشرات عن سبب توقف عبادة براهما. ومصدر هذه المعلومات

بخصوص توقف عبادة براهما، هو الأدب البراهماني الذي يقول إنه أتهم براهما

باغتصاب ابنته. بفعله هذا لم يسمح براهما لنفسه أن يظل ألهًا يُعبد. سواء كان

هذا الادعاء صحيحًا أم خاطئًا، فلا يمكن إعطاؤه أهمية لسبيين. أولاً: لم يكن

فعل هذا الشيء أن ممارسة العلاقة العاطفية مع الابنة شيئًا غير معتاد في ذلك

العصر. لأن كريشنا يبدو مذنبًا بارتكاب جرائم لأخلاقية أكثر من براهما، وبالرغم من ذلك تستمر عبادته حتى الآن.

فيما يتعلق الأمر بـ براهما، لماذا تم التخلي عن عبادته؟ قد يمكن التفكير بصحة الأمر، ولكن لا يمكن قول أي شيء عن سبب التخلي عن عبادة الآلهة الثلاثة الآخرين، فاختفاء أكني، وإندرا، وسوريا، وبراهما هو لغز تمامًا. وهذا ليس المكان المناسب لحل هذا اللغز. يكفي أن نقول إن آلهة الهنداس لم تعد آلهة - فما هو أقل رعباً ومثيراً للدهشة منه؟

وحل السؤال الثاني غير معروف أيضًا. هناك مواد هائلة في الأدب البراهماني بخصوص كريشنا، وفيشنو، وشيفا وراما. لكن لا توجد مادة متاحة في الأدب البراهماني حول سبب ظهور هؤلاء الآلهة الجديدة. لماذا تم إحضار هؤلاء الآلهة على المسرح هو لغز ومثار للجدل. يصبح اللغز أكثر غموضًا عندما نتأكد من أن بعض هذه الآلهة لم يكونوا آلهة فيداتين.

دعونا نأخذ شيفا فقط على سبيل المثال:

القصة الواردة في بهاغاد بورانا ومهابارتا حول تدمير قربان الملك داكتشا من قبل عصابة شيفا كافية لإثبات أن شيفا كان إلهًا مضادًا للفيدا.

الآن لنبحث عن كريشنا:

هناك أربعة أشخاص أسماؤهم كريشنا؛ أحدهم هو كريشنا ابن ساتيافاقي وأب دريتاراشترا وباندو وفيدورا. وكريشنا الثاني هو شقيق سوبهادر و صديق أرجونا. كان كريشنا الثالث ابن فاسوديفا وديفاكي وكان من سكان ماثورا. وأما كريشنا الرابع هو الشخص الذي نشأه ناندا وياشودا في جو كول. وكان هذا هو كريشنا الذي قتل شيشوبالا. إذا كان كريشنا هو نفس إله فرقة كريشنا بهاكتا الذي كان ابن ديفاكي، فلا شك أنه كان أيضًا ضد الفيذا. ووفقًا لـ "تشاندوكيا أبانيشدا" كان تلميذًا لغور أنجيراس والذي كان<sup>(١)</sup> مضادًا لفيذا؛ وكان لا يؤمن بأنه يمكن للمرء أن يحصل على النجاة والتحرر من خلال القيام بقرابين الفيذا.

كان كل من شيفا وكريشنا ضدا الفيذا. لكن فيشنو كان هو إله الفيذا. ومع ذلك، أصبح إلهًا في وقت متأخر جدًا عن شيفا. فمن الصعب أن نفهم لماذا تم إهمال فيشنو على هذا النحو. كما أن راما لم يكن ضد الفيذا، فلماذا لا تعرف الفيديات عنه شيئًا، فما هو السبب الذي أدى إلى هذا التأخير في اتخاذ راما إلهًا يُعبد في تاريخ هذا البلاد؟

الآن لنأخذ السؤال الثالث. كيف كان هؤلاء الآلهة الجدد مرتبطين بالآلهة القدامى؟ وكانت نوعية علاقاتهم من توتر أو صداقة فيما بينهم؟ كانت هناك إلهة ولد منها كل من الآلهة براهما وفيشنو وشيفا، فكانت هي والدتهم. تمت

(١). أي غور أنجيراس (م.ع.)

الإلهة أن تفرك يديها معاً؛ ظهرت بثرة من فرك اليدين فولد براهما من هذه البثرة. عندما ولد براهما، قالت له الإلهة: زوّجني فرفض براهما العرض. وقال: إنك أُمِّي (كيف يمكن لي أن أزوج معكِ). غضبت الإلهة وأحرقت براهما في كومة من الرماد.

تفرك الإلهة (ديفي) يديها مرة أخرى. ظهرت بثرة أخرى. وخرج الإبن الثاني من هذه البثرة. كان اسمه فيشنو. قدمت له الإلهة نفس الاقتراح وعندما رفض أحرقها أيضاً وحولته إلى كومة من الرماد. ظهرت بثرة ثالثة عندما تم فرك اليدين للمرة الثالثة. ولد الطفل الثالث من هذه البثرة الثالثة. كان اسمه "شيفا". تحدثت ديفي (الإلهة) عن الزواج منه أيضاً. قال شيفا: سوف أنزوجه، بشرط وحيد هو أن تتخذي جسداً آخر. فوافقت الإلهة عليه. وفي الوقت نفسه، وقعت عينا شيفا على أكوام الرماد تلك، وسأل شيفا عنها؟ قالت الإلهة: "أكوام الرماد هذه تخص أخويك، أحرقتهما لأنهما لم يوافقا على الزواج مني. قالت شيفا "كيف يمكنني الزواج بمفردي. عليك أنت تلد امرأتين أخريين حتى يتسنى لنا نحن الثلاثة الزواج". ففعلت الإلهة كما قيل. ثم تزوج الآلهة الثلاثة من تلك الإلهة والإلهتين اللتين خلقتهما.

هناك شيئان يجب ملاحظتهما في هذه القصة. أولاً: هو أن شيفا لم يكن يريد أن يكون وحيداً حتى في ارتكاب إثم كي لا تنقص درجته. ثانياً: كانت حالة براهما وفيشنو وشيفا مضطربة للغاية، إذ أصبحوا عبيداً للإلهة الأثني.

بعد النقاش العلمي حول صعود براهما وفيشنو وشيفا وسقوطهم للذنى، دعونا ناقش صعود وسقوط تجسدين جديدين - كريشنا وراما.

من الواضح أن هناك بعض التصنع في حكاية كريشنا الشعبية مقارنة بالحكايات الشعبية لبراهما وفيشنو وشيفا. ولد براهما وفيشنو وشيفا مع الألوهية. في حين كان كريشنا رجلاً ارتقى إلى شرف الألوهية. ربما لجعله يجلس على عرش الألوهية تم اختلاق هذه القصة على أنه تجسد لفيشنو. ولكن حتى ذلك الحين، ظلت ألوهيته غير مكتملة، حيث كان يُعتبر تجسيداً جزئياً لفيشنو. ربما كان بسبب هذا أنه اعتاد على التحرش بالغويات (فتيات رعاة البقر). وإن تم عدّه من بين التجسيّدات الكاملة فربما كان تحرشه بتلك الفتيان تعتبر جريمة لا تغتفر.

على الرغم من هذه البداية البسيطة، تم وضع كريشنا فوق كل الآلهة أيضاً. وما مدى ارتفاع المنصب الذي احتله، يتضح ذلك من خلال الفصلين العاشر والرابع عشر من بهاغافاد غيتا.

فيما يتعلق بالكتاب المقدس "غيتا" فلا يوجد إله آخر غير كريشنا. إنه هو الإله الأكبر، يفوق كل الآلهة.

والآن دعونا نقلب صفحات "مهاباراتا". ماذا نرى هناك؟ نرى أن موقف كريشنا قد تغير. هناك تجد قصة رفع ذكره، وسقوطه إلى الهاوية كذلك. أولاً نرى أن كريشنا يجلس على ضفيرة "شيفا". ليس هذا فقط، لقد تم إقناع

شيفا بأن كريشنا أكبر منه. وبالتالي، نرى أن كريشنا قد تم وضعه في مكان أدنى من شيفا. وهنا يعترف كريشنا بعظمة شيفا.

ويكفي هذا الاقتباس الوحيد من "مهرجان الانضباط لمهاراتا كشاهد على الجهد المبذول لأجل رفع شأن كريشنا فوق شيفا:

"إنه فوق كل الآلهة، هو إله الآلهة، ومدمر الأعداء."

الآن دعونا نرى كيف تم إسقاط كريشنا بعد أن تم ذكره عاليًا؟ إن "مهاراتا" مليء بمثل هؤلاء الشهود.

هناك أسطورة تحكي أن أرجونا حلف باليمين على قتل جايداراتا في اليوم التالي. ثم ذهب كل من كريشنا وأرجونا معًا إلى شيفا وتملقاه كثيرًا. وحصلًا على سلاح "باشوبات" من شيفا، وتمكنه به أرجونا من قتل جايداراتا.

كما تم إيراد المحادثة بين يوديشتارا وبيشما بمناسبة مهرجان الانضباط في مهاراتا نفسه. تجري هذه المحادثة بحضور كريشنا. وفي نهاية المحادثة يقوم بيشما بمخاطبة كريشنا ويطلب منه أن يتملق مهاديفا (أي شيفا)، فيستجيب إله الآلهة كما يُطلب منه: ويقول:

"عظمة شيفا تفوق الكلمات".

يدرك شيفا أيضًا أن كريشنا قد اعتبره أعظم من نفسه. فيقول لـ عشواتما:

"لقد عبدني كريشنا حق قدري."

إن كريشنا الذي كان متربعاً فوق شيفا، وكان إله الآلهة في وقت ما، فما لبث أن هبط إلى وضع أصبح تابعاً لشيفا، ليكون ملزماً بمصالح تافهة.

ومن اعتراف كريشنا الخاص أنه يقول:

"في اليوم الثامن أكرمني ذلك البراهمين المسمى بـ "أوب مانيو"، بعلم "الصحيفة". كنت أرثدي نطاقاً وقطعة قماش من اللحاء".

هل يمكن لأي إله أن يكون له ارتفاع أكبر وسقوط أعظم من هذا؟  
بخاصة بمقابل شيفا، مع أن كريشنا كان رب الأرباب، وإله الآلهة من قبل، في حين أن شيفا كانت فقط إلهاً عادياً، والآن لم يعد حتى إلهاً له وجود في الوسط الديني، بل أصبح من أتباع شيفا، وبدأ يأخذ دروساً من ديانة شيفا متلمذاً على رجل براهمنٍ عاديٍّ مثل أوبامانيو! يا للعجب!

وتبدو الحكاية الشعبية لألوهية راما مصطنعة أكثر من حكاية كريشنا الشعبية. لم يكن راما نفسه يعلم أنه كان تجسداً للإله. وبعد هزيمة وموت رافانا، عندما أنقذ سيتا ورأى الناس يتقولون عن زوجته سيتا بأن رافانا قد أقام علاقة جسدية معها عندما كانت لديه بعد اختطافها، أصبح راما مشوش الباب، وعقله موحلاً، وبعد أن رآه براهما قلقاً هكذا قال: "أنت المصدر الأصلي للخلق والحفظ والدمار. كيف ولماذا تشعر باليأس والإحباط هكذا؟"

من الواضح أنه يوجد هنا أيضًا اصطناع واختلاق مثل حكاية كريشنا الشعبية. فكان رامًا بشرًا مثل كريشنا، ربّعه الناس على كرسي الألوهية. لم يولد كإله مثل براهما وفيشنو وماهيش. ربما لإضفاء الكمال على ألوهيته تم وضع هذه الحكاية الأسطورية؛ بأنه كان صورة رمزية لـ فيشنو، في حين كانت زوجته تجسدة لـ لاكشمي زوجة فيشنو.

من ناحية، كان رام محظوظًا. مثل براهما وفيشنو وكريشنا، لم يتم تفاضل بينه وبين الآلهة الآخرين مثل براهما، وفيشنو وكريشنا. ومع ذلك، جرت محاولة تحقير منه بالمقارنة مع باراشوراما، الشخصية العليا للبراهمين. ترد هذه القصة في رامايانا على النحو التالي:

"عندما كان الملك دشاراتا عائداً إلى عاصمته بعد وداعه لملك ميشلا جاناك، سمع الأصوات البائسة لبعض الطيور، والذي جعله يشعر بالقلق. ثم طمأنه فاشيستا بقوله إنه محاط بحيوانات برية ميمونة بوجودها. (الشيء المدهش كان وصول بارشوراما).

باستثناء هذا الحادث الوحيد، لم يكن لراما أي منافسة مع إله آخر. بقي كما كان. قصة الآلهة الأخرى مختلفة تمامًا عن قصته. فقد أصبح الآلهة المساكين ألعابًا في أيدي البراهمين. لماذا تجاهل البراهمة آلهتهم كثيرًا هكذا؟

## إحلال الإلهات محل الآلهة

إن عبادة الآلهة الذكور شيء عام سائد في كل المجتمعات وهي تمارس في كل مكان تقريباً. لكن عبادة الإلهات الإناث شيء غير عادي. والسبب في ذلك هو أن الآلهة الذكور بشكل عام غير متزوجين وليس لديهم زوجات يمكن وضعهم في مناصب كريمة كآلهات. تتضح مدى بغیضة فكرة زواج الآلهة من أحوال المسيحيين الأوائل الذين وجهوا صعوبة كبيرة في إقناع الشعب اليهودي على كون المسيح ابن الله؛ حيث كان اليهود يقولون: بما أن الله تعالى ليس بمتزوج فكيف يمكن لإنسان بشر أن يكون ابناً له؟

اللهم إلا أن وضع الهندوس مختلف تماماً عن هذا؛ لأنهم لا يعبدون الآلهة فحسب، بل الإلهات كذلك. واستمرت عبادة الإناث من الإلهات منذ البداية.

فقد وردت أسماء عديدة للإلهات من الإناث في ريج فيدا منها برتاوي (الأرض)، أديتي، وديتي، ونيبيتكري، وإندراني، وبرسني، وأوشا، وسوريا (الشمس)، وأكنائي (إلهة النار)، وفاروني، ودودسي، وراكا، وسنيولي، وشريدا، وأرماتي، والخورية، وسرفاتي (إلهة العلم).

"برتوي" أي الأرض هي إلهة فيدية قديمة جدا. تعتبر إما زوجة دايو (السحاب الماطر) أو بارجانيا (النهار). إن برتوي هي إلهة مهمة، لأنها تعتبر الأم الغنية بالسلطة للعديد من الآلهة ومصدرًا لقوتهم.

"آديتي" (إلهة الأرض) هي واحدة من آلهة بورامي فيدا من حيث الوقت. تعتبر أم قوية للآلهة؛ فكل من الآلهة "ميتر" و"أريمان" و"فارونا" هم أبناءؤها، غير أنه لا يبدو من ريجفيدا أن الإلهة "آديتي" كانت متزوجة من شخص ما.

الشيء الوحيد الذي نعرفه عن إلهة "ديتي" هو أن اسمها يأتي مثل اسم الخصم "آديتي" وكانت هي والدة "ديتياس" الذين كانوا وفقًا للأساطير الهندية أعداء للآلهة.

"نيشتيغري" هي والدة "إند" وإلهة "إندرا" هي زوجة "إندرا". و "بريشني" هي والدة "ماروتس". في حين توصف "أوشا" على أنها ابنة "السماء" وبالتالي كانت أيضًا أخت "مغا"، وإحدى أقارب "فارونا" وزوجة "سوريا" أي الشمس. وأما سوريا ديفي فكانت ابنة الشمس، وكانت "آشوين" أو "سوما" زوجة الآلهة. و "أكنائي" هي زوجة آلهة أكني، و"فاروني" هي زوجة الإله فارون، كما كانت "رودسي" زوجة "رودرا" ... وأما الإلهات الإناث الأخريات إما هي أشكال مجسدة للأنهار أو هي أسماء لم يُذكر عنها شيء في الكتب الدينية.

يتضح شيئان من هذه الملاحظة. أولاً، يمكن للآلهة الهندوسية أن تتزوج ولا يحتاج هذا الإله ولا كاهنه إلى الشعور بالخجل أو التردد حول سبب تصرف مثل هذا الإله كرجل عادي. ثانياً، تصبح زوجة الإله نيراياس ديفي وتبدأ في العبادة.

وعندما تطأ أقدامنا "بوراناس" بعد مرورنا بالعصر الفيدي تصادفنا العديد من أسماء الإلهات الإناث مثل "ديفي"، و "أوما"، و "ساتي"، و "أمبيكا"، و "بارفاتي"، و "هيمفاتي"، و "غوري"، و "كالي"، و "نيريتي"، و "تشاندي"، و "كاتياني"، و "دورغا"، و "داس"، و "دس بوجا"، و "سينغ واهيني"، و "مهيشا سور مردني"، و "جكت دارت موكت كيشي"، و "تارا"، و "جين متسكا"، و "جكد غوري"، و "برتيادرا"، و "أن بورنا"، و "كنيش جنني"، و "كريشنا كرور"، و "لاكشمي" وما إلى ذلك. إن ربط هذه الإلهات بأزواجهن أو أبناءهن أو أقاربهن الآخرين صعب للغاية، وأولاً من الصعب جداً التأكد من هل هناك آلهة بكمية حسب كمية الأسماء، أم هناك شخصية واحدة لها أسماء عديدة؟ كما يبدو من الصعب جداً قول أي شيء عن أبويهن. كما لا يستطيع المرء أن يجزم بالقول من هم أزواج هذه الإلهات؟

وفقاً لإحدى الروايات تُعدّ "أوما"، و "ديفي"، و "ستي" و "فارباتي"، و "غوري"، و "أمبيكا" كلهن أسماء مختلفة لنفس الإلهة. والرأي الثاني هو أن

"ديفي" هي ابنة "ياكشا"، و "أمبيكا" هي أخت "رودرا". تقول "بارها بورانا" عن بارفاتي-

"بناء على طلب براهما، قسمت بارفاتي نفسها إلى ثلاثة أقسام: "فارنا بيضاء"، و"فارنا حمراء"، و"فارنا سوداء"، فأصبحت "فارنا بيضاء" لاكشمي، في حين أصبحت "فارنا سوداء" كالي والتي كانت مصدر أكبر لقوة شيفا.

هنا نرى محاولات مبذولة للإشارة إلى أن ساراسفاتي ولاكشمي وبارفاتي هي أشكال مختلفة لإلهة واحدة. نرى أن "ساراسفاتي" كانت زوجة "براهما"، وكانت "لاكشمي" زوجة "فيشنو" وكانت "بارفاتي" هي زوجة شيفا واستمرت هذه الآلهة الثلاثة في القتال والشجار مع بعضها البعض، لذا فإن الحل السابق لـ "فارها بورانا" يبدو غير مفهوم.

ومن هي "غوري"؟ يقول بوراناس أن الاسم الثاني لبارفاتي هو غوري. نتيجة النعمة التي قدمتها براهما، تغيرت من بشرة سوداء إلى بشرة بيضاء، فأصبحت بيضاء.

وبالنظر إلى الإلهات الأخريات، لا يتضح لنا الأمر هل الأسماء المختلفة هي أسماء مختلفة لإلهات مختلفة، أم هي أسماء متعددة لإلهة واحدة.

وقد حمد أرجونا الإلهة "دورغا"<sup>(١)</sup> في "مهاباراتا" مما يدل على أن معظم الأسماء المذكورة أعلاه هي أسماء دورغا. كما أن الأسماء الأخرى العديدة مثل "دس-بوجا"، و"سينغ واهيني"، و"مهيش مردني"، و"جكت داتر"، و"جين-مستك"، و"جكت-غوري"، و"براتين كيري"، و"أنيا بورنا" كلها أسماء مختلفة لدورغا أو هي أشكالها المختلفة.

يبدو أن إلهتين اثنتين هما الإلهتان الرئيسيتان: إحداهما "بارفاتي" والأخرى "دورغا". والمتقيات منهم هي صور رمزية فقط. إن "بارفاتي" هي ابنة "داكشا براجاباتي" وزوجة "شيفا". وأما "دورغا" فهي أخت كريشنا وزوجة شيفا. العلاقة بين "دورغا" و"كالي" غير واضحة. من مدح دورغا التي مدحها به أرجونا في "مهاباراتا" يبدو أن دورغا و"كالي" لا تنفصلان (أي دورغا هي صورة أخرى لـ دورغا، والتي هي تجسدة الأم بارفاتي)، لكن "لينغا بورنا" تقول إن كلاهما مختلفتان؛ كالي هي الهة ودورغا هي إلهة أخرى.

هنا عندما نقارن بين إلهات الفيدات وإلهات بورانیکا فإن شيئاً واحداً يتبادر إلى الذهن هو أن عبادة إلهات فيدية كانت مجرد مجاملة؛ إذ كنّ زوجات الآلهة ومن ثم تمت تُعبَدُن، في حين أن وضع عبادة إلهات بورانيفية مختلف تماماً. إذ كن تخولن بحق العبودية، ولم تُعبَدُن لأنهن زوجات الآلهة، وقد نشأ

(١) تشير بعض المصادر الهندوسية إلى أن الإلهة الكبرى "بارفاتي" تجسدت في صورة دورغا للقضاء على شيطان يسمى بـ "مهيش أسور"، وتزوجت من شيفا شنكرا. (م.ع.)

هذا التمييز لأن إلهات فيدية لم يذهبن أبداً إلى ساحة المعركة، ولم يفعلن أي عمل بطولي قط.

وفقاً لـ "ماركنديه بورانا" جرت هناك حرب كبيرة بين دورغا والشيطان، مما جعل دورغا تتمتع بسمعة طيبة، وذاعت بها سمعته في الآفاق.

ومن هنا يتطرق إلى الذهن سؤال لا بدّ من التفكير فيه، إذ نجد الأدب الفيدي مليئاً بحكايات الحروب المتطاحنة ضد الشياطين، ويوجد الكثير من هذه المواد في النصوص البرهمنية. لكن كل هذه الحروب خاضت ضد أسوارس أي الشياطين قاتل فيها آلهة الفيدات فقط، لماذا لم تشارك الإلهات هذه المعارك قط، وكيف تغير الوضع تماماً في عصر إلهات بورانيكية؛ تخوض الإلهات جميع المعارك في العصر الفيدي ولا وجود للآلهة في هذه المعارك، في حين يقوم الآلهة بشن الحروب ضد الشياطين ولا وجود للآلهة في هذه الحروب! العمل الذي قام به الآلهة في العصر الفيدي أ لم يكن هناك آلهة في العصر البورانيكي؟ بلى، إن كلاً من براهما، فيشنو وشيفا كانوا يحكمون بالتساوي في العصر البورانيكي. وعندما تمكنوا من خوض المعارك ضد الأبالسة والشياطين حتى في العصر البورانيكي، لماذا تم إعطاء هذه المهمة من الإلهات في تلك الحقبة التاريخية؟

هل هذا لغز صغير تافه؟

والسؤال الثاني الذي يتطرق إلى الذهن، ما هو المصدر الأصلي للقوة التي تمتعت بها إلهات بورانكيكية والتي لم تكن موجودة في إلهات الفيديّة؟ تم الإجابة عن هذا السؤال من قبل الكتاب البورانكيكين بأن هذه القوة كانت قوة الآلهة لا غيرهم، وكانت الإلهات بمثابة موطن وحيد لها. وأصبح هذا الشيء مقبولاً لدرجة أن كل إلهة أصبحت تسمى "شاكتي" أي مصدر القوة، والذين كانوا يعبدون تلك القوى أصبحوا يسمون بـ شاكتا أي عبّاد القوة الإلهية.

وبالإضافة إلى هذا السؤال الرئيسي هناك سؤال أو سؤالان من هذا القبيل يجب طرحه فيما يتعلق بهذه النظرية التي تتجاهل الإجابة عنها عمدًا.

السؤال الأول هو أنه على الرغم من العديد من أسماء الإلهات من العصر البورانكيكي التي تم إحصاؤها، هناك خمس إلهات فحسب ذوات القوة الإلهية من العصر البورانكيكي، وأنهن حقيقية ومهمة، وأسماءهن كالتالي:

ساراسواتي، لاکشمي، وفاروتي، ودورغا، وكالي.

إن ساراسواتي ولاكشمي هما زوجتا براهما وفيشنو. يعتبر براهما وفيشنو مع شيفا آلهة من العصر البورانكيكي. في حين كل من بارفاتي ودورغا وكالي زوجات شيفا. لم تقم ساراسواتي ولاكشمي بقتل شيطانٍ ما. والحقيقة هي أنهما لم تقوما بأي عمل بطولي أبدًا. فالسؤال هو - لماذا حدث هذا؟ كانت القوة الألوهية موجودة في براهما وفيشنو ووفقًا للنظرية المذكورة أعلاها، يجب أن تكون تلك القوة موجودة في زوجاتهم أيضًا. إذن لماذا لم تشارك ساراسواتي

ولاكشمي في المعارك التي دارت بين الآلهة والشياطين؟ لماذا تولت زوجات شيفا هذه المهمة فقط؟ هنا أيضًا يختلف سلوك "بارفاتي" تمامًا عن سلوك "دورغا". وتبدو "بارفاتي" ذات مظهر بسيط وساذج بالمقارنة مع دورغا. وقد رويت مآثر بطولية عديدة بخصوصٍ حول دورغا، في حين لا يُنسب شيئًا من هذه المآثر إلى سارسواتي! و "بارفاتي" هي أيضًا تعتبر مصدر قوة شيفا. فلماذا ظلت قوة شيفا في بارفاتي بطيئة للغاية، وغير مجدية، وخاملة للغاية؟ بقيت وكأن شيئًا لم يكن يحدث في أي مكان على يديها.

ثانيًا، يمكن اعتبار هذه النظرية مبدأً جيدًا لبدء عبادة الإلهات بشكل مستقل عن الآلهة، لكنها لا تبدو منطقية ولا تاريخية. إذا أخذنا هذا الأمر في الاعتبار بشكل منطقي فقط، فعندئذ إذا كان لكل إله ذكر قوة مستمدة من الزوجة، فلا بد أن إلهات فيدية أيضًا كن تتمتع بالسلطة المطلقة أيضًا. فلماذا لا ينطبق هذا المبدأ على زوجات الآلهة الفيديّة؟ وبالنظر إلى الأمر تاريخيًا، ليس لدينا أي أساس للقول إن إلهات الفيديّة كانت قوية.

ثم لم يعتقد البراهمة أنه من خلال جعل دورغا بطلة تقدر بمفردها على قتل جميع الشياطين، أنهم يطعنون آهتهم بالجن شيئًا فشيئًا، يبدو أن تلك الآلهة البورانكيين لم يستطيعوا حتى الدفاع عن أنفسهم واضطروا إلى الاستنجاد إلى زوجاتهم ليأتين ويحميهن.

ويكفي الاستشهاد بحادثة واحدة مذكورة في "ماركنديا بورانا" للكشف عن كيف صنع البراهمة جباناً من ألهتهم. فقد جاء في "ماركنديا بورانا":

"استطاع ماهيشا، ملك الشياطين، أن يهزم الآلهة في معركة لمرة واحدة. لقد تسبب في محنة هؤلاء الآلهة لدرجة أنهم بدأوا في التسول من باب إلى باب متجولين في جميع أنحاء الأرض. فذهب بهم الإله إندرا أولاً إلى براهما ثم إلى شيفا. ولكن بما أنهما لم يستطيعا مساعدة الآلهة الآخرين فقد ذهبوا هؤلاء الآلهة إلى فيشنو وقد أنقذت مهامايا (أي دورغا) هؤلاء الآلهة من عار الهزيمة وساعدت في استعادة كرامتهم.

من أين يمكن لأي قوة أن تأتي لمثل هذه الآلهة الخجولة؟ من أين يمكن لهم أن يعطوا زوجاتهم قوة وهي لم تكن موجودة لديهم؟ إن القول بأن الآلهة يجب أن تُعبد لأنهم أقوىاء ليس مجرد لغز فحسب، بل قول لا أساس له.

يجب أن نكتشف أنه لماذا تم اختراع مبدأ هذه القوة؟

هل بدأ البراهمة برنامج عبادة الإلهات حتى يتمكنوا من الحصول على مادة جديدة لإدارة أعمالهم، والارتزاق من هذا الطريق؟

لماذا ضربوا الآلهة بالحائط؟

## اللاعنف ثم اللاعنف

إذا قارن المرء العادات والممارسات الاجتماعية السائدة لدى الآريين القدماء بعادات الهنداس المتأخرين وممارساتهم وتقاليدهم الاجتماعية، سيجد المرء فرقاً كبيراً بين المجتمعين، ويجد كأنه حدثت ثورة اجتماعية في تاريخ الديانة الهندوسية.

كان الآريون طائفة من المقامرين. وكادت المقامرة أن تأخذ شكل علم في العصر المبكر للحضارة الآرية، حتى أنه تم إعداد قائمة المفردات المعنية بها. الوحدات الزمنية الأربعة (تشار يوغيه<sup>(١)</sup>) أو التقسيمات الزمنية التي تم إدراج الأحداث التاريخية فيها تسمى: كريتيا يوغيه، وتريتيا يوغيه، ودوابارا يوغيه، وكالي يوغيه، في الواقع، كانت هذه الأزمنة هي أسماء المحاور التي استخدمها الآريون في القمار. "النرد المحفوظ" كان يسمى "كريتيا"، والشخص الذي كان سيئ الحظ كان يسمى "كالي"، والنردات بينهما كانت تسمى "تريتيا"، و"دواباره". تطورت ممارسة القمار في الآريين القدامى للغاية بجانب، بجانب آخر كانت الرهانات التي تم اشتراطها في هذه المقامرة عالية جداً أيضًا. كما

(١). الأزمنة الأربعة أي (char yug)

كانت المراهنات بمبالغ كبيرة من المال سائدة في الأماكن الأخرى. لكن هذه الرهانات كانت ليست بشيء مقارنة بالرهانات التي استخدمها الآريون في العصور المتأخرة حيث وضعوا بعض الأحيان زوجاتهم كرهانات القمار إلى أن قام الملك "نل" بوضع دولته كرهانة القمار وفقدوها بسبب فشله في المقامرة. وذهب "باندافاس" إلى أبعد من ذلك بكثير وحطموا كل الأرقام القياسية، فلم يعرضوا دولتهم عرضة للخطر فحسب بل وضعوا زوجتهم "دروبادي"<sup>(١)</sup> أيضًا رهينة المقامرة وفقدوا الدولة والزوجة معًا بعد أن فشلوا في المقامرة. لم تكن ممارسة القمار السائدة بين الآريين مجرد لعبة للأثرياء فحسب، وإنما كانت من عموم البلوى يدمن بها كل كبير وصغير وغني وفقير. وكانت المقامرة منتشرة بين الآريين القدامى لدرجة أن مؤلفي "النصوص الدينية" اضطروا إلى خلق مثل هذه الأمثال التي كان الغرض منها إجبار الملوك على وضع أكثر القواعد صرامة ضد القمار!

كانت العلاقات العاطفية بين الجنسين فضفاضة للغاية بين الآريين. وقد مضى عليهم وقت لم يعرفوا الآريون فيه أن الزواج هو اسم لعلاقة دائمة بين الرجل والمرأة. عندما طلبت "باندافاس" من الزوجة المشتركة للبانداافاس "كونتي" أن تنجب لهم أطفالاً من شخص آخر (غير أزواجها الشرعيين) فإن الإجابة التي قدمتها "كونتي" آنذاك الوقت تشير إلى مدى فساد العلاقة

(١). كانت "دروبادي" هي زوجة واحدة متقاسمة بين أخوة بانداافاس الخمسة. (م.ع.)

الزوجية. كما مضى عليهم وقت لم يؤمن فيه الآريون بأي من المحظورات الشرعية فيما يتعلق بالعلاقات العاطفية والجنسية. هناك حكايات من ممارسة العلاقات الجنسية عن الأخوة مع الأخوات، والأبناء مع الأمهات، والأب مع الابنة والجد مع الحفيدة. كانت هناك شيوعية كاملة حول النساء. لقد كانت شيوعية مشاعة في تلك المجتمعات عندما كان العديد من الرجال يتشاركون في امرأة واحدة ولم يحتكر أحدًا امرأة واحدة بحكم الزواج الشرعي المألوف. في هذا النوع من علاقات الشيوعية بين الرجل والمرأة، كانت تسمى المرأة "كنيكا" ومعنى "كنيك" هي "ملكية المجموعة" أي امرأة واحدة هي ملكية عامة للناس. كانت الشيوعية المنظمة سائدة أيضًا بين الآريين فيما يتعلق بالمرأة. وكان العديد من الرجال شركاء في شيوعية العلاقة العاطفية، لكن أيامهم كانت ثابتة وكانت المرأة تسمى "وراكنا"؛ وهي المرأة ذات الأزواج المحددين. ففي تلك الآونة التاريخية ازدهرت الدعارة بشكل كبير واتخذت شكلًا مروعًا. لا يوجد مكان آخر في تاريخ العالم حيث تقوم البغايا بممارسة الجنس علانية في الأماكن العامة كما كانت سائدة آنذاك الوقت. وكانت هذه هي الممارسة بين الآريين القدامى عدوى حيوانية موجودة أيضًا بين الآريين القدامى. كما أن بعض الحكماء النساك الأكثر احترامًا أيضًا كانوا مذنبين بهذا العيب وتلوثوا أنفسهم بهذا النوع من الدعارة.

كما كان هناك من الآريين القدامى سلالة من مدمني الكحول والخمور. وكان الخمر (يسمى بـ"سومرا") جزءًا أساسيًا من دينهم. اعتادت الآلهة الفيديّة على شرب الخمر المسمى بـ"سومرا". وكان اسم خمورهم الإلهية "سومرا". وعندما كانت الآلهة الفيديّة أنفسهم يشربون هذا الشراب المسكر، فكيف يمكن الاعتراض على الآريين من العصر الفيدي بسبب شربهم سوماراس أي الخمر؟ ومن هنا كان شرب هذا الخمر في الواقع يعتبر واجبًا دينيًا على الفيديّة الآريين. وقد اعتاد الآريون باحتفال مناسبات شرب الخمر بكثرة لدرجة قلما يمرّ عليهم يومٌ بدون تناول هذا الشراب! وكان شراب "سوماراس" مختصًا لأنواع ثلاثة من الناس: وهم - للبراهمين (طبقة الكهنة)، والكتشارية (المحاربين والمقاتلين)، وويشيه (التجار)! ولا يعني هذا أن طبقة شودرا المنبوذة كانوا مبتعدين عن تناول الخمور والمسكرات؛ فمن لم يجد "سوماراس" اعتاد على شرب "سورا" (أي الخمور الأهلية). ولم يكن الرجال تعودوا على تناول الخمور وإنما اعتادت النساء كذلك على تناوله. وفقًا لـ "النصوص المنزلية" لكوشيت، يجب أن ترقص أربع أو خمس نساء غير أرامل اللواتي لم يفقدن صوابهن بسبب شرب الخمور وتناول الطعام قبل يوم الزفاف ما لم يخامر المسكرات عقلمهنّ. وما سادت عادة شرب الخمور فيما بين النساء غير البراهمينة، وإنما كانت النساء البراهمينة أيضًا تناولن هذا الخمر. لم يكن شرب الخمر يعتبر خطيئة أو إثمًا آنذاك الوقت، ولم يكن يعتبر حتى من الرذائل،

وإنما كان مجرد ممارسة شريفة. فمن ثم اعتاد راما وزوجته "سيتا" على شرب الكحول والخمور، وقد اعترف به "فالميكى رامايانا" بصراحة..  
فقد جاء في "أوتاركاندا":

"تمامًا كما اعتاد إندرا أن يشرب الخمر مع زوجته "شتشي" كان راما يتناول الخمر وسيتا كذلك، وكان الخدم يحضرون لهما اللحوم والفواكه الحلوة."  
كانت هذه أيضًا عادة كريشنا وأرجونا وعملهما، فقد جاء في مناسبة "أوديوك باروا" من كتاب "مهبارتا":

"جلس أرجونا وكريشنا على عرش ذهبي بعد تناولهما خمرًا مصنوعًا من عسل. كان جسدهما عبق وكانا يرتديان قلادة. كانت ملابسهما وحليهما رائعة للغاية، وكان العرش مرصعًا بالألماس. رأيت أن قدمي كريشنا في حضن أرجونا وقدم أرجونا في حضن دراوبادي وساتياماها."  
أكبر تغير حدث في التاريخ الهندوسي يتعلق بالطعام والشراب. يبدو أن

الهندوس اليوم قلقون للغاية بشأن الطعام والشراب. هناك نوعان من القيود على أتباع الديانة الهندوسية: أولاً: لن يأكل هندوسي طعامًا أعدّه غير هندوسي، إلا إذا كان (الآكل) براهميًا أو ينتمي إلى طبقته نفسه. لا يهتم الهندوسي فقط بما يجب أن يأكله مطبوخًا بيد شخص ما، بل يهتم أيضًا بما يجب أن يأكله وما لا يجب أن يأكله.

من وجهة نظر الأكل والشرب، يمكن تقسيم الهنادس إلى قسمين:

(١) نباتي

(٢) غير نباتي (أكل الحيوانات). ثم هناك العديد من التقسيمات الفرعية

لغير النباتيين على النحو التالي:

(أ) قسم يأكلون الأسماك فقط.

كما يتم تقسيم غير النباتيين على أقسام فرعية أخرى، كالتالي:

(١) قسم يجوز لهم أكل لحوم جميع الحيوانات الأخرى ما عدا لحم البقر.

(٢) قسم يجوز لهم أكل لحوم كل الحيوانات حتى لحوم البقر أيضًا.

(٣) وقسم يجوز لهم أكل لحم الجميع من الحيوانات سواء ماتت أم قُتلت

على يد أو بسبب آخر، ما عدا لحم البقر وأفراخ الدجاجة.

ولدى تحليل فئات الهنادس من وجهة نظر الطعام والشراب يمكن تقسيم

البراهمين إلى فئتين: (١) بانتشا<sup>(١)</sup> كودا (٢) وبانتشا درافيدا.

فمن بين هؤلاء إن يكون "بانتشا درافيدا" الفئة النباتية بالمعنى الكلي

للكلمة. وإن استثنينا فرع "كور سراوستاس" فإن فئة بانتشا درافيدا فهم أيضًا

(١) . بانتشا بمعنى خمسة، أي كودا خمسة، ودرافيد خمسة.

نباتيون بشكل كامل. المنبوذون الذين يُنظر إليهم في الطرف الهامش من المجتمع ليسوا نباتيين. إنهم لا يأكلون لحم الماعز والدجاج فحسب، بل يأكلون أيضاً لحم البقر، سواء ماتت أو قُتلت. وأما ما من يأتي فيما بين البراهمين والمنبوذين، أي الذين ليسوا براهمين ولا منبوذين، فلهم ترتيب خاص بهم؛ فمنهم من هو نباتي مثل البراهمين ومن هو غير ذلك، أي غير نباتي. الكل متساوون في شيء واحد؛ كلهم ضد أكل لحوم البقر.

هناك جانب آخر لهذا السؤال يستحق المناقشة. إنها مسألة قتل حيوان أو عدم قتله من أجل الطعام. إن رأي الهندوس متساوٍ في هذه المسألة بجُلّه وكلّه! فلن يقتل أي هندوسي أي حيوان لأجل الطعام. وبصرف النظر عن طائفة صغيرة تسمى "خاتيك" لا يوجد جزارون آخرون بين الهنداس. حتى المنبوذ لن يقتل أي حيوان. قد يأكل لحم بقرة ميتة، لكنه لن يقتل البقرة. اليوم في الهند المسلمون هم من يمارسون أعمال الجزارة فقط. وإن يحتاج الهندوسي لقتل حيوان من أجل الطعام فيحتاج إلى مساعدة رجل مسلم يذبح له ذبيحته. إذ يؤمن كل هندوسي باللاعنف. والسؤال الذي يتبادر إلى ذهن القارئ هنا متى دخلت النباتية الهند؟ ومنذ متى أصبح اللاعنف اعتقاداً صارماً؟ هناك الكثير من الهنداس الذين لا يستطيعون قبول تبرير هذا السؤال. إنهم يرون أن النباتية واللاعنف ليسا جديدين في الهند.

ويستنتج عما مضى أنه لم يكن الآريون القدامى أسلاف الهنداس الحاليين، من فئة غير النباتيين فحسب، بل كانوا يأكلون أيضًا من لحوم البقر! وهناك مواد وفيرة متاحة حول هذا الموضوع في الكتب الهندوسية.

خذ مثلاً طقوس "مادو بركا" نفسها، كان متداولاً بين الآريين القدامى إذا نزل عليهم ضيف فكانوا يقومون بأداء هذه الطقوس بتبرع العسل للترحيب به. وهو أمر مؤكد تمامًا. ووفقاً "للنصوص المنزلية" يستحق بهذا الترحيب نحو ستة أشخاص فحسب، وهم: (١) شخص متميز وهو البراهمن الذي يساعد في أداء القرابين، و(٢) الأتشاريه (العالم الكبير)، و(٣) الزوج، و(٤) الملك، و(٥) خربجو غروكل (كلية الشريعة الهندوسية)، و(٦) شخص عزيز على المضيف. كما يضع بعض العلماء "الضيف" أيضًا في القائمة المذكورة أعلاها، وباستثناء الشخص المتميز البراهمن، والملك، والأتشاريه يتم تقديم "مادو بركا" للضيوف الآخرين مرة واحدة في السنة، وفي الجانب الآخر كلما يأتي البراهمن، والملك والأتشاريه يجب تقديم "مادو بركا" لترحيبهم. وقبل القيام بتقديم هذا التكريم يتم غسل أقدام الضيف من قبل المضيف ثم يتم تقديمه لأجل ترحيبهم.

وما هذه الأشياء التي تُعدّها "مادو بركا"؟ المعنى الحرفي لـ "مادو بركا" هو القربان الذي يتم فيه سكب العسل على يد الرجل. وبما كان يصنع به "مادو بركا"؟ وما هي الأشياء التي يُعدّها هذا الطبق؟ يحدث بعض الفوارق في

مكوناته من وقت لآخر. يقول "ريجنيدا" إنه يجب تناول اللحوم لإعداد طبق "مادو بركا".

كان أكل اللحوم أمرًا شائعًا آنذاك الوقت. اعتاد الجميع من البراهمين حتى الشودرا (أصحاب الطبقة المنبوذة الدنيا) أكل اللحوم. هناك عدد من الأحكام المذكورة في النصوص الدينية بخصوص لحوم الحيوانات، والطيور، والأسماك ويقول "آبساتامبا سوترا" إنه يمكن أيضًا تناول لحم بقرة حلوب وثور بشكل خاص، لأنها مقدسان.

هذا جزء من العنف إلى اللاعنف، قد يمكن أن يكون الجزء التالي العودة من اللاعنف إلى العنف! غير أنه لن يكون الجزء التالي من الحكمة واضحًا إلا عندما تكون لدينا معلومات حقيقية عن المانتراس أي النصوص ونظرية المانتراس، بأدلتها الكافية.

من أجل تلاوة عبادة التانترا، أنه يجب وجود خمسة أشياء من هذا القبيل، والذي يكون الحرف الأول من أسائها هو "ميم"، أي خمسة "مكاراس". هذه الأسماء المبتدأة بحرف الميم هي كالتالي:

(١) "مادي" أي الخمر (بجميع أنواعها).

(٢) "ماس" أي اللحوم.

(٣) "متشلي" أي الأسماك.

(٤) "مودرا" أي حبوب محمصاة مقلية.

(٥) "ميتون" أي ممارسة الجنس

ليس من الضروري أن نقول أي شيء عن جعل الجنس جزءاً من العبادة هنا. تكفي مناقشة الخمر واللحم. تم ذكر اثني عشر نوعاً من الكحول وثلاثة أنواع من اللحوم في نصوص التانترا فيما يتعلق بالأجزاء الأربعة الأولى من أنشطة التانترا. ذكر "بولاستيا" وهو حكيم قديم، أنواعاً من الخمر.

بصرف النظر عن هذه المشروبات الكحولية الاثنتي عشرة، هناك ثلاثة أنواع أخرى من المشروبات المسكرة. منها: "تانكا"، و"كولي"، و"كادامباري" وكان "كادامباري" هو المشروب المفضل لدى بالاراما.

يمكن أن تكون هذه اللحوم من الطيور أو من المواشي، والأنعام، أو من الأسماك. وارتبط كل نوع من المشروبات بفضيلة وفوائد خاصة؛ على سبيل المثال هناك شراب يعطي الخلاص، والثاني يعطي التعلم، والثالث يتناول لأجل القوة، والرابع للثروة، والخامس لأجل التظاهر على الأعداء، والسادس لأجل الشفاء من الأمراض والأسقام، والسابع لأجل الخلاص من الخطيئة، والثامن لتطهير النفوس.

تغلغت عبادة "التانترا" في عمق للغاية في ولاية البنغال. وقد كتب راجندرا لال ميترا بناءً على تجربته الشخصية:

"كنت أعرف أرملة من عائلة محترمة للغاية، تنتمي إلى عائلة شريفة جداً في مدينة كولكاتا. والأرملة كانت تنتمي إلى طائفة "كاول" وقد تجاوزت السنة الخامسة والسبعين من عمرها. كانت تؤدي صلاتها كل صباح ومساء حسب الأصول. ولعله لا يمر يوم لا تضع فرشاة أسنانها في زجاجة من الخمر وأن تصلي دون أن تمس تلك الفرشاة المبللة في الخمر أسنانها حتى في عمرها هذا. كانت ترش بزعم قطرات من الكحول على الأزهار التي كانت تقدمها للرب. أشك بشدة في أنها نادراً ما كانت تتناول كأساً من الخمر في حياتها ومن المؤكد أنها لم تختبر شيئاً من متعة الخمر والمسكرات في حياتها لكنها باعتبارها من أشد المؤمنات بدينها "الكاول" فقد اعتادت على اتباع أوامر دينها، ودينها يطالب الخمر لإكمال طقوس العبادة. سأفترض أن هناك الآلاف من الآخرين الذين يتصرفون بنفس الطريقة. في تلك الأجزاء من ولاية البنغال حيث لا يمكن العثور على مثل هؤلاء المخلصات بسهولة، تقوم هذه النساء المخلصات المتمسكات بدينهن بإعداد الخمر عن طريق سكب قطرات من عرق نارجيل في كوب أو سكب القطرات في وعاء نحاسي لصنع كمية قليلة من الخمر. الرجال لا يتقيدون بهذه الكمية القليلة فقد يسمح لهم النظام بشرب خمسة أكواب في يوم واحد. هذه الأكواب مصنوعة بطريقة إلقاء خمس تولات أو أوقيتين من الخمر. وهذا يعني أن دينهم يسمح لهم بشرب حوالي عشرة أوقيت من الخمر في يوم واحد."

لم تقتصر "عبادة التانترا (الكهانة) هذه" حتى على زوايا صغيرة من ولاية البنغال. يقول "مها مهو أبادياي" "مثلما تنقسم الطبقة العليا البنغالية إلى طبقات مثل "شاكثاس"، و"فيشنوواس"، و"شيفاس"، تنقسم على نفس الغرار الطبقات الأخرى من أمثال "كاماروب"، و"ميتلي"، و"أتكل"، و"كالنج"، و"البنديت الكاشميري"... هناك أنواع من الكهنة نحو "شاكثي - مانترا"، و"شيفا مانترا"، و"فيشنو ماترا". وفي "داكثياترا" مها مهو أوبادياي سبرامنيم شاشتري، وشاكات أخرى من عائلاتهم، كما كان الفقيد مهمهو أباوبادياي راما مشرا شاشتري، وبهاغافاد آتشاريه، والأشخاص الآخرين من طبقة فيشاواس، ومها مهو أوبادياي شيفا كومار شاشتري وأشخاص آخرين من فيشاواس كانوا من طبقة "شيفا". هناك عدد كبير من البراهمين من عائلة شاكثا وفيشنوواس "في غابة "برندا" أو "برندا فن". غير أنه في ولاية مهاراشترا وبعض المناطق الجنوبية من الهند هناك عدد "شيفاس"، و"فيشنوواس" أكثر بالمقارنة مع شاكثاس. يُطلق على أتباع كل من فرق "باشوبات" و"جان كام" "شيفاس"، وأما أتباع "مادوا آتشاريه" و"رامانو آتشاريه" فيطلق عليهم فيشنوفاس"، وفي الشمال الغربي من الهند هناك العديد من الناس ذوي الألقاب "ديكشيت" وهم من أتباع راما. يا له للعجب! كل من باندياس لبروشاتم راما من طبقة شاكسا، وعباد إلهة العطاء أي دورغام "فيشنوواس".

على الرغم من أنه ليس من السهل معرفة متى بدأت التانترا وعبادة التانترا<sup>(١)</sup>؟ إلا أنه يمكن القول بدون شك إنها لم تبدأ إلا بعد مانو (صاحب قوانين منو استمرتي). إن أصل عبادة التانترا هو بالفعل مسألة عجيبة. لم يبطل التانترا فقط الأوامر التي أصدرها مانو بشأن استخدام الكحول واللحوم، ولكنهم جعلوا شرب اللحوم واستهلاكها ممارسة دينية.

إن الجزء الذي قام به البراهمة لتعزيز التانترا وعبادة التانترا هو بالفعل مسألة عجيبة. لا يوجد حتى أدنى احترام أو عقل للفيدا في التانترا. قال تانتريكس إن الفيذا مثل المرأة العادية التي لديها اتصال مع أي شخص وأن تانانترا مثل امرأة مولودة في أمان للغاية. لم يرفض البراهمن النظام أبداً. أعطاهم سمعة من خلال تسميتها فيدا الخامسة. يقول المفسرون مثل كولوك الذي علق

(١) هناك عدد من التعاريف المختلفة للتانترا من مختلف وجهات النظر، ولا تتسق كلها بالضرورة. التانترا أو التانترام بمعنى "نسيج" التي تدل على الاستمرارية، هي فلسفة دينية عادةً ما يعتقد معتقوها أن شاكتي هو الإله الرئيسي الذي يعبدونه ويعتبرون الكون لعبة إلهية يمارسها شاكتي وشيفا. وتطبق كلمة "تانترا" أيضاً على أي من الكتب المقدسة لهذه الفلسفة (وتسمى "تانتراس") والتي يشيع تحديدها بعبادة شاكتي. وتعامل التانترا في الأساس مع الممارسات الروحية وأشكال طقوس العبادة التي تهدف إلى كل من التحرر من الجهل والتجدد. وعلى الرغم من التردد في دعم وضع تعريف دقيق للتانترا يقدم ديفيد جوردون وايت تعريف التانترا على أنها "هي مجموعة المعتقدات والممارسات الآسيوية المبنية على المبدأ القائل بأن الكون الذي نعيش فيه خبراتنا ليس سوى المظهر الملموس للطاقة الإلهية للربوبية التي تخلق هذا الكون وتحافظ عليه، والتي تسعى إلى مناسبة وتوجيه تلك الطاقة عن طريق الطقوس وذلك داخل العالم الصغير داخل الإنسان بطرق خلاقة وتجريبية". (م.ع.)

على قوانين منو اسمرتي: إنه هناك نوعان من شروتياس: (١) شروتي فيدي (٢) وشروتي تانتريك. لم يكتف البراهمنيون بعدم الاعتراض على نظام التانترا فحسب، بل دعموا هذا النظام بشدة. فيقول الإله شيفا في "ماتريك فيد تانترا" وهو يخاطب زوجته بارفاتي:

"يا أيتها الإلهة ذات الكلام المعسول! لا يمكن للبراهمين الحصول على الإخلاص إلا عن طريق تناول الخمر. وأنا أكشف لك حقيقة عظيمة. يا جيرى راج! أقول لك أنه عندما يتناول البراهمين الكحول والخمور والأشياء المصاحبة له، فإنه يتحول إلى شيفا لتوه. ومثلما يختلط الماء بالماء، ويختلط المعدن بالمعدن، وتندمج الظروف داخل وعاء مع ظروف وعاء كبير، وكما يندمج الهواء مع الهواء.... بالطريقة نفسها تمتزج روح البراهمين العالم مع خالق الكون (أي البراهما) وتتحدان معاً.

ليس هناك مجال للشك في هذا الأمر. إن الحالة التي تساوي الألوهية وأنواع أخرى من الملذات موصوفة لكشاتريا (المحاربين) والآخرين، لكن بدون المسكر لا يمكن للمرء أن يصل إلى المعرفة الحقيقية. ومن ثم يجب أن يستمر البراهمين دائماً في تناول المسكرات. لا يمكن لأحد أن يصبح براهمنيًا بتكرار "غاياتري" أم الفيدات، وإنما يكون الرجل "البراهمين" الأصلي بفضل معرفته عن البراهمان، أي خالق الكون. إن رحيق الآلهة هو براهمان، ورحيق الأرض هو الشمس، أو النيبيذ الذي تم إعداده من الأرز، بمجرد شرب هذا

النوع من المسكرات يحصل المرء على عبيرًا أو شذّي، ومن هنا يطلق عليه سورا أي الخمر.

لماذا دحض البراهمين رأي مانو والذي يعتبر بمثابة الأب (بسبب قيامه بصياغة قانون منو اسمريتي) ولماذا بدأوا في شرب الخمر وأكل اللحوم مجددًا؟  
هذا أيضا لغز من ألغازهم!

## إله مسالم وإلهة متعطشة للدماء

بعد أن بدأ البراهمين يتناولون الخمر والمسكرات ويأكلون اللحوم، لم يترددوا في كتابة مثل هذه البوراناس لنشر القرابين بالحيوانات وتضحيتها. يجب إجراء نقاش لمثل هذا "البورانا" بشكل خاص، المعنون بـ "كالي بورانا". تمت كتابة هذا البورانا للترويج "عبادة كالي مائي" (أو الأم كالي<sup>(١)</sup>) على سبيل الحصر. يوجد فصل مستقل بهذا الخصوص في هذا "البورانا" يعنون بـ فصل الدم، الممر الملطخ بالدماء.

أقدم هنا ملخصًا للفصل الخاص بالدم. فقد خاطب شيفا في هذا الفصل أبنائه "بيتال"، و"بيرفا" على النحو التالي:

"يا أبنائي! أقول لكم تلك الأحكام والإجراءات والقواعد التي بموجبها يتم أداء القرابين (أي ياغيه) وبعدها يتم الحصول على النعمة الإلهية بها."

"يجب امتثال أوامر فيشنوي تانترا في جميع المناسبات. كما يجب تقديم الذبيحة لجميع الآلهة."

(١). "مائي" معناه "الأم"، فيطلق على معظم الإلهات الهندوسية بالأم. والأم كالي هي إلهة "دورغا". (م.ع.)

"وللإلهة تشانديكا، بيرفي يجوز تقديم القرابين من كل هذه المخلوقات، من ذبيحة الطيور، وذبيحة السلاحف، وذبيحة التماسيح، والأسماك، ومن تسعة أنواع من الحيوانات البرية: الجاموس، والثور، والماعز، والخنازير البرية، ووحيد القرن والرنة، وطيور الغوانا، والغزلان البرية والأسود والفهود والآدميين كذلك. كما أن دم القائم بالذبيحة أيضًا جدير بالقربان ويشنى على صاحبه."

"ولا يحصل الأمراء على النشوة والجنة والانتصار على الأعداء إلا بتقديم التضحيات والقرابين.

"إن فترة المتعة والفرح التي تحصل عليها الإلهة بتقديم قرابين الأسماك والسلاحف هي لمدة شهر، وثلاثة أشهر من قربان التماسيح، ومن خلال التضحية بتسعة أنواع من الحيوانات البرية تظل الإلهة سعيدة لمدة تسعة أشهر وتتعاطف الإلهة مع من يقدم الذبيحة لنفس القدر من الوقت. ودماء الثيران البرية ترضي الإلهة لمدة عام. في حين تجعل قرابين الرنة والخنازير البرية الإلهة فرحة وسعيدة لمدة سنة كاملة، ودم صرباس يرضي الإلهة لخمسة وعشرين سنة وأما دم الجاموس فيرضيها لمدة سنة. ودم الفهود أيضًا يرضي لنفس المدة من السنوات. وقرابين الأسود والآدميين تعطيها سعادة تدوم ألف سنة. كما يوفر لحم هذه الحيوانات سعادة طالما توفرها دمائها. والآن لتنتبهوا لنتائج وثمار القرابين بلحم الرنة وسمكة "روهيت". فتشير المصادر إلى أن لحم الرنة يُبقي

الإلهة سعيدة لمدة خمسمائة عام وأما تضحية "أسماك روهيت" فهي ترضي الإلهة "كالي" لمدة ثلاثمائة عام.

والماعز النقية التي تشرب الماء مرتين فقط خلال أربع وعشرين ساعة، وتكون أعضاؤها هزيلة وتعتبر قادة للغنم، وتسمى "فاردوناسا" تعتبر من أفضل القرابين للإلهة والأجداد.

"وطائر حلقه أزرق ورأسه أحمر ورجليه أسودان، وجناحيه أبيض يسمى "فاردوناسا" وهو ملك الطيور تكون تضحيته مرغوبة ومحبوبة لدي ولدي الإله فيشنو للغاية. و"الذبيحة الذكورية التي يؤديها على الطريقة السالفة الذكر - تسعد الإلهة لألف سنة في حين تضحية الرجل بثلاثة رجال لمدة سنة واحدة. إن ذبيحة الدم التي تُقدس بتلاوة الكتب المقدسة تشبه الرحيق. تحصل الإلهة تشانديكا على متعة خاصة بتضحية الرأس. لذلك يجب على المكلف لدى تقديم القرابين أن يقوم بتقديم تضحية الرأس للإلهة والدماء من الأضاحي، وعند القيام بأداء طقوس النار (أكني ياغيه) أن يقدم اللحم.

"ينبغي للمضحى أن يحرص على ألا يقدم قرابين اللحم الفاسد؛ لأن كلا من الدم والرأس يعتبران كالرحيق.

"إن تومبا، وقصب السكر، والنيذ الخام، والخمور القوية تعتبر مثل الأضاحي الأخرى وترضي الإلهة لمدة طالما ترضي ذبيحة الماعز لها.

"يعتبر ذبح حيوان بالسيف الحاد اللامع من أفضل الطرق، والذبح بالسكين أو الخنجر هي الطريقة المتواضعة، وما يقتل بشيء مثل المجرفة هو الأسوأ."

باستثناء هذه الأسلحات والآلات، لا ينبغي ذبح الأضاحي بأي سلاح آخر كالسهام. الآلهة لا تقبل هذا النوع من التضحية والقرايين. بهذه الطريقة للذبح يموت الشخص الذي يقدم الذبيحة. إن الرجل الذي يلف رأس ذبيحته أو يفعل هذا برأس طائر بيديه يرتكب خطيئة "قتل براهمين" ويجلب الكثير من المعانات".

"يجب على العلماء ألا يستخدموا أي فأس وما إلى ذلك في ذبح الحيوانات قبل أن تستدعيهم الكتب المقدسة لذلك، ويجب قراءة المانترا الفيديا (أي الأدعية المنقولة عن الفيدات) عند الذبح. يجب القيام بذلك أثناء تقديم القرايين للإلهة دورغا والإلهة كاماخيا.

بجانب هذا تم ذكر تانترا "الأم كال راتري".

"إن الوعاء الذي يخزن فيه الدم يمكن أن يكون من الذهب أو الفضة أو الطين كلك حسب قدرة القائم بتقديم القرايين والأضحية.

"لا ينبغي أن يخزن الدم في إناء حديدي".!

"لا ينبغي التضحية بالخيول في مناسبات أخرى ماعدا مناسبة "أشوا ميذا ياغيه"، وبالمثل لا ينبغي التضحية بالفيلة إلا بمناسبة "عاج-ميدها".

"لا ينبغي للبراهمين أبداً التضحية بأسد أو نمر كما لا ينبغي له حتى أن يضحى بدمه وأي شراب مسكر.

"إذا ضحى براهمن بدمه، فهذه خطيئة مثل "قتل البراهمين"، وإذا ضحى بالكحول، فإنه يُبرأ فوراً من خطيئة مثل قتل البراهمين.

"لا ينبغي للكشاترية<sup>(١)</sup> (المحارب) أن يضحى بالرنه من الحيوانات. فإن فعل هذا فيكون مذنباً بارتكاب خطيئة "قتل البراهمين". إذا كان من الضروري تقديم القرابين للأسود أو النمر أو الرجال، فيجب استبدالها بالزبدة وما إلى ذلك من الأشياء ويجب التضحية بها.

وبالتالي، هناك قانون خاص للتضحية بالجواميس وما إلى ذلك. كما تم ذكر طريقة مفصلة لها.

لا ينبغي قتل الأنثى من الحيوانات سواء كانت من المواشي والبهيمة من الأنعام أو من الطيور. من يفعل هذا سيصل الجحيم. غير أنه حيثما تكون غلبة في الطبقة الأنثوية، فإن القيام بذلك يمكن اعتباره مسامحا. ولكن فيما يتعلق بالبشر، يجب الحكم به بدقة واحتراز كبير.

(١). الطبقة العليا بعد البراهمين. (م.ع.)

"لا ينبغي قتل البراهمين ولا تشاندال<sup>(١)</sup>. ولا يُقتل أمير كذلك. لا ينبغي قتل أي شخص قُدّم كقربان إلى براهمين أو لأي إله. حتى طفل الأمير لا ينبغي أن يُقتل ولا يُقتل من انتصر في الحرب. ولا يُقتل ذرية البراهمين أو الكتشارتية (المحاربين)، ولا ينبغي قتل أخ لا ينجب، ولا أب، ولا عالم، ولا راهب متزهّد عن الدنيا، ولا يجوز القتل حتى من قُدّم الأضاحي والقرايين... وإذا تواجدت حيوانات أخرى، فلا يجوز ذبح الفهود والجمال والحمير.

وبالتالي، تم تقديم طريقة مفصلة للرجل الذي سوف يتم تقديمه كقربان.

عندما يكون تقديم الخمر إلزامياً، يجب على الطبقة العليا (أي سرفاني) تقديم المشروبات البديلة.

إذا تم تقديم ذبيحة الرجل دون إذن الملك، فإن الشخص الذي يقدمها يكون مذنباً بالخطيئة. إذا كان هناك أي خطر مباشر طارئ أو حرب، فإن تضحية الرجال يمكن أن يتم من قبل الملوك أنفسهم أو من قبل وزراءهم. ليس من قبل شخص عادي.

"قبل يوم من ذبيحة الرجال، يجب أن يكون الشخص الذي يجب التضحية به مهياً وممسحاً.

(١). هو من ينتمي إلى شريحة منبوذة مسحوقة مثل المتسولين.

يجب ربط الشخص الذي يستحق أن يتم تضحيته بالحبل والمانترا ويجب قطع رأسه وتقديمه للإلهة.

"حسب الطقوس المذكورة أعلاه، فإن القائم بمراسيم القرابين، أو من يقدم الذبائح، يتم تحقيق المزيد من رغباته.

هذا هو الدين الذي نشر مبادئه "كالي بورانا".

بعد اتباع فلسفة اللاعنف وفقاً لهدايات "مانو" لعدة قرون، نرى هنا الآن كيف تغيرت الأوضاع، هنا رقصة العنف والعردة لعنف التانترا على قممتها، ليس فقط عنف الحيوانات ولكن يذبح الرجال الآدميون أيضاً الآن.

أصبح العنف الموصوف في الممرات الدموية لـ "كالي بورانا" راسخاً في الهند. وأما بالنسبة لعنف الحيوانات، فإن ما يحدث في معبد كالي في كلكتا هو تأثير لا يمكن انكاره. فقد أخذ المعبد شكل جزار عادي، حيث يتم ذبح المئات من الماعز يومياً لإرضاء "كالي ماي". إذا كان أي تفسير يمكن لهذه المجزرة، فهو أنه يتوافق مع تعاليم "كالي بورانا" وعلى هذا الأساس تتم هذه التضحيات والقرابين. لا تتم تضحية الرجال للإلهة "كالي ماي" وحدها. لكن لا يعني أن التضحية البشرية لم تتم أبداً. لدينا العديد من الأدلة على أنه تماماً مثل التضحية بالحيوان، فقد تمت التضحية البشرية وفقاً لتعاليم كالي بورانا في شتى فترات تاريخية وفي المناطق المختلفة من التاريخ. كما يقول راجندرا لال ميترا:

"من المعروف جداً أن ممارسة التضحية بالرجال أو التضحية البشرية كانت سائدة في جميع أنحاء الهند لفترة طويلة ولا يندر وجود أناس من يرى أنه في بعض المناطق والزوايا من الهند مازالت تحتاج إلى القرابين البشرية لأرضاء الإلهة.

الآن ما هو جدير بالملاحظة بشكل خاص في هذا الصدد هو أن "الأم كالي" هي زوجة "شيفا". السؤال الذي يتبادر إلى ذهن القارئ هنا، هو: "هل يقبل شيفا التضحية بالحيوان؟" الإجابة الصحيحة على هذا السؤال هي: أنه كان هناك وقت عاش فيه شيفا على أساس التضحية بالحيوانات.

سوف يفاجأ كهنة شيفا اليوم إلى حد ما بهذا البيان. لكن أولئك الذين يريدون أدلة على ذلك يجب أن يقرأوا صفحات "آشفاليانا كريها سوترا" حيث تم تقديم وصف مفصل لتضحية الثيران لإرضاء شيفا.

اليوم لا يقبل شيفا التضحية بالحيوانات. والسبب وراء هذا التغير في شكل عبادة شيفا يعود أصلاً إلى قبول مبدأ اللاعنف وانتشار هذه الفلسفة بين الهندوس وتغلّبها على المقولات القديمة. في البداية جعل البراهمين الإلهة العنيف غير عنيف، ثم جعلوه عكس ذلك، أي أصبح الإله مسالماً بعد أن كان عنيفاً، ثم مما لبثت أن ظهرت ثقافة عبادة "كالي" بعد فترة طويلة عندما تحول شيفا إلى إله غير عنيف في حين تحولت زوجته الجشعة "كالي" إلى إلهة عنيفة.

كانت النتيجة المحزنة لهذا أن زوجة الإله غير العنيف شيفا تحولت إلى إلهة كالي المتعطشة للدماء. ما هو الحل لهذا اللغز؟ حدث ذلك البتة، ولكن لماذا وكيف حدث؟

## مبدأ الطبقات الأربعة

يعتقد كل هندوسي على وجه أساسي أن نظامهم الاجتماعي من النظم الإلهية؛ فقد قام الإله نفسه بوضع هذا النظام. هناك ثلاثة أجزاء لهذا النظام الاجتماعي الإلهي.

أولاً: - أن المجتمع ينقسم بشكل دائم إلى أربع طبقات يطلق عليها مصطلح "فارناس" هي:

(١) البراهمة أو البراهمين<sup>(١)</sup>.

(٢) الكاشتر<sup>(٢)</sup>.

(٣) الويش<sup>(٣)</sup>.

(١) . وهي الطبقة العليا منهم العلماء الذين يعتنون بالأمر الدينية بوجه خاص، وهم يحكمون

الناس بعقلهم، والطبقات الثلاثة مسخرة لخدمتهم؛ الكاشتر، والويش، والشودر. وهم الذين خلقهم الإله براهما من فمه: منهم المعلم والكاهن، والقاضي، ولهم يلجأ الجميع في حالات الزواج والوفاة، ولا يجوز تقديم القرابين إلا في حضرتهم. (م.ع.)

(٢) . أي المحاربين، وهم الذين خلقهم الإله من ذراعيه: يتعلمون ويقدمون القرابين، ويحملون السلاح للدفاع. (م.ع.)

(٣) . أي التجار والمزارعين والعاملين لكسب المال، وهم الذين خلقهم الإله من فخذه: يزرعون ويتاجرون ويجمعون المال، وينفقون على المعاهد الدينية. (م.ع.)

(٤) والشودرا<sup>(١)</sup>.

ثانياً: - ترتبط هذه الطبقات (أي فارناس) الأربعة ببعضها البعض من خلال علاقة عدم المساواة التدريجية.

تحتل البراهمة المكانة القصوى فهم يكوّنون الطبقة العليا، تأتي بعدهم طبقة الكاشتر لكنها أعلى من الطبقتين الويش والشودرا. وطبقة الويش أسفل من البراهمة والكاشترا، لكنها أعلى من الشودرا. وأما الشودرا، فهم في أسفل السافلين، ويأتون بعد الطبقات الثلاثة في الأخير. ولكل من الطبقات الثلاثة أعمال ومهام ووظائف شريفة وكريمة؛ فعمل البراهمة هو اكتساب المعرفة وتعليم الآخرين، ووظيفة الكاشترا هي القتال، ومهنة الويشا هي القيام بالأعمال التجارية، في حين أن عمل الشودرا فهو القيام بخدمة الطبقات الثلاث العليا مثل الأوغاد. يطلق على هذا النظام الطبقي البغيض اسم "نظام فارنا". هذه الطبقة هي روح الهندوسية وعمودها الفقري. بصرف النظر عن نظام فارنا، لا يوجد هناك شيء في الهندوسية ينبغي التعرف على الهندوس من

(١) . وهم من الطبقة الدنيا، الذين خلقهم الإله من رجله، وهم مع الزوج الأصليين يشكلون طبقة النبوذين، وعملهم مقصور على خدمة الطوائف الثلاث السابقة الشريفة، ويمتحنون المهن الحقيرة والقذرة، وقبل دخول المسلمين كانت حالتهم مزرئة للغاية، لا تسمح لهم الطبقات الثلاثة بالعيش الكريم والحقوق البشرية الأساسية، وبعد دخول الإنجليز تغيرت أوضاعهم، وقبيل استقلال الهند وفي فترة ما بعد الاستقلال المبكرة انطلقت حركات إصلاحية عديدة في زعامة جيوتي بوليه شاه، وبابا بيم راو أمبيدكر واضع الدستور الوطني لجمهورية الهند ومؤلف هذا الكتاب... فعادت إليهم بعض الكرامة في حياتهم. (ع.م).

خلاله. ولأن الأمر كذلك، فيجدر بنا البحث عن أصول هذا النظام الصارم على أسس علمية نقدية.

للوصول إلى جوهر الأمر، علينا أن نرى ما يقوله الأدب الهندوسي القديم عن نظام "فارنا" أو النظام الطبقي هذا.

### (١)

سيكون من الجيد أن نقوم أولاً بجمع المواد والبيانات المتاحة في الفيدات بخصوص "نظام فارنا".

فقد جاء ذكر هذا النظام في التريزمة التسعين من "ماندالا العاشر" في كتاب "ريج فيدا" على النحو التالي:

"للإنسان الرجل (أي بوروشا)<sup>(١)</sup> ألف رأس وألف عين وألف قدم. والذي غطى الأرض من جهاتها الأربعة وقد قاسها بأصابعه العشر. والرجل نفسه، هو العالم كله. مهما حدث وماذا سيحدث جله وكله هو ذاك الرجل. وهو أيضاً سيد الخلود بسبب توسعه والذي يحدث من خلال الطعام. إنه عظيم جداً وقد تجاوز الإنسان عظمة العالم هذه. وكل العوالم هي مساكنه. أخذ الرجل ثلاثة أرباع من نصيبه وتقدم إلى الأمام نحو السماء. لكن بقي رבעه هنا. ثم فانتشر واستقر هنا، في الأشياء الصالحة للأكل وغير الصالحة للأكل كذلك.

(١). يبدو أنه إشارة إلى آدم بشكل أسطوري. (م.ع.)

خرج منه "فيراج" أي التراب، وولد "بوروشا" من ذاك الفيراج. عندما ولد، انتقل إلى ما وراء حدود الأرض، إلى الورا والأمام أيضًا. عندما قامت الآلهة بالتضحية معتبرين إياه كذبيحة رجل، أصبح فصل الربيع زبدة، وموسم الصيف وقود الهفان<sup>(١)</sup>، وموسم الخريف مادة لهافان. (٧)<sup>(٢)</sup> فقد ولد هذا الرجل الذي أصبح الفداء العظيم أولًا في البداية. وفي وقت لاحق ضحوا بإلهة القرابين على عشب. كما تم تضحية كل من الإلهين "سادياس، وريشيش". (٨)<sup>(٣)</sup> ولدت الخثارة والزبدة من تلك الذبيحة الشاملة. ومنها ولدت الكائنات الهوائية والبرية والحيوانات الأليفة. و"تراتيل الحفار"، و"ترانيم سما"، و"الآيات" و"يجور فيدا" كلها ولدت من تلك التضحية الهائلة. كما ولدت منها جميع الخيول، والحيوانات ذات الصفين من الأسنان، والأبقار، والماعز والأغنام. وعندما قسمت الآلهة ذاك الرجل وقطعوه إربًا إربًا! فماذا كان فمه؟ وماذا كانت جوانبه؟ وماذا كانت فخذه ورجلاه، وما كانت مادتيه.....؟ كان البراهمة فمه. وأصبح الكاشترا يديه، و"الويش" فخذه، في حين ولد من رجله "شودرا". (١٣) أنجب عقله القمر. أنجبت عيناه الشمس، وولدت إندرا وأكني (أي النار) من فمه والهواء من أنفاسه. كما خرجت الهواء من سرتة، والسماء من رأسه، وولدت الأرض من قدميه،

(١) . نحو الخشب الذي استخدام لأداء العبادة أمام النار. يقال له "سميتا". (م.ع.)

(٢) . هكذا ورد الرقم في الأصل. (م.ع.)

(٣) . هكذا ورد الرقم في الأصل. (م.ع.)

والاتجاهات الأربعة من أذنيه، وهكذا خلقت الآلهة العوالم. (١٥) عندما اتخذ الآلهة الرجل كذبيحة ربطوه بحبل عند الذبح، عندئذ تم غرز سبع عربات خشبية حول النار، وجعلت سبع مجموعة للأخشاب لثلاث مرات تلوا بعد تلو بعضها فوق بعض! وعلى هذه الشاكلة أدى الآلهة عبادة الياغيه أي النار... وكانت هذه هي أولى الطقوس التي تم أدائها في بداية الكون. لقد بحثت هذه القوى العظمى في السماء عن أين سيدها وآلهة الشرق؟

تسمى هذه التريمة عادة "بروشا سوكتا"، لقد تم الافتراض إلى أي مدى يتم تدعيم النظرية الجماعية فيما يتعلق بأصل فارنا.

إن ساما فيدا لم يحوي مسألة "بروشا سوكتا" بين طياته، ولم يقدم أي تفسير آخر لأصل هذه الطبقات ووجودها.

### ❁ هناك فرعان ليجورفيدا:

(١) شووكلا يجورفيدا.

(٢) كرشنا يجورفيدا. ثم يتفرع كرشنا يجورفيدا إلى فروع ثلاثة ومن هنا إلى مجموعات ثلاثة من المانترات. وهي:

(١) كتاك سامهيتا (٢) ميترياني سامهيتا (٣) تاي تري سامهيتا.

لا يوجد سوى فرع واحد من "شووكلا يجورفيدا"، والذي يطلق عليه "فاجسناي سمهيتا".

لا يوجد ذكر لهذه الترنيمة المعنية بحكاية بورشا المذكورة في ريجفيدا لا في ميترياني سمهتا، ولا في كتاك سمهتا لـ "كريشنا يجور فيدا"؛ فلا يوجد فيها تفسير آخر لمبدأ النظام الطبقي الهندوسي.

هناك شيان فقط جديران بالملاحظة حول التفسيرات الواردة في "تيتري سمهتا" ليجور فيدا، وأول شيء هو أنه لا يوجد بين التفسيرين تشابه ما، وهما يختلفان فيما بينهما بشكل بات. والشيء الثاني أنه يتوافق أحد هذه التفسيرات تمامًا مع التفسير الوارد في فرع واجاسناي لشوكلا يجور فيدا، والتفسير الوارد في "تيتري سمهتا" هو تقليد مستقل. وذاك الرأي يتمثل فيما يلي:

"إن فراتيا<sup>(١)</sup> انتابه الشهوة، وتمخض منه الكاشترا.

"فالفراتيا الذي يعرف هذا، لينزل كضيف على الملك ويعامل معه مثل كبيرهم سنًا. من خلال القيام بذلك، لن يضر بمملكة الملك ولا بمنصبه. ولدت منه البراهمة والكاشترا. قالوا: من ندخله؟

والتفسير الوارد في فيجاسنياي سمهتا الذي يتوافق مع التفسير الوارد في تيتري سمهتا هو كما يلي:

حمّد واحدًا فولدت المخلوقات ذوي الأرواح، وكان براجاباتي هو الحاكم. ثم حمّد الثلاثة فولد البراهمة، وكان براهمانا سباتي هو الحاكم. وحمّد الخمسة؛

(١) . فراتيا، يعني من لم يمارس السلوكيات العشرة أو الخالي عن السنسكارا، أي الشقي المحروم من السلوك الحسن. (م.ع.)

فولدت الموجودات، وكان براهمانسباتي هو الحاكم. حمدّ السعة؛ فولد الحكيم سبت، وكان داتري هو الحاكم. حمدّ التسعة؛ فولد البطارقة أي أبناء مريثشي وغيره من الحكماء. وكان أديتي هو الحاكم. حمدّ أحد عشر؛ فولدت المواسم والفصول، وكان أتارفارس هو الحاكم. حمدّ ثلاثة عشر؛ فظهرت الشهور، وكان العام هو الحاكم. حمدّ خمسة عشر؛ فولد الكاشترا، وكان إندر هو الحاكم. حمدّ سبعة عشر؛ فولدت الحيوانات، وكان براهسباتي هو الحاكم. حمدّ تسعة عشر؛ فولد شودرا والويشا (التجار)، وكان الليل والنهار هما الحكمان. وحمدّ واحد وعشرين؛ فولدت الحيوانات التي لا تنفصل حوافرها، وكان فارونا هو الحاكم. حمدّ ثلاثة وعشرين؛ ولدت حيوانات صغيرة. وكان بوشان هو الحاكم. حمدّ خمسة وعشرين فولدت حيوانات برية. وكان الهواء هو الحاكم. ثم حمدّ سبعة وعشرين فانفصلت السماوات والأرض. بعد هذا انفصل فاسو ورودرا وأديتيا. وكانوا هم الحكام. حمدّ تسعة وعشرين؛ فولدت الأشجار وكان سوما هو الحاكم. ثم حمدّ واحد وثلاثين؛ فظهر ذو الأرواح وكان شوكلاباكشا وكشنيباكشا هم الحكام. ثم حمدّ واحد وثلاثين فأصبحت الأشياء الموجودة راكدة وكان براجاباتي براميشتي هو الحاكم.

ومما تجدر هنا الإشارة إليها أنه لا يوجد هناك تآرز بين ريجفيدا ويجورفيدا بخصوص مبدأ الطبقة فحسب، بل ليس هناك رأي واحد للكتابين حول موضوع مهم مثل مبدأ الطبقات الأربعة وأصل نشأتها.

الآن دعونا نأخذ أثارفيدا حيث ورد فيه نوعان من التفسيرات. والكتاب يبدو غير راضي عن إدراج بوروشا سوكتا في حد ذاته واحتوائه عليه. كما يقدم بعض التفسيرات الأخرى بهذا الخصوص، ومن إحدى تفسيراتها:

"ولد براهما قبل كل شيء. وكان لديه عشرة رؤوس وعشرة وجوه. شرب أولاً من مياه "سومراس". وجعل السم ترياقاً وجرد السم عن السمّ.

"خاف الآلهة من الكاشترا عندما كان في الرحم في البطن، فربطوه بالحبال. هذا هو السبب في أنه يولد في حالة ملزمة للحكم بقيود. لو ولد في حالة متحررة لكان تعود على قتل أعدائه. فإن أراد أي شخص أن يولد في دولة متحررة ليتمكن من الاستمرار في قتل أعدائه، فعليه أن يعبد "ايندر براهسباتي" وكل من يريد أن يحرر الأمير من التزام الحكم لا يمكنه فعل ذلك إلا من خلال براهمين. التبرع بالتقيد الذهبي يحرره من حالة الالتزام ويجعله متحرراً.

والتفسير الثاني هو النزول من أعلى إلى الأسفل بواسطة مانو. إذا أخذنا في الاعتبار الوضع الحالي لردهة من الوقت، فسرى أنه لا يوجد إجماع حول مبدأ النظام الطبقي أي "نظام فارنا" في الفيدات في مكان ما. لا يوجد فيدا أخرى يدعم ريجفيدا فيما تدعي بأنه ولد البراهمين من فم براهما، وولد كاشترا من أيدي براهما، والویش من فخذيه وولد شودرا من قدميه.

(٢)

الآن دعونا ننتقل إلى "النصوص البراهمانية" ولنلاحظ ما هو رأيهم بهذا الخصوص.

التفسير الوارد في "شاتابات براهمين" كما يلي:

لقد خلق براجاباتي هذه الأرض بمجرد قوله "بو"، وخلق الهواء بكلمة "بوفيه"، وخلق السماوات بنطقه كلمة "سويه". هذا العالم مرتبط بتلك العوالم منذ القدم. والنار مع كل العوالم. في حين من خلال نطق "بو" خلق البرهما البراهمين، وبنطقه كلمة "بوفيه" خلق الكاشترا، وبكلمة "سويه" جعل الويشا، والنار موجودة مع كل العوالم. وبقوله "بوه" أنشأ براجاباتي نفسه، وبقوله "بوفيه" خلق الأولاد، وبقوله "سويه" خلق الحيوانات. هذا العالم قائم بذاته، بذرياته، وحيواناته، والنار صاحبت كل العوالم والمخلوقات.

ويرد هناك تفسير آخر في "شاتابات براهمين" نفسها على النحو التالي:

"براهما (مثل براهمان في رأي المفسر) كان عالماً وحيداً من قبل. لم يتطور بسبب كونه وحيداً. وذات مرة أصبح متحمساً فأنجب طبقة شريفة باسم الكاشترا، والذين لديهم سلطة وحق في الآلهة مثل إندرا وفارونا وسوما ورودرا وبارجانيا وياما ومريتيو وإيشان. هذا هو السبب في أنه لا يوجد شيء فوق الكاشترا في هذا العالم. من ثم يجلس البراهمين بمناسبة عبادة التتويج

(راجياسوي ياغيه) أسفل من كاشترا. ويعطي هذا المجد والشرف لكاشترا. وإن دَلَّ هذا على شيء فإنها يدلُّ على أن البراهمين هو المصدر الحقيقي لقوة الكاشترا. ومن ثم على الرغم من أن الكاشترا وإن يصل إلى قمة المجد والمنصب إلا أنه في النهاية يعيدها إلى البراهمين ويتخلى عن وظيفته. فمن يدمر براهمين يدمر أصله في الحقيقة. ويحزن كثيرًا مثل الذي يدمر شيخه وجده. لم تتطور. فخلق الويش أي التجار والمزارعين ورجال العمال، أي طبقة الآلهة التي يمثلها فاسو، ورودرا، وأديتيا، وفيشواديف، وماروت. حتى ذلك الحين لم يكن هناك تطور. فأنجبت شودرا أي طبقة أخرى من "فارنا" وبراشان! هذه الأرض براشان (مربية) لأنها مهما كانت فإنها تغذي كل المخلوقات. حتى ذلك الحين لم يكن هناك تطور ملحوظ. لقد أنجب بحماس دينًا أسمى - العدل. هذا العدل هو أيضا حاكم الحكام. لذلك ما من شيء أهم من العدل. وقد يستطيع الضعيف أيضًا إزالة القوي بالعدل. فالعدل هو الحق. هذا هو السبب في أن الرجل الذي يتحدث عن "نياي" أي العدل يقال إنه يتحدث "ساتيا" أي الصدق والحقيقة! والرجل الذي يقول الحق يقال إنه يتكلم بالعدل. لأن هذا الدين السامي مَحَّةُ "العدل" و "الحقيقة"، ويتكون به النظام الطبقي ويتمثل به "براهمين"، و"كاشترا"، و"الويشا"، و"شودرا". وكشاتريا وفايشياس وشودراس. ومن خلال عبادة النار يتحول الشودر الإنسان إلى البرهما بين الآلهة، ومن خلال ويشا إلهي يتحول إلى ويشا إنساني، ومن خلال شودر إلهي يرتقي إلى شودرا إنساني. ومن خلال كاشترا إلهي يتحول إلى كاشترا إنساني

...ومن خلال ويش إلهي يتحول إلى ويش إنساني، ومن خلال شودرا إلهي يتحول إلى شودرا إنساني! ومن ثم يجعل الآلهة النار سلاحهم في مجال الآلهة، ويجعلون سلاحهم "البراهمين" من بين البشر الرجال.

في حين تقدم نصوص "تيتري براهمين" ثلاثة حلول على التالي:

الحل الأول هو "هذا العالم كله خلقه براهما. يقول الناس أن طبقة "الويش" نشأت من ترانيم "ريج فيدا". يقولون إن الرحم اليجورفيدي قد أنجبت الكاشترا. في حين ولد البراهمة من رحم "سام فيدا". قدم الأجداد هذه المعلومات لمن مضى في العهد العتيق والزمن الغابر".

والحل الثاني هو "نشأت طبقة البراهمة نشأ من الآلهة، وأما طبقة شودرا فقد ولدت من الشياطين".

والحل الثالث هو "يتم استخراج الحليب في صحن خشبي. لكن لا ينبغي لشودرا أن يستخرج الحليب. لأن طبقة شودرا ولدت من العوز. يقولون إن الحليب الذي يحلبه شودرا لا يمكن استخدامه لعبادة النار أي "أكني هوترا". فلا يجوز أن يحلب شودرا من أجل "أكني هوترا". لأنهم لا يطهرونه. ولا يكون الحليب صالحًا للعبادة إلا أن تم تصفيته.

الآن دعونا نرى هل تدعم نصوص البرهمين قربان "بروشا سوكتا" أم لا؟ نرى أنه لا يوجد نص منها يؤكد هذه الممارسة.

## (٣)

الشيء التالي الذي يجب ملاحظته هو البحث عن هذا السؤال هل تقول اسمريتياس شيئاً بخصوص مبدأ النظام الطبقي أي نظام فارنا الأربعة. هذه المعلومات قيمة للغاية لأجل التوصل إلى نتيجة حاسمة في هذا الخصوص. هنا نورد رأي مانو فيما يلي:

"أراد هذا الإله الموجود بذاته أن ينشأ من جسده أنواعاً مختلفة من المخلوقات. لذلك قام أولاً بخلق المياه. ثم بذر البذور فيها. وأصبحت تلك البذرة بيضة ذهبية، تلمع مثل الشمس. ومن هذه البيضة ولد ذاك الإله نفسه، "براهماسواروب"، أبو العالم بأسره وخالق الكون كله. يطلق على التاجر (أي بنيا) اسم "نارا" لأنه مشتق من نار. ولأن هذه كانت حركته الأولى، لذلك أطلق عليه اسم "نارايان". وبما أنه نشأ من المادة الأبدية غير الحسية، والتي تسمى "الغني بالتعبير" و"الخالي عن التعبير". ومن خلال إقامته داخل نفس البيضة قام هذا الرجل الإلهي بتقطيع البيضة إلى قطعتين بقوة اليوغا الخاصة به.

"ولأن يعيش الناس في العوالم وكي يكون الكون مستوطنات للكائنات الحية أخرج "البراهمين من فمه، والكاشترا من ذراعيه، والویش من فخذه

وشودرا من قدميه. بعد تقسيم جسده إلى قسمين؛ أصبح براهما رجلاً من نصف جسده وامرأة من النصف الآخر. وجعل في تلك المرأة فيراجًا. 'يا من هم أفضل المخلوقات البشرية! أنا خالق كل الناس. ولأجل خلق الكائنات الحية، قمت بمجاهدة نفسية شديدة وخلقْتُ لأول مرة عشرة الكبار من الحكماء. أسمائهم هي: ماريشي، وأتري، أنجراس، بولاستيا، بولاه، كراتو، باتشيتاس، فاشيستا، بهوجو ونارادا. وبالتالي قام هؤلاء الحكماء العظماء ذو القوة عديمة المثال بخلق سبعة رجال آخرين، كما خلقوا عالم الآلهة، وولد الحكماء العظماء الأقوياء بلاحدود. وهم قاموا بخلق الياكشا، وراكشا، ومصاصي الدماء، وغاندارفاس، والحوريات، والشياطين، والثعابين، والحيات، والطيور الكبيرة وأنواع مختلفة من الأجداد. وها أنا الذي خلق البرق والرعد والغيوم الأخرى... وهكذا قام من قمتُ بتعيينهم والذين أخلصوا لي بخلق تلك الكائنات العظيمة والعالم المتحرك وفقاً لأفعال حياتهم السابقة.

وقد ذكر منو نفسه في كتابه "قانون منو" وجهة نظر أخرى وبموجبها تم تقسيم الناس إلى أربع طبقات.

والآن سأصف بإيجاز الظروف التي تعيشها الأرواح وفقاً للصفات والمحسنات المختلفة. النفوس الرئيسية المتحلية المتطهرة تحصل الألوهية، فالذين لديهم فخامة وبذخ تشكلوا إنساناً، ومن غلب عليهم الجهل تشكلوا الحيوانات، هذه هي النهاية الثلاثية.... الفيلة، والخيول، والشودرا، والقدرة من الناس،

والأسود، والفهود والخنازير المثيرة للاشمئزاز هي "وضع طبقة كريشنا الوسطى"... الملوك والكاشتريا والكهنة أي البراهمين وأمثال هؤلاء الأشخاص الذين يقتصر عملهم على الحرب الكلامية فقط، يعبرون عن الحالة الوسطية التي تهيمن عليها الرغبة المحتومة. المتفانون في الحب المتعصبون للغاية، والزاهدون، والبراهمة، والآلهة التي تطير على متن الطائرات والشياطين هي حالة من الدرجة الثانية من البوجا الخفيفة، والسنة، والمجموعة الأبوية، والتفوق الممكن تحقيقه مثلاً... براهما... جاناك... الديانة-ماهات والفضل غير المرئي كلها تشير إلى المناصب العليا."

ولاحاجة إلى القول إن منو يدعم ريج فيدا غير أنه من وجهة نظر المقارنة، فإن رأيه ليس له قيمة خاصة لدى المقارنة، ووجهة نظر مانو بخصوص كون رأي منو ليست أصلية. إنه مجرد تصريح الببغاء لترانيم ريجفيدا.

#### (٤)

سيكون من المفيد جداً مقارنة هذه المعتقدات بالنهج الذي نجده في كتابي "رامايانا" و"مهابهاراتا".

يقول رامايانا: إن مانو وهي ابنة داكشا وزوجة كاشياب، أنجبت أربع طبقات.

"ألا اسمعوا ووعوا في عقولكم، أنا أخبركم عن كل الخالقين منذ البداية. أولهم كاردام، ثم يأتي بعده فوكريت، وسانسراتري المتبقون، وزوجة الإبن المتحمسة، وستانو، وماريتشي، وأتري، وكراتو العظيم القوي، وبولاستيا، وأنجراس، وبراشيتوس، وبولاه، وداكشا، وفيوشوات، وأريشتانيمي، وكاشياب الأخير. من المعروف عن الخالق "داكشا" أنه كان لديه ستون ابنة. وقام الخالق "داكشا" بعقد قرانه من ثمان بنات داكشا الأجل منهن. كانت أسماء هؤلاء الجميلات الثانية هي: أديتي، وديتي، ودانو، وكلكا، وتامرا، وكرودها فاسا، ومنو، وأنلا. ثم طلب كاشياب المحظوظ من هؤلاء الجميلات: عليكن أن تلدن أبناء مثلي، ليكونوا حماة للعالم الثلاثة. فقبلت أديتي وديتي ودانو وكلكا. لكن الجميلات الأخريات لم يوافقن على ذلك الطلب؛ فأنجبت أديتي وحدها الآلهة "آديتاس"، و"فاسوس"، و"رودراس"، و"أشوفينس" والآخرين الذين يبلغ عددهم نحو ثلاثة وثلاثين إلهًا من حيث المجموع. أنجبت مانو، زوجة كاشياب، من الآدميين أي الإنسان كلاً من البراهمة، والكاشترا، والويش، وشودرا الأخير من قدميها ... هذا هو مفاد الفيذا، في حين أنجبت "أنولا" أشجارًا محملة بالفواكه الحلوة.

من المدهش حقًا أن يقول فالميكى إن الطبقات الأربعة (أي الأربعة فارناس) ولدت من كاشياب وأن ينسَى براجاباتي (الخالق الأصلي)! يعني هذا

أنه كان لا يعرف شيئاً عن حقيقة الأمر وإنما حكي كل ما سمعه فقط، ولا غير. ومن الواضح جداً، أن فالميكي لم يكن يعرف ما قاله الفيذا عن هذا الأمر. الآن لنأخذ "مهابهاراتا" فقد توجد أربعة تفسيرات مختلفة في أربعة أماكن مختلفة. والحل الأول هو على النحو التالي.

ولد داكشا براتشيتاس من أبناء براتشيتاس العشرة. وولدت هذه الكائنات من داكشا، أبي العالم. ونتيجة للتواصل الجسدي مع فاديني، حصل موني داكشا على ألف من الأبناء والأحجار الكريمة. واشتهر كل منهم بتدبيرهم. علمهم نارادا عقيدة الخلاص النهائي والمذهب السامكي أو السامكية. رتب براجابتي داكشا خمسين فتاة برغبة "ستتانوتباتي" وأعطى منها عشر بنات لأجل درما (أي الديانة)، وثلاث عشرة لكاشياب. ولأجل إنجاز العمل في وقته المحدد عهد ٢٧ فتاة الأكثر شهرة إلى إندو (سوما). وأنجب ابن ماريتشي "كاشيابا" من زوجته "أديتياس" ثلاثة عشر من أبنائه. وكان رئيسهم هو "إندر" وكانوا مشهورين بحماسهم. كما أنجبت فيفاسوات كذلك. كان لفيفاسوات ابن قوي. كان اسمه "ياما فيفاسوات"، في حين أنجب مارتاند (أي الشمس) ابنه "مانو" الذكي والقوي. كما أنجب شقيق مانو الأصغر "ياما" أيضاً. وكان مانو متديناً. وباسمه تم إطلاق اسم "مانو سماج" أي "الجنس البشري" على الآدميين. وولد البراهمة (البراهمين)، والكاشترا وغيرهم من الآدميين من "مانو". ياراجان! ومنه ولد الكاشترا جنباً إلى جنب مع البراهمين.

والقصة الواردة هنا تشبه إلى حد كبير بما هو موجود في "رامايانا". هناك فرق بسيط على أنه وفقاً لماههاراتا نشأت الطبقات الأربعة من مانو، وأنه لا يوجد نص في "المههارتا" يدل على أن الطبقات الأربعة من البراهمة، والكاشترا، والويش، والشودرا ولدوا من أجزاء مختلفة من جسد براهما.

ويوافق التفسير الثاني الوارد في "مههارتا" الوصف الوارد في "بروشا سوكتا" على التالي:

"قال بورارفاس: "يجب أن تشرح لي كيف ولدت الطبقة البراهمة (البراهمين) وكيف نشأت الطبقات الثلاثة المتبقية (أي الكاشترا، والويش، والشودرا) وكيف تم تأسيس تفوق النظام الطبقي هذا ومن أين دخلت هذا التفاضل فيما بينها، وعلى أي أساس يعتمد ذلك؟" فأوضح ماتريسوان: "ولد البراهمة (أي البراهمن) من فم براهما (الإله)، والكاشترا من ذراعيه، والويش من فخذه وأما الشودرا فقد ولد من قدمي "براهما" لخدمة هذه الفرناس أي الطبقات الثلاثة. بمجرد ولادة براهمين (من فم البراهما)، أصبح سيد كل الكائنات الحية المتواجدة على الأرض. وظيفته هي حماية الدين. بعد ذلك، أنشأ الخالق الطبقة الثانية وهي الكاشترا، وهي منظم الأرض، تتولى بزمام الحكم والقيادة السياسية، ومثل ملاك الموت تولى بالعقوبة، في حين أمر البراهما بأن تقوم طبقة الويش بجلب الثروة والحبوب إلى الطبقات الثلاثة المتبقية. وكان

من واجب الشودرا أن تخدم الفرناس (الطبقات) الثلاثة". عنداك سأل ابن "إلا":

"يا ريح! قل لي لمن هذه الأرض مع أملاكها لبراهمين أم كاشترا؟ فأجاب الريح: "مهها كان في العالم جلّه وكلّه يعود للبراهمين، لأنه هو المولود الأول. والعلماء الخبيرين بالواجبات يعرفون هذه الحقيقة دون شك. فكل ما يأكله البراهمين أو يرتديه أو يعطيه للآخرين، فكل شيء يخصه. إنه زعيم الطبقات الثلاثة، وهو المولود الأول، الأفضل من بين الطبقات على الإطلاق. مثلما تأخذ المرأة أخ زوجها كزوج لها عندما لا يتوفى عنها زوجها، يكون البراهمين هو السيد الأول، ولا يمكن لأحد أن يأتي إلا بعده".

وهناك موقف ثالث موجود في "شانتى بارفا" من كتاب "المهابهارتا" على النحو التالي:

"فردّ بهريجو قائلاً: وعلى هذا النحو ابتكر الخالق أولاً "براجاباتيس" قبل كل شيء. وكان فيهم نماذج من إبداعاته؛ في إشراقه، كان كالنار والشمس. ثم خلق الإله الحق والبر والتكشف والمعرفة الأبدية للفيدا لتفيد اللجنة. كما خلق الآلهة، والشياطين، والغاندارفاس، والدايتاس، والأسوراس أي الشياطين، والمهورجاس، والياكشا، والأبالسة، والثعابين، والمردة من الشياطين، والرجال كذلك. كما قام بإنشاء الطبقات الأربعة أي البراهمين، والكاشترا، والويش، والشودرا وغيرها من الطبقات. وكانت طبقة البراهمة بيضاء، وكانت

الكاشترا حمراء، وكانت الويش صفراء وكانت الشودرا سوداء. لكن اعترض بهاردواج على هذا السبب للتفاضل، وقال: لئن تم تحديد تعريف الطبقات الأربعة بألوانها فستحدث اضطرابات في جميع الفارناس أي الطبقات. الرجاء، والرغبة، والغضب، والخوف، والشهوانية، والندم، والهلع، والجوع، والإرهاق والعوارض الأخرى تسيطر علينا جميعاً (ككائن بشري). فما هي الهوية المميزة لهذه الطبقات إذن؟ العرق والبول والفضلات والبلغم والصفراء والدم هي نفسها في الكل. فما هي الهوية المميزة إذن؟ المنقولة وغير المنقولة أشياء مختلفة، إذن ما هي هوية الشخصية المميزة لطبقة من طبقة أخرى؟ ومن إجابة بوجو عن هذا السؤال: "أنه لا فرق بين طبقة وأخرى."

والتفسير الرابع ورد أيضاً في باب "شانتي بارفا" نفسه: "يسأل بهريجو قائلاً: أيها الحكيم الفصيح! قل لي ما هي تلك الصفات والميزات، التي بسببها يصبح شخص براهمين، وشخص آخر كاشترا والبعض الآخر ويشا، وشخص شودرا؟؟ فيردّ عليه بهريجو قائلاً: "الشخص الطاهر، الذي خضع لآداب الطبقية من حيث الميلاد، والذي درس الفيدا جيداً، وتمت تربيته بستة أنواع من آداب التطهير، ويتبع آداب التطهير، والذي لا يتناول إلا ما يتقى من فضول الطعام من القرابين، وهو من يبقى قريباً من تلميذه، ويؤدي واجباته الدينية وفقاً للقواعد المرسومة، والشخص الذي يصبر على الحقيقة يسمى "براهمين أو البراهمة". من لديه الحقيقة، ويتحلى بالكرم، والاحترام غير العدواني،

واللاعنف، والتواضع، والرحمة، والتكفير الشديد، يسمى هذا الشخص "البراهمين". والشخص الذي يؤدي واجبات الديوان الملكي، ويدرس الفيدا جيداً، والذي يسعد بإعطاء الصدقة وتلقيها، يسمى "الكاشترا". والشخص الذي يهتم بتربية المواشي والحيوانات، وهو صاحب الزراعة والممتلكات الزراعية، وهو تقي ورع ودرس الفيدا جيداً، يُطلق على هذا الشخص اسم "الويش". ومن يأكل ويشرب من أي نوع، (أي أنه يتناول كل غث وسمين بدون تمييز بين الرديء والفاسد) ويبدو مستعداً للقيام بجميع أنواع الأعمال، ومن لا يتنبه، ومن تخلى عن الفيدا ولا يؤدي طقوساً مقدسة، يُطلق على هذا الشخص اسم "الشودرا". مهما قلته، فهذه ليست خصائص الشودرا. فالشخص الذي هو شودرا قد يظل ويبقى شودرا، لكن البراهمين لن يكون براهمينا بعد الآن. لا يوجد سوى مكان واحد حيث دعم مهاهاراتا طقوس ريجفيدا وتعاليمه، وإلا فلا يوجد شيء يدعمه مهاهاراتا في أي مكان.

## (٥)

الآن دعونا نرى ما تقوله "بوراناس" عن أصل نظام فارنا أو نظام الطبقات الأربعة. دعونا نبدأ مع "فيشنو بورانا" نفسه. هناك ثلاثة مبادئ موصوفة في "فيشنو بورانا" حول أصل الطبقات الأربعة. وفقاً لإحدى

النظريات، نشأت الطبقات الأربعة على يد مانو. كما هو مكتوب في "فيشنو بورانا" النص التالي:

"حتى قبل نشأة تلك البيضة الكونية، كان هناك وجود براهما الإلهي في رحم "براماتما" الروح الأعلى، والخالق الأبدي لكل العوالم، والذي كان جوهر وجود البراهمة، والذي تجسدت بداخله "فيشنو" الإلهة، والذي هو مرادف لكل من يجور فيدا، وساما فيدا، وأتروا فيدا. وقد ولد براجاباتي داكشا من إبهام براهما الأيمن. كان لدى داكشا ابنة تدعى أديتي. والتي أنجبت فيفاسوات. وولد منها مانو. وأسماء أبناء مانو هي: "إكشفاكو، ونريجا، ودريشتا، وسارياتي، ونيرسانتا، وبراسون، ونبهغا نيديشتا، وكاروشا، وباريشادرا. ومن كاروش ولد كاشترا كاروش الجبار العظيم. أصبح "نبهجة" ابن نديشتا ويشا!"

هذا التفسير غير كامل. هذه ليست سوى قصة نشوء كاشترا وويشا. وأنه لا يتحدث حتى عن أصل البراهمن والشودرا ونشوءهما. يوجد هناك وصف ثان ومختلف في كتاب "فيشنو بورانا" على النحو التالي:

'وبقصد إنجاب الإبن، قام مانو بأداء عبادة النار تسمى بـ"ميترا وفارونا ياغيه"، لكنه من سوء حظه ولدت فتاة تُدعى "إيلا" نتيجة لدعاء خاطئ من هوتري<sup>(١)</sup>. ثم نتيجة لمنة ميترا وفارونا وُلد ابن لـ "مانو"، وسُمي بـ

(١). "هوتري" هو الناسك العابد الذي يقوم بإجراء عبادة النار هذه. (م.ع.)

"سودهومنا". والذي بسبب غضب "مهاديف" تحول إلى امرأة مرة أخرى. والتي بدأت تتجول حول كوخ ابن سوما "بوذا" والذي أصبح مفتونًا بها وأقام علاقات جنسية معها وأنجب له ابنًا اسمه "بوروفاس". وبعد ولادته، فإن الإله الذي ولد من ياغيه ريجفيدا ويايورفيدا وسامفيدا وأترا فيدا، من "ياغيه" لكل شيء، من ياغيه العقل، ومن ياغيه أكيجشاتا والذي كان حاضرًا في شكل الشخص العابد بالنار، وتمت عبادته من قبل النجوم الأبدية.. كانت رغبته أن يستعيد سودهومنا شكله الذكوري من جديد. فنتيجة لهذا، تحولت الإلهة المسماة بـ "إلا" مرة أخرى إلى "سودهومنا" الرجل.

ووفقًا لـ "فيشنو بورانا" كان أترى ابن "براهما" ووالد "سوما". رفعه "براهما" إلى مرتبة سيد النباتات والبراهمين والنجوم. وبعد أداء الياغيه المسماة بـ "راج سويا ياغيه" أصبح "سوما" مخمورًا بسبب الغطرسة وهرب مع تارا زوجة معلم الآلهة "برهاسباتي" وسيد الآلهة. وناشد البراهما، والآلهة، والحكماء كلهم "سوما" أن يُعيد زوجة الآلهة لكن دون جدوى، لم يستمع إليهم شيئًا. فانقسم الآلهة إلى فئتين؛ فئة تنحاز إلى سوما وفئة تنحاز إلى سيد الآلهة بريهاسباتي؛ فانحاز "أوشاس" إلى جانب سوما، وأما رودرا الذي تتلمذ على أنجيراس انحاز إلى بريهاسباتي. تبع ذلك صراع شرس من الطرفين كليهما. من جهة كان هناك آلهة، ومن جهة أخرى كان شياطين. هنالك تدخل براهما وأجبر "سوما" على تسليم "نارا" لزوجها. في هذه الأثناء حملت تارا وأنجبت

ولداً. كان اسمه "بوذا". عندما أصر، قبل "سوما" كأب له. كما ذكرنا سابقاً، كان بورورافا ابناً لعطارد وإيلا ابنة مانو.

كان لدى "بوروفا" ستة أبناء. وكان اسم البكر منهم "أيوسا"، وأيوسا كان لديه خمسة أبناء، وهم: ناهوشا وكشاترا فريديها، ورامبها، ورازي وأناناس. وكان اسم "كشاترا فريديها" سوهوترا. وكان لديه ثلاثة أبناء وهم: كاس، وليس، "جريت ساماد". وقام الأخير أي "جريت ساماد" بإنجاب "سونيكا"، وهذا "سونيكا" هو الذي أنجب النظام الطبقي من خلال ولادة الطبقات الأربعة من الرجال؛ أي البراهمة، والكاشترا، والويش، والشودرا. وكان لـ كاس ابن يسمى "كاشي راج"، وكان ابنه "دريشتاماس" وكان هذا هو "دهانفانتاري".

وفقاً للتفسير الثالث، كان خالق النظام الطبقي المبني على الطبقات الأربعة هو "البراهما"، فقد ورد فيه النص التالي:

"كان من بيان ميتريتي: "لقد أخبرتني عن قصة خلق البشر يا براهمان! والآن تكرما أشرح لي بالتفصيل كيف أنشأ البراهما نظام فارنا (أي نظام الطبقات الأربعة)؟ تكرماً اشرح لي ما هي الصفات التي تؤسس عليه الطبقات الأربعة ونظامها، وما هي واجبات البراهمين والطبقات الثلاثة الأخرى؟ أجاب الحكيم باراشارا قائلاً: "عندما ازدادت رغبة براهما في ولادة العالم وفقاً لخبطته المرسومة، فقد ولدت الطبقة (من البشر) التي لديها فائض من الطهارة

والقداسة، من فمه. آخرون، والطبقة التي كانت لديها فائض من الحماسة ولدت من صدره. والطبقة الأخرى التي ساد فيها كُلا من الحماسة والجهل والظلام ولدت من فخذه. وخلق الطبقة المتبقية<sup>(١)</sup> بقدميه. كان من تخصصها الظلام. ومن هذه الطبقات الأربعة تم تشكيل نظام الفارناس؛ أي من البراهمة، والكاشترا، والويش، والشودرا؛ الذين ولدوا على التوالي من الفم والصدر والفخذين والقدمين من براهما.

هنا يقدم فيشنو بورانا نظرية ريجفيدا يدعمها "ساماكيا" فحسب.

كما تم الاكتفاء على ذكر المبادئ فقط في "هاريفاناش بورانا"؛ ووفقاً لإحدى هذه المبادئ نشأت الفارناس (الطبقات الأربعة) من رجل خلقه "مانو". وهذا الوصف يبدو أصح من بيان فيشنو بورانا، حيث يصف فيشنو بورانا:

"كان هناك ابن لـ جريتساماد اسمه "ساناكا". ولد من ذاك "ساناكا" كل من البراهمة، والكاشترا، والويش، والشودرا.

وكان "فيتاا" أباً لخمسة أبناء، وهم: سوهوترا، سهوتري، جيا، جرجا وكابيل العظيمة. وكان لـ سوهوترا ابنان، وهما: الكسالك العظيمة، والمملك

(١). وهي الشودرا. (م.ع.)

جريت ساماتي، وولد من جريت ساماتي كل من الطبقات الأربعة أي البراهمة، والكاشترا، والويش، والشودرا.

ووفقًا للوصف الثاني، تم خلق الفارناس الأربعة بواسطة الإله فيشنو، والذي تم خلقه على يد البراهما، والذي أصبح سيد الآلهة براجاباتي داكشا. السرد يأتي كالتالي:

"ثم ارتفع فيشنو، المولود من براهما، فوق الحواس وفي حالة التأمل والاستغراق، أصبح "براجاباتي داكشا" وخالقًا لكائنات حية مختلفة متنوعة. وتم إنشاء البراهمة، الذين كانوا عزيزين على سوما، من الأبجدية والأحرف. وولد الكاشترا من "كشار" أي الماء. في حين ولد الويش من رحم التغير. وولد الشودرا من الشكل المتغير للدخان. وعندما كان فيشنو يفكر في الفارناس كان البراهمين مصنوعًا من الألوان الأبيض والأحمر والأصفر والأسود. لذلك تم تقسيم شعوب العالم إلى أربع طبقات وهي: البراهمة، والكاشترا، والويش، والشودرا. وفي البداية كانوا يتشابهون في الخلق والمظهر، غير أنه كان هناك اختلاف في واجباتهم. حيث حددت الفيدا واجبات للطبقات الثلاثة الأعلى بالترتيب، وأما الشودرا فقد ولدوا بدافع الحاجة والخدمة! ومن ثم لا توجد لديهم آداب، بالنسبة لهم لا حاجة لمعرفة الفيدات وقراءتها. فكما أن الدخان المنبعث من النار يتطاير هنا وهناك، فلا فائدة لأي شخص، وبنفس الطريقة، فإن أولئك الذين يجوبون الأرض عديمي الفائدة تمامًا من وجهة نظر الياغيه،

لأنهم ولدوا في أسرة دنيا، وأن أنماط حياتهم ليست بصحيحة، كما أن أسلوب حياتهم أيضًا لا يتمشى مع تعاليم الفيذا.

كما نجد هناك وصف حول أصل "الفارناس" في بهاغافاد بورانا على النحو التالي:

"بعد آلاف السنين، ولدت هذه الروح الحية تلك البيضة الميتة. ثم كسر "بوروش" (الرجل الأول) البيضة. فخرجت منها آلاف الأفخاذ، وخرجت آلاف الأرجل، وخرجت آلاف العيون، وخرجت آلاف الوجوه وخرجت آلاف الرؤوس... وكان البراهمة فم ذاك "البوروش"، والكاشترا ذراعيه، والويش فخدیه والشودرا من قدميه. كما ولدت الأرض من رجله، وولد الهواء من سرته، وولدت السماء (الجنة) من قلبه، وولد منه جبابرة العالم.

وبقي الآن في النهاية "وايو بورانا" للتحليل. لنعرف ماذا يقول وايو بوراناس بخصوص هذا النظام؟

هذا الكتاب يقبل مانو كمؤسس لنظام الفارناس، حيث يقول:

"كان هناك ابن لـ جريتساماد اسمه "سونك"، ولد منه "سوناك"، وولد منه البراهمة، والكاشترا، والويش، والشودرا في عائلته. براهمينز وكشاتريا وفايشياس وشودرا في عائلته. وهؤلاء الطبقات ذات الميلادين كانت وظائفها مختلفة.

## (٦)

ما هذا العمى؟ لماذا لا يقول البراهمة نفس الشيء المحدد والمقبول لدى الكل حول أصل نظام فارناس والنظام الطبقي، لماذا تتضارب آراؤهم فيما بينها، ولماذا كل هذا الخلاف، ولماذا كل هذه التفسيرات المتضاربة فيما بينها؟

لا يوجد إجماع حول من خلق هذه الفارناس والطبقات الأربعة. يقول ريجفيدا: إن برجاباتي هو الذي خلق الطبقات الأربعة. لكنه لا يقول: من هو ذاك البرجاباتي؟ نود أن نعرف من كان ذلك البرجاباتي والذي أنشأ هذه الطبقات الأربعة؟ لأنه هناك الكثير من برجاباتيس. ومع هذا لا يوجد إجماع على أن البرجاباتي هو خالق هذه الطبقات؟ فهناك أقوال مختلفة وتفسيرات متنوعة أخرى بعضها تقول إن هذه الطبقات نشأت من براهما، وترى بعضها الآخر أن كاشياب هو خالقها، كما يرى القول الثالث أن مانو هو خالق هذه الفارناس أي الطبقات الأربعة.

وبغض النظر عن مَنْ قام بخلق هذه الطبقات لا يوجد هناك إجماع حول عدد هذه الطبقات؟ تقول ريجفيدا: أنه تم إنشاء أربع طبقات ولكن هناك تصريحات رسمية أخرى تفيد بأنه هناك طبقتان فقط، فما هما الطبقتان الإثنتان؟ يقول البعض "البراهمة" و"الكاشترا" والبعض الآخر يقول هما: "البراهمة" و"الشودرا".

وما هو أساس العلاقة التي أقامها الخالق لإبقاء الفرناس (الطبقات) الأربعة مرتبطة ببعضها البعض؟ يقول ريجفيدا: إن أساسها هو عدم المساواة التدريجية. أساس عدم المساواة هذا هو المكانة المرتفعة أو المنخفضة لهذا الجزء، والتي نشأت منها تلك الفرناس (الطبقات) المعينة. لكن يرفض "شوكلا يجور فيدا" نظرية "ريجفيدا" ويضرب بها الحائط. كما يرفض كل من الكتب الأخرى مثل "أوبانيشاد رامايانا"، و"مهاباراتا" وجهة نظر ريجفيدا هذه، إلى أن قال هريفانشا أن الشودرا لها ميلادان!

أصلاً أن كل هذا الاضطراب ناتج عن الغش والخيانة، التي قام بها البراهمة سرّاً بإدخال هذه النظرية في "ريجفيدا" في شكل نظام الفرناس، خلافاً للتقاليد السائدة.

بعد كل شيء، يبقى السؤال المهم، ماذا قصد البراهمة بخلق هذه النظرية وبإيرادها في ريجفيدا؟

## لماذا هذه المراحل الأربعة للحياة (أشارم دراما) وكيف؟

وليس من عجب العجاب بالنسبة للمجتمع الهندوسي صنيع الهنادس المتمثل في تقسيم المجتمع إلى هذه الطبقات الأربعة فحسب، وإنما هناك شيء أعجب من كل هذا. غير أنه هناك فرق كبير بين الأمرين. حيث أن النظام الطبقي عبارة عن مبادئ لأجل التنظيم الاجتماعي، في حين أن "نظام المراحل الأربعة" أي "أشرامات الأربعة"<sup>(١)</sup> عبارة عن محاولة تنظيم حياة المرء وفقاً لقواعد الحياة الصارمة.

إن نظام "أشرامات الأربعة" يقسم حياة الإنسان إلى أربع مراحل: (١) برهما شاربي أي مرحلة الطالب العازب (٢) جريهاستا أي مرحلة رب الأسرة (٣) فانا براستا أي مرحلة الناسك (٤) ساناياسي أي مرحلة الزهد المتجول.

إن لمرحلة "برهما شاربيه" حالتان: (١) الحالة الفعلية (٢) الحالة القانونية. إن الحالة الفعلية تعني الحياة غير المتزوجة. وأما الحالة القانونية فهي عبارة عن قضاء حياة تعليمية تحت إشراف معلم أو حكيم.

(١) . يعتقد في الهندوسية أن الحياة البشرية تتكون من أربع مراحل. هذه تسمى 'الأشرم' ويجب أن يمر كل شخص بشكل مثالي بكل مرحلة من هذه المراحل. (م.ع.)

ومرحلة "جريهاستا أو ربّ الأسرة يُراد بها حياة ربّ الأسرة والحياة الزوجية.

وفي مرحلة ساناياسي أو الزهد المتجول يقوم المرء بالتخلي طواعية عن حقوقه وواجباته الاجتماعية. إنه نوع من الموت الاجتماعي.

وأما مرحلة "فانا براستا أو الناسك هي الحالة الواقعة بين مرحلة رب الأسرة والتزهد في الحياة. إنها حالة يبقى فيها الإنسان على علاقة بالمجتمع، غير أنه يبقى بعيداً عن المجتمع ونشاطاته. كما يفيد اسمها، معنى العيش في الغابة، إذ معنى "فانا" هو "الغابة".

يعتقد الهندوس أن مؤسسة الأشرامات الأربع هذه تحتل نفس المكانة المهمة في حياة الشخص التي تحتلها مؤسسة الطبقات الأربعة أي نظام الفارناس بخصوص مصلحة المجتمع الهندوسي. وللمؤسستين (الطبقات الأربعة والأشرامات الأربع) كليهما قد يتم إطلاق نفس الكلمة أو التعبير أي "فارنا آشرما درما" أي نظام الطبقات الأشراماتية". كأن المصطلحين لهما مدلول واحد، ويكمل كل منهما الآخر. وعلى هذا المنطلق يعمل هذان النظامان معاً كهيكل حديدي للمجتمع الهندوسي.

وبادئ ذي بدء، سيكون من نافلة البحث أن نفهم أولاً طبيعة أصول الأشرامات الأربع حتى يمكننا دراسة أصولها والغرض منها وخصائصها.

أفضل وسيلة لدراسة نظام "الأشرامات الأربع" هو "منو اسمريتي"، ومن ثم نقدم هنا بعض الاقتباسات من نفس الكتاب فيما أدناه:

"في السنة الثامنة من الميلاد يجب الاهتمام بمناسبة "أوبانايانا"<sup>(١)</sup> لصبي براهمين، وفي السنة الحادية عشرة لـ الكاشترا وفي السنة الثانية عشر لـ الويش.

"إن البراهمة الذي مرّ بميلادين الإثنيْن لكنه لم يدرس الفيذا أبداً والذي يدرس تخصصات دنيوية أخرى يصل إلى درجة "شودرتفا"<sup>(٢)</sup> ونسله أيضاً يتمكن من الوصول إلى هذه الدرجة.

"يجب اتباع أوامر الفيذا فيما يخص بـ "أتشاريا أوبديايا" لمدة ٣٦ عاماً، سواء كان ذلك ثمانية عشر عاماً، أو حتى تسع سنوات أو ما دام البراهماتشاري قد أكمل هذه الممارسة."

(١). "الأوبانايانا" هو سر تعليمي هندوسي، و أحد طقوس أي سنسكارا التقليدية أو طقوس المرور التي تتميز بقبول الطالب من قبل مدرس، مثل المعلم أو أتشاريه، وبدء الفرد في المدرسة في الهندوسية. تعتبر بعض التقاليد الاحتفال بمثابة ولادة روحية للطفل أو ميلاده الثاني. وأنه يدل على اكتساب معرفة الله وبدء حياة جديدة ومنضبطة كبراهماتشاري وفقاً للمجتمع والمنطقة، وأنها تعتبر من أهم الطقوس في حياة الرجل البراهمي ويتضمن حقوق الطفل البراهمي ومسؤولياته باعتباره طبقة البراهمة ويدل على قدومه إلى مرحلة البلوغ. وبالاختصار هو تفويض الصبي إلى المعلم الأتشاري للتعليم والدراسة وإدخاله المدرسة الابتدائية. (م.ع.)

(٢). إن مصطلح "شودراتفا" الذي يتأثر بسرعة.

"وكل من يدرس ثلاث فيدات، أو اثنتان منها، أو حتى الواحدة منها على التوالي، يمكنه الدخول في مرحلة "جربهاستا" أو ربّ الأسرة والحياة العائلية.

إن "براهماتشاريه"، و"جربهاستيا"، وفانا برستا"، و"ساناياسي" هي الأشرامات الأربعة، لكنها كلها تعتمد بشكل أساسي على "جربهاستيا" أي مرحلة رب الأسرة والحياة الزوجية.

"ولكن إذا انقضى كل هذه الأشرامات الأربع أو حتى أشرمة واحدة منها حسب أحكام الدين، فإنها ترفع البراهمين أو رجال البراهمة إلى أعلى مستوى".

"ومن أوامر الفيذا واسمريتاس أن مرحلة "جربهاستا" هي تربع فوق كل الأشرامات، لأنها أساس الأشرامات الثلاثة المتبقية".

"يمكن لخريج البراهمين ذي الميلادين الإثنين الذي عاش في مرحلة جربهاستا أن يذهب إلى الغابة ويعيش حياة فانابرستا ويحافظ على حواسه تحت السيطرة".

عندما يرى رب المنزل أن بشرته قد تجعدت وشعره تبيض أصبح أبيض وأبنائه قد أصبحوا آباء للأبناء، يمكنه الذهاب إلى الغابة للدخول إلى مرحلة فانا برستا.

"بعد أن أمضى الجزء الثالث من حياته في الغابة، يجب عليه الدخول في المرحلة لرابعة من حياته وأن يذهب إلى الغابة لممارسة سناياس أي التزهّد

المتجول. وعند ذاك الوقت لا ينبغي أن يكون لديه أي ارتباط بأي شيء في العالم أو المجتمع.

فالشخص الذي لا يرضى عن حياة الأشرامات الثلاثة بالرغم من وصوله من أشربة إلى أخرى، وأدائه للياغيه، وتصدقه، وتمكنه من السيطرة على أجزاء حاسته وقبوله للتزهد المتجول؛ فإنه يحصل على السعادة القصوى بعد وفاته.

"بعد سداد الديون الثلاثة أي بعد مروره بالمراحل الثلاثة من حياته، عليه أن يلتفت إلى الخلاص النهائي. ومن يسعى إليه دون المرور بهذه المراحل الثلاثة سوف يشهد إنهيًا كبيرًا في حياته."

"بعد دراسة الفيدات وفقًا للقواعد، وبعد إنجاب الأطفال، وبعد أداء الذبائح وفقًا لقدرة المرء، يمكن له الانتباه إلى تحقيق الخلاص."

"ومن تقدم إلى الأمام لأجل الحصول على الخلاص أو التحرر النهائي دون دراسة الفيدات، وإنجاب الأولاد، والقيام بعبادة النار أي "الياغيه" سوف يشهد إنهيًا وسقوطًا."

"بدون دراسة الفيدات، وبدون إنجاب طفل وبدون تقديم القرابين أو أداء الياغيه، سوف يشهد المرء سقوطًا وانهيًا الذي يتجه نحو التحرر النهائي ويسعى لأجله."

من خلال الاعتناء بهذه القواعد وإلقاء نظرة نقدية عليها، يتضح شيء واحد للدارس أنه وفقاً لمانو، هناك ثلاث خصائص للأشرامات الأربع، وهي كالتالي:

(١) أن نظام الأشرامات الأربع محظورة على طبقة الشودرا والنساء كذلك.

(٢) المرور بمرحلة "براهما تشاريه أشرمة" واجب.

(٣) ينبغي للمرء أن يمر من خلال هذه الأشرامات الأربع بنفس الترتيب الذي ورد في الفيدات تلوًا بعد تلوًا؛ الأولى هي براهما تشاريه، والثانية هي جريهاسيتيا، والثالثة هي فانا برستا، والرابعة الأخيرة هي ساناياسا. لا يمكن لأحد أن يتجاوز مرحلة أخرى دون إتمام المرحلة التي ما قبلها.

وبمجرد إلقاء نظرة خاطفة على نظام هذه الأشرامات الأربع يتسرب بعض الشكوك حول الترتيب الدلالي المخطط للحياة.

إن إلقاء نظرة فاحصة على ترتيب هذه الأشرم يثير أيضًا بعض الشكوك حول هذا الترتيب الدلالي المخطط للحياة. فالشك الأول يتمثل في سؤال، وهو ما الذي أجبر "مانو" على وضع هذا الاقتصاد المخطط؟ خاصة عندما ننظر إلى الفيدات، لا يوجد هناك ذكر لمثل هذا النظام. تم ذكر مرحلة "برهما تشاريه" فيها، ولكن لم يذكر في أي موضع فيها أنها هي الخطوة الأولى في الحياة ومن

الضروري المرور بها. فلماذا جعل البراهمة العزوبة شرطاً إلزامياً في الحياة الشخصية؟ هذا هو أول لغز حول نظام الآشرامات الأربع.

والسؤال الثاني هو لماذا جعل مانو من الضروري المرور بهذه المراحل الأربع من الحياة الشخصية بهذا الترتيب المحدد؟ الآن ليس هناك شك في أنه كان هناك وقت كانت فيه أبواب الآشرامات الثلاثة المتبقية مفتوحة لأي براهمشري أي عازب! يمكنه أيضاً دخول مرحلة رب الأسرة أي جريهاستا، وبدون أن يصبح رب الأسرة يمكن أن يصبح سانياسيناً (زاهداً متجولاً) مباشرة. يجب هنا المقارنة بين الآراء لمؤلفي "دارما-سوترا" بذلك. فيقول "فاشيستا دارما-سوترا":

"الشخص الذي درس إحدى الفيدات، أو الإثنتين أو الثلاثة منها وفقاً لقواعد العزوبة، يمكنه الدخول إلى أي أشرمة من هذه الآشرامات الأربع كيفما يشاء."

ويقول غوتما دارما - سوترا:

"يرى البعض أن الشخص الذي درس الفيدات يمكنه أن يختار بنفسه (مرحلة ما) ويدخل الأشرمة حسب رغبته."

يتضح من رأي النصوص المقدسة أنه كان حين من الدهر عندما كانت فيه الحياة الزوجية موضوعاً طوعاً وبعد قضاء مرحلة العزوبة كان بوسع المرء أن

يدخل مرحلة فانا برستا مباشرة، كما كان بإمكانه الدخول في مرحلة "سانياسا" أي التزهّد المتجول مباشرة (أي بدون المرور بالمرحلة السابقة لها) طبعًا إذا شاء. لماذا جعل مانو هذا "الموضوع الاختياري" إلزاميًا؟ لماذا جعل مانو مرحلة رب الأسرة (جرهاستا) ضروريًا للدخول في مرحلة فانا براستا، و"فانا برستا" إلزاميًا لأجل الدخول في مرحلة سانياسا (التزهّد المتجول) وضروريًا؟؟

بعد المرور بمرحلة جرهاستا تبقى مرحلتان لإكمال دورات الحياة الأربع - فانا برستا، وساناياسا؛ فالسؤال هو، لماذا اعتبر مانو أنه من الضروري أن يمر الشخص بهاتين المرحلتين بعد مرحلة جرهاستا أي "رب الأسرة"؟ إن قوانين الحياة في "فانابراستا" و"سانياسا" متشابهة لدرجة أن مثل هذا السؤال يصبح طبيعيًا.

عندما نقارن "فانا براستا" مع "سانياسا" و"جرهاستا" مع "فانا براستا" تبدو لنا بعض أوجه التشابه الرائعة بين الإثنين. ولدى المقارنة فيما بين "فانا براستا" و"سانياسا" يظهر هناك اختلاف بسيط في مسار حياة المرحلتين؛ فأول فرق يتجلى لنا هو أن الرجل في مرحلة "فانابراستا" لا يتخلى عن زوجته ولا عن حقه في ممتلكاته. لكن يجب عليه في مرحلة "سانياسا" التخلي عن كليهما، والفرق الثاني أنه يجب أن يكون هناك مكان محدد للعيش في مرحلة "فارنا براستا" حتى ولو كان في الغابة. لكن "السنياسي" ليس لديه مسكن ثابت، ولا حتى في الغابة. يجب أن يستمر في الانتقال من مكان إلى آخر. ثانيًا، هناك قيود

على "الزاهد المتجول" أو "السانياسي" حيث أنه لا يستطيع تفسير الكتب المقدسة، لكن لا يوجد مثل هذا التقييد على المرء في مرحلة "فانا براستا". وفي الجوانب الأخرى إن حياتهم هي نفسها تقريباً في هذه المراحل.

وبرؤية أوجه التشابه الوثيقة بين "جريهاستا" و"سانياسا" من الصعب جداً فهم ذلك السبب الذي قام مانو بإنشاء مرحلة ثالثة باسم "فانا براستا"؟ أو لماذا أعطاه الموافقة والقبول. وفي الواقع، يجب أن يكون هناك ثلاثة آشرامات فقط وهي: (١) براهما تشاريه آشرمة (٢) جريها ستا آشرمة (٣) سانياسا آشرمة. ويبدو أن تشارنكرا آتشاريه ذهب إلى هذا الرأي. ففي كتابه "براهما - سوترا" لدى ردّه على مدرسة جياميني السابقة المذكورة في ميماسا حيث دَعَم التزهد من جميع الكارما (العمل) تحدث عن ثلاث آشرامات فحسب.

من أين أتى مانو بفكرة "فانا براستا" إذن؟ وما هو مصدرها؟ كما سلف الذكر فيما أعلاه أنه لم يكن هناك دخول إجباري إلى مرحلة "رب الأسرة" أي جريهاستا إثر مرحلة "برهما تشاريه" يعني بعد العزوبة مباشرة. يمكن أن يصبح البراهماتشاري سانياسياً مباشراً حتى بدون دخول مرحلة "رب الأسرة" أي جريهاستا. ولكن كان هناك مسار حياة آخر يمكن أن يختاره أي عازب لا يرغب في الزواج. كانت تلك حياة "أرانيك". وكان هذا النوع من الناس "براهماتشاريس" يمكن لهم أن يعيشوا حياة دراسية وتدرسية مماثلة

دون الزواج. وكان "الأرانيكيون" يعيشون في الأكواخ الخاصة بهم بعيدًا عن القرى أو مساكن الناس. وكان موطن "الأرانيكيين" يسمى "أرانيا" والنصوص التي ألفوها تسمى "أرانياكاس". ومن السهل جدًا أن نفهم أن "فانا براستا" لمانو أساسًا هو "أرانياكا". نعم، هناك اختلافان بـ (١) أجبر مانو عائلة أرانياكا أيضًا على الزواج و (٢) تم نقل وضع "أرانياكا" إلى الرقم الثالث، وبدل مكان الرقم الثاني. وأساس كل خطة مانو يعود إلى أن الزواج يجب أن يتم إجباريًا. وعلى سبيل المثال إذا أراد البراهماتشاري أن يصبح سناسيًا فيجب عليه أن يمر بمرحلة "فانا براستا" أولاً (أي يزوج وينجب الأولاد ليكون هو رب الأسرة)، وإذا أراد ذلك البرهاتشاري أن يصبح "فانا براستا" فعليه أن يدخل مرحلة "جرياها ستا" أي بحكم الزواج الإيجباري.

فقد جعل مانو التخلص من الزواج مستحيلًا، لكنه لماذا فعل هذا؟

## ميلاد طوائف "فارنا سانكرا" (التهجين الطبقي)

مما لا مرية فيه أنه سيرى القارئ لـ "منو اسمريتي" أنه قسم منو جميع الطوائف والطبقات إلى خمس مجموعات من أجل النقاش على النحو التالي:

(١) طوائف آرية.

(٢) طوائف غير آرية.

(٣) الويش

(٤) طوائف منبوذة وساقطة.

(٥) طوائف هجينة.

ويعني مانو بـ "الطوائف الآرية" كُلاً من (١) البراهمة (٢) الكاشترا (٣) الويش و (٤) الشودرا؛ وبعبارة أخرى، يعتبر مانو أن طريقة "تشاتورفارنا" (أي الطبقات الأربعة) هي جوهر الآرية.

(٢) ويقصد بالطوائف غير الآرية تلك الطوائف التي لا تقبل نظام تشاتورفارنا (أي نظام الطبقات الأربعة). وقد أورد مثلاً لهذه الطوائف التي لا تقبل طريقة "تشاتورفارنا" بذكر اسم طبقة "داسيو". ويقصد بـ "براتيا" تلك

الطوائف التي آمنت ذات يوم بطريقة "تشاتورفارنا" لكنها تمرت فيما بعد ضد هذا المعتقد الاجتماعي. وعدّ مانو ثماني عشرة طائفة (١٨) في ضمن طائفة "وراتيا"؛ منها خمس طوائف من البراهمة، وسبع طوائف من الكاشترا، وستة طوائف من الويش، وقد تناول مانو في قائمة الطوائف المنبوذة الساقطة بعض الناس من الكاشترا الذين تحولوا إلى الشودرا بسبب ابتعادهم عن طقوس الآريين، أو بسبب حرمانهم من خدمات الكهنة البراهمة. وقد ذكر مانو نحو ١١ طائفة في قائمة هذه الطوائف المنحطة والساقطة وهي: (١) بونداراك (٢) تشول (٣) درافيد (٤) كاموجا (٥) يافان (٦) شاك (٧) براد (٨) بهالاف (٩) تشين (١٠) كيرات (١١) دراد.

من خلال "طوائف سانكارا" أي الطبقات المتقاطعة، أراد مانو تلك الطوائف التي ولد أعضاؤها من الوالدين المختلفين في انتهائها الطبقي، أي الأب من طائفة والأم من طائفة أخرى.

ثم يقسم مانو هذه الطوائف المختلطة إلى عدة فئات: (١) الأطفال المولودين من طوائف آرية مختلفة. وهم على قسمين: (أ) أنولوما (ب) براتي لوما. (٢)، ثم الأطفال المولودين من طوائف أنولوماس، براتي لوماس. (٣) ثم الأطفال المولودين غير الآريين، ومن أنولوما آريين، ومن طوائف براتي لوماس. وقدّم مانو فهرساً لأسلاف الطوائف التي اعتبرها مانو من بين الطوائف المختلطة أو الهجينة على النحو التالي:

١. طوائف الآريين المهجينة:		
رقم	الأب	الأم
أ-	براهمة	كاشترا
ب	براهمة	ويشا
ج-	براهمة	الشودرا وغيرها من الطوائف نحو ١٢ طائفة.

٢. الأطفال المولودين من طوائف "أنولوما" و"براتي لوما" من طوائف الآريين:		
رقم	الأب	الأم
أ-	براهمة	عمر
ب	براهمة	أمباشتا
ج-	براهمة	أبهيرا
د	الشودرا	نيشاد وغيرها من الطوائف الأربعة.

٣. الأطفال المولودين نتيجة الزواج المهجن بين طوائف أنولوما وبراتي لونا:			
الذرية	الأم	الأب	رقم
ميترياك	أيو غفا	فيديها	أ-
مرغفا وغيرها من الطبقة البالغة عددهم نح ١٢ طائفة.	أيو غفا	نيشاد	ب

قام خلفاء مانو بالإضافة في قائمة الطوائف المهجنة التي أعدها هو بنفسه. ومن بين هؤلاء الخلفاء يأتي اسم كل من مؤلفي "أوشوناش اسمريتي"، و"بوذيان اسمريتي"، و"فاشيشت اسمريتي"، و"ياغيا فالكيا اسمريتي" و"سوت سمهتا". فقد قام مؤلف "أوشوناش اسمريتي" بإضافة أربع طوائف في قائمة مانو القديمة، كما أدخل صاحب "بوذيان اسمريتي" أربع طوائف في القائمة، في حين لم يدخل مؤلف "فاشيشت اسمريتي" إلا طائفة واحدة في قائمة جده مانو. وأضاف مؤلف "ياغيا فالكيا اسمريتي" طائفتين هجيتتين في قائمة مانو للطوائف المهجنة. في حين يبلغ عدد الطوائف المهجنة الجديدة التي أدخلها مؤلف "سوت سمهتا" في قائمة مانو نحو ٦٣ طائفة.

وفي المجموعات الخمس من الطوائف، من السهل فهم التفسير المقدم لأصل الطوائف الأربع الأولى. لكن ليس من السهل قول نفس الشيء عن أصل الطوائف الهجينة التي قالها مانو مهراج. هناك العديد من الأسئلة التي تبدأ في المفاجأة. بادئ ذي بدء، هذه ليست قائمة شاملة لطبقات فارناس الهجينة.

وبإمعان النظر في الطوائف التي نشأت من خليط من الطوائف الآرية وطوائف أنولوما وبراتي لوما، كان ينبغي لـ مانو التصريح بذكر أسماء تلك الطوائف التي ولدت نتيجة التقاء الطوائف الآرية الأربعة و ١٢ طائفة من أنولوما وبراتي لوما. ولو فعل ذلك، لكننا حصلنا على قائمة تضم نحو ٤٨ طائفة من هذه الطوائف. لكنه يذكر هناك فقط أربعة أسماء لهذه الطوائف المختلطة الهجينة.

تم تقديم قائمة من اثنتي عشرة طائفة فقط ناتجة عن مزيج من طوائف أنولوما وبراتي لوما. وكان ينبغي أن يذكر مانو نحو ٤٤ اسمًا مشتقًا من تلك الطوائف. ولو فعل هذا، لكان لدينا ٤٨ اسمًا من هذا القبيل لدينا. لكنه لم يذكر إلا أربعة أسماء فقط من هذه الطوائف.

وكان ينبغي له أن يذكر نحو ١٤٤ اسمًا من خلال مناقشة الطوائف التي ولدت من مزيج من طوائف أنولوما وبراتي لوما. لكنه لم يذكر سوى أربعة أسماء فقط من هذه الطوائف. وقد تحدث مانو فقط عن خمس خلطات محتملة

من خمسة طوائف. وبالتالي لا تندرج طائفة منها ضمن قائمة "فيديها أنولوما براتي لوما"، وأنه لم يخطر بباله التفكير بخصوص ثماني طبقات.

وسيكون البحث عن الطوائف المهجينة الناشئة عن اندماج الطوائف غير الآرية مع الآرية، يبدو غير منطقي كذلك. فإنه يجب أولاً أن يكون لدينا قائمة تحتوي على أسماء تلك الطوائف التي نشأت من اندماج الطوائف الآرية الأربعة والطوائف غير الآرية، لأجل البحث عنها، لكن ليس لدينا مثل هذه القائمة. وهَبْكَ لو افترضنا أنه لم يكن هناك سوى طائفة واحدة من غير آرية - أي طائفة "داسيو" حتى ذلك الحين، كان يجب أن تكون لدينا قائمة من اثنتي عشرة طائفة تم إنشاؤها من اندماج طائفة داسيو وطوائف أنولوما وبراتي لوما، غير أنه لا يتحدث مانو إلا عن طائفة واحدة من هذا القبيل التي نشأت جرّاء هذا الاندماج.

خلال الحديث عن هذه الطوائف المهجينة المختلطة لم يتحدث مانو عن التهجين الطائفي والاختلاط بين "فرا تياس" و"الآريين"، ولا "فرا تياس وطوائف أنولوما وبراتي لوما"، ولا "فرا تياس" و"الطوائف غير الآرية".

ومن بين التركيبات الطائفية التي لم يلاحظها مانو، والتي لم يناقشها، يتميز بعضها للغاية. وعلى سبيل المثال خذ العلاقة المهجينة بين البراهمة والكاشترا؛ فإنه لا يناقش عن الذرية الناتجة عن هذه العلاقة المهجينة. كما أنه لا يوضح ما إذا كانت الذرية الناتجة عن الجمع بينهما طائفة أنولوما أو براتي لوما؟ لماذا لم

يناقش مانو هذا الاحتمال؟ هل نفترض أن هذا الدمج والتهجين لم يحدث أبدًا في زمن مانو؟ أو حدث لكنه كان خائفًا من مناقشته؟ إذا كان خائفًا فمن كان خائفًا منه؟

إن بعض الطوائف الهجينة أو المختلطة التي أوردها مانو هي خيالية بحتة؛ فعلى سبيل المثال أن أسماء بعض الطوائف التي أطلق عليها مانو "الأوغاد أو الحرامي" لم تسمع أسمائهم من قبل مانو. لا أحد يعرف حتى ما حدث لتلك الطوائف بعد مانو. لا يوجد أي أثر لهم اليوم. ألا أن الطوائف هي مادة لا تختلط في الماء مثل الملح أو السكر لينعدم ذكرها من صفحات التاريخ. ولا تختفي بعد ظهورها. في بعض الأحيان قد يمكن أن يحصل هناك إبادة للطائفة لسبب معين، ولكن في كثير من الأحيان لا يحدث ذلك.

ومن هم هؤلاء "أيوجافاس"، و"ديغفان"، و"أوجرا"، و"بگاسا"، و"سوباك"، و"سوباتش"، و"باندو سوباك"، و"آهينداك"، و"فانيداك"، و"ماتا"، و"ماهيكار"، و"شليك"، و"ياكج"، و"كوكوندا"؟ أين غابت كل هذه الطوائف؟ ماذا حدث بهم؟ الآن دعونا نقارن مانو مع بقية اسمريتاس. هل تجتمع كلمتهم فيما يخص بأصل هذه الطوائف المختلطة الهجينة؟ لا على الإطلاق. خذ على سبيل المثال الطوائف التالية:

١. أيوجافاس

رقم	اسمريتي	طائفة الأب	طائفة الأم
١	منو اسمريتي	شودرا	ويش
٢	أوبناسا	ويش	كاشترا
٣	ياغيه فالكيا	شودرا	ويش
٤	بوذيان	ويش	كاشترا
٥	أكني بورانا	شودرا	كاشترا

مثلما لا يوجد أدنى اتفاق حول أصل أيوجافاس، كذلك الأمر بشأن الأوجرا، والأمر نفسه مع نيشاد، وبُكّاسا، وماجادا، رتاكارا، وفيديهكا. إذا كانت شتى الاسمريتاس تناقش أصل الطوائف المختلطة الهجينة، فكيف يمكن أن يكون هناك فرق كبير بينها؟ قد تنشأ نوع هجين ثالث جرّاء اختلاط الطائفتين. ولكن إذا كانت كلتا الطائفتان متماثلتين فكيف يمكن أن تنشأ عنها العديد من الطوائف المختلفة؟ يبدو أن مانو وأتباعه يصرون على نفس الشيء تماماً. نريد توجيه التفاتكم إلى ما يلي من الحالات:

١. إذا كان الأب شودرا والأم ويشية:

أ: يرى البوذيان أن الأولاد تكون "كاشتريا".

ب: ويرى ياغيا فالكيا تكون الأولاد "ماهيشيا".

ج: في حين يرى "سوتا" أن الأولاد تكون "آباشتا".

٢. إذا كان الأب شودراً والأم كاشترية:

أ: يقول مانو إن الأولاد تكون "كاتريا".

ب: ويرى أوشناس أنها تكون "بلاكشا".

ج: وذهب فاشاشيت إلى أنها تكون "فيانا".

٣. إذا كان الأب براهمينا والأم ويشية:

أ: يرى مانو أن الأولاد تكون "آباشتا".

ب: ويقول "سوتا" في موضع أنها تكون "أودرفا نابيت"، وفي موضع

آخر ورد أنها تكون "كومبكارا".

٤. إذا كان الأب ويشيا والأم كاشترية:

أ: يرى مانو أنه يطلق على الأولاد "ماكادا".

ب: في حين يرى "سوتا" أن الأولاد المولودة نتيجة هذه العلاقة الهجينة

يطلق عليها: (١) بوج (٢) مليكيتشا (٣) شالك (٤) وبولاندا.

٥. إذا كان الأب كاشتريا والأم شودرة:

أ: يرى مانو أن الأولاد المولودة بهذه العلاقة تكون "أوجرا".

ب: ويرى "سوتا" أنه يطلق عليها: (١) دوشيانتا (٢) دوشيانتي (٣) شولكا.

٦. إذا كان الأب شودرًا والأم ويشية:

أ: يرى مانو أن الأولاد يطلق عليها "أيو جافا".

ب: وأطلق "سوتا" على هولاء الأولاد "بتانشالي" في قول آخر "شاكري".

والآن دعنا نطرح سؤالًا جديدًا. هل التفسير الذي قدمه مانو حول أصل

الطوائف المهجينة يعود إلى أصل تاريخي؟

لنبدأ من البحث عن أصل "أبيراس" أو الذين يطلق عليهم "أهير"<sup>(١)</sup>.

يرى مانو الأولاد المولودين على رجل براهمن وامرأة من طائفة "أمباشتا"

نتيجة علاقة غير شرعية فيما بينهما يسمون "أبيراس" أو "أهيرا". في حين يقول

التاريخ أن الأهير (الذي هو شكل مشوه الأهير) كان من سلالة بدوية عاشت

في الجزء السفلي من الشمال الغربي حتى نهر السند. وكانت هي طبقة حاكمة

مستقلة؛ فوفقًا لفيشنو بورانا، احتل الأهير مدينة "ماجادا" وحكموا هناك

لسنوات عديدة.

ويقول مانو عن "أمباشتا" إنهم الأبناء الذين ولدوا نتيجة علاقة غير

شرعية فيما بين رجل برهمن وامرأة ويشية. في حين يقول "باتانجالي": إن

(١). وهم رعاة البقر والجاموس والمواشي الأخرى.

سكان بلد أمباشتا كانوا يُطلق عليهم اسم "أمباشتيا". ولاشك في أن "أمباشتا" كانت طائفة مستقلة. يقول ميجاستانيج السفير اليوناني الذي عاش في بلاط تشاندر جوبتا: إن أمباشتيا كانوا إحدى الطوائف التي تعيش في البنجاب، الذين قاتلوا الإسكندر عندما هاجم البنجاب. وقد ورد ذكر "أمباشتيا" في مهاهارتا، على أنهم كانوا مشهورين جدًا بنظامهم السياسي وشجاعتهم.

يقول مانو إن طائفة "آندرا" هم أولاد غير شرعيين بشكل مزدوج. وهم أولاد مولودين على رجل "فيدياك" وامرأة "كرفار". وكانت هاتان الطائفتان بالفعل من طوائف فارنا الهجينة. لكن شهود التاريخ هي عكس ذلك تماما؛ حيث توحى المصادر التاريخية إلى أن "آندرا" هم أشخاص كانوا يعيشون في الجزء الشرقي من الهضبة إلى الجنوب في الهند. كما ذكر المؤرخ جياشتا بليني (٧٧م) كطائفة مستقلة والتي لها حقوق كاملة على قطعة من الأراضي الواقعة في الجنوب. وكانوا أصحاب العديد من القرى. وكان لديهم ثلاثون مدينة لها أسوار حدودية وكانت محمية بالخنادق. لقد سلموا سلطانهم جيشًا كبيرًا يتكون من مائة ألف جندي من المشاة، وألفي حصان وألف فيل.

ووفقًا لمانو، إن سكان منطقة "ماجادا" أيضًا أولاد حراميون وماجادا هي طائفة غير شرعية نظرًا لكونها تكونت من سلالة رجل ويشي وامرأة كشارتية. في حين ذكر "فياكرنا بانيني" تفسيرًا مغايرًا يشير إلى أصل آخر للكلمة

"ماجادا" والتي تفيد بأن قاطني منطقة "مغادا" تسمى "ماجادا". وبشكل عام، أن منطقتي مدينة "باتنه" و"جيا" في ولاية بيهار هي ماغادا القديمة. ومنذ العصور القديمة كانت طائفة "ماجاداس" تعتبر كطائفة مستقلة ذات سيادة مستقلة. وتم ذكره لأول مرة في "أترافيدا". وكان "جارسندا" الشهير ملك "ماغادا". وكان معاصرًا لباندافاس.

ووفقًا لمانو، أن النيشاد المولودين من ذكر براهمين وأنثى شودرة أيضًا أولاد غير شرعيون. في حين للتاريخ رؤية مغايرة وأنه يخالف موقف مانو تمامًا. فقد تشير المصادر التاريخية إلى أن "نيشاد" كانت طائفة بكيان مستقل وذات دولة مستقلة. كان لهم ملك خاص. وهي طائفة قديمة جدًا. إن ترانيم "رامايانا" يذكر "نيشاد-ناريش جوها" في طياتها. وكانت "شرينجفا فور" عاصمة "نيشاد نريشا". وفي الفترة التي كان راما يقضي أيامه في المنفى في الغابة رحب به "نيشاد نريشا" مرة.

ووفقًا لمانو، كان "فيديهاك" من الأولاد غير الشرعيين بسبب ولادتهم على رجل من طبقة الويش وامرأة من البراهمة، أي بسبب العلاقة الهجينة. ومعنى "فيديهاك" هو موطن منطقة فيديها. وأن منطقتي "دربانجا" و"تشامبان" من ولاية بيهار الحالية هما منطقة فيديهاك القديمة. ومازال ذكر هذه المنطقة وأهلها وتاريخها متواجد في الكتب التاريخية منذ العصور القديمة، إلى أن تم ذكرهم في يجور فيدا، ورامايانا كذلك. وكانت سيتا زوجة راما ابنة الملك

جاناك. وكان جاناك ملك فيديها وكانت "ميثيلا" عاصمة فيديها آنذاك الوقت.

يمكن إيراد الأمثلة العديدة الأخرى في هذا الخصوص، والقدر الكافي منها الذي سقناه أعلاه يدل على مدى محاولات مانو لتشويه الحقائق التاريخية المعنية. فقد شوّه سمعة الطوائف الأكثر احترامًا وقوة من خلال وصفهم بـ "الحراميين" أو "غير شرعيين". وقد تم إطلاق على الطوائف الكبار "الحراميين" أو "المولودين غير الشرعيين" بشكل جماعي بمجرد الزواج بين طائفة وأخرى ولأن الأب ينتمي إلى طائفة والأم إلى أخرى. لم يوسع مانو خطته لجعل الطوائف "حراميين أو أولاد غير شرعيين" إلى طوائف "فراتياتاس". لكن أتباعه استمروا في توسيع خطته وأعلنوا أن "فراتياتاس" هم أيضًا حراميون وتم انجابهم بشكل غير شرعي.

فوفقًا لمانو أن طائفة "كاران" هي "فرايتا" لكن يطلق "براهمايفارتا بوران" على هذا الشعب بأنها "حرامية" وأنها "غير شرعية". ويقول إنهم من سلالة والد ويشيا وأم شودرا. ووفقًا لمانو أن "بوندرাকা" هم أيضًا فراتياتاس. لكن وفقًا لـ "براهمايفارتا بوران" فهم أيضًا حراميون، لأنهم من سلالة رجل ويشيا وامرأة من طائفة تشاندي. ووفقًا لمانو، "مالاس" هم أيضًا "فراتياتاس". لكن وفقًا لـ "براهمايفارتا بوران" فهم أيضًا حراميون، بحكم ولادتهم على رجل من طائفة "ليتا" وامرأة من طائفة "تيبيرا". ووفقًا لمانو أن "فراجاج كاوتاكاس" هم "فراتياتاس براهمة" لكن وفقًا لـ "غوتما سمهتا" فإنهم أيضًا

حراميون لكونهم من سلالة رجل براهمي وامرأة من ويشيا. كما اعتبر مانو "يافاناس" من "كاشترا فراتياس" لكن وفقاً لـ "غوتما سمهتا" هم أيضاً حراميون بسبب ولادتهم على أب كاشتري وأم شودرة. ووفقاً لمانو، فإن "قيرات فراتياس" هي من طائفة كاشترا لكن "فالال تشاريترا" اعتبرهم حراميين، لأنهم من أولاد أب من ويشيا وأم براهميين.

من الواضح تماماً أن بعض المجموعات الطبقيّة التي أطلق عليها مانو اسم "الحراميين" لم يكونوا غير شرعيين على الإطلاق. كانوا طوائف مستقلة. أطلق عليه مانو وغيره من مؤلفي الإسمريتياس "الحراميين" فأى نوع من الجنون البادر من قبلهم؟ وهل كان هذا الجنون أيضاً جنوناً مخطئاً؟

عند النظر في الموقف برمته، يظهر لغز كبير في المقدمة وهو لماذا أثار مانو مسألة "طوائف فارنا المهجينة"؟ وماذا كان يريد أن يقول عن "طوائف فارنا المهجينة"؟

من المحتمل أنه أصبح واضحاً لمانو أن نظام "الطبقات الأربعة" بحكم الميلاد، سوف يفشل بالفعل، وأن وجود مثل هذا العدد الكبير من الطوائف، والتي لا يمكن حصرها في الطبقات الأربع "البراهمة"، و"الكاشترا"، و"الويش"، و"الشودرا" سيكون أكبر سبب لفشل ذلك النظام. فاحتاج إلى أنه كيف اضطر لتوضيح سبب نشوء هذه الطوائف العديدة التي لا تؤمن بنظام الطبقات الأربع؟ وبقي النظام مندهشاً فاغر الأفواه!

لكن هل يمكن أن يدرك مانو ما هو التفسير الرهيب الذي قدمه؟ ماذا

يثبت تفسيره؟

وما مدى هذا الهجوم على شخصية الناس وسلوكهم، وخاصة على سلوك النساء؟ من الواضح أن مثل هذه اللقاءات بين الرجال والنساء عبر الطوائف، التي كان محظورًا في ظل نظام "شاتورفارني" الطبقات الأربع، يجب أن تحدث في خفاء وغير علني. ربما لم تحدث على مستوى شامل وكبير. لكن ما لم يُفترض أن العلاقات غير الشرعية كانت سائدة بين الجنسين على مستوى شامل وكبير فكيف يُفهم أو يُفسر أصل "التشانداالا" أو "الأنياجا"، كما يشرح مانو؟

يقول مانو أن أصل "تشانداالاس" هو نتيجة إقامة علاقة عاطفية غير أخلاقية بين والد "شودرا" وأم "براهمين". هل يمكن أن يكون هذا البيان صحيحًا؟ هذا يعني أن نساء براهمين قد لا تكونن انتقائية للغاية بشأن تواضعهن ويجب أن يجتذبن بشكل خاص من قبل رجال شودرا. وهو أمر لا يحتمل صدقه.

وبما أن عدد سكان "تشانداالاس" كبير جدًا لدرجة أنه حتى لو نفترض أن تكون كل امرأة من براهمين تقيم علاقة غير شرعية مع الشودرا وتنجب الأولاد، فلا يمكن أن يبلغ عددهم إلى هذه الدرجة، وبه يبدو أن تفسير عدد تشانداالاس ليس بصحيح.

هل تمكن مانو من فهم أنه من خلال تقديم نظريته حول أصل "طوائف فارنا الهجينة" أعلن أن هذا العدد الكبير من الناس منحطون اجتماعياً وأخلاقياً؟ لماذا قال إن الطوائف الأصلية كانت مختلطة أو أصبحت هجينة الطبقات؟ والواقع، كانت هذه الطوائف مستقلة.

## من الأبوة إلى الأمومة وكاليفارجيا (المحظورات الشرعية في كاليجوا)

والكتاب الذي ألفه السيد "مين" حول "القانون الهندوسي" ناقش فيه العديد من القواعد المتناقضة وغير المتسقة مع قانون القرابة الاجتماعي السائد وفقاً للأعراف. فيقول:

"لا يوجد جزء من القانون الهندوسي غير متسق مثل الجزء الذي يبحث بالقرابة والأرحام. ليس أنه لا يوجد حتى أدنى استمرارية في النظام القديم والوضع الحالي فحسب، وإنما هناك قانون مدهش للغاية أكثر؛ وهو قانون الميراث! الذي يفترض أنه من الممكن نقل طقوس الأجداد من جيل إلى جيل عبر أربعة عشر جيلاً. كما أنه يرتبط بهذا القانون قبول العديد من أشكال الزواج وتشريع علاقات الأبوة والأمومة العديدة الناتجة عن هذا النوع من الزواج. والتي هي مجرد وصف جميل لامرأة يتم اقتيادها واختطافها واغتصابها. في هذه الحالات يتم قبول اثني عشر نوعاً من الأبناء. وفي معظم الحالات نرى أن هؤلاء الأبناء ليس لديهم حتى روابط دم مع آبائهم الحقيقيين."

إن وجود هذا التناقض هو حقيقة واقعة، وسوف تتضح هذه الحلقة بأكملها لمن يرغب في دراسة "قانون الزواج والأبوة الهندوسي".

يعترف القانون الهندوسي بشرعية ثمانية أنواع من الزيجات والزواج، أسماؤها: (١) براهما (٢) وديفا (٣) و أرشا (٤) و براجاباتيا (٥) و أسورا (٦) و غاندارفا (٧) والشيطان (٨) و بايشاتش (أي مصاصي دماء).

إن "زواج براهما" عبارة عن هدية حبّ لفتاة ترتدي زخارف راقية لشخص عارف بالآلهة، يقدم له والد الفتاة، والذي يدعو ذاك الشخص إلى منزله ويرحب به بكل فخر واعتزاز.

في "الزواج الديفا" أي الزواج الإلهي، يقوم والد الفتاة بتسليم بنته لكاهنه، لتكون هي زوجته.

في قانون "زواج أرشا" يدفع والد الزوجة ثمن العريس لأب العريس.

في نظام "زواج براجاباتيا" يطلب الرجل من الفتاة أن تصبح زوجته ويقبل والد الفتاة طلبها. هناك اختلاف يسير بين نظام "زواج براهما" ونظام "براجاباتيا"؛ ففي نظام "زواج براهما" يتبرع والد الفتاة بها طواعية، لكن يجب على مقدم الطلب الإلحاح والإصرار في الطلب لأجل الحصول عليها. ونظام الزواج الخامس الذي يجعل العريس زوجة لفتاة بإعطاء أقصى قدر من المال لوالد الفتاة وأقاربها.

لا يوجد فرق كبير بين نظام "زواج أرشا" و "زواج أسورا" ففي النظامين كليهما يتم دفع ثمن الفتاة لاتخاذها زوجة. الفرق هو أنه في نظام "زواج أرشا" يتعين دفع سعر ثابت لأجل الفتاة في حين أنه لا يوجد سعر ثابت في نظام "أسورا". وفي نظام "زواج غاندارفا" يتم إقناع الفتاة وأقاربها على إقامة العلاقات الجسدية مع الفتاة<sup>(١)</sup>. والاختطاف القسري لفتاة داخل منزلها، وهي تبكي باستمرار وتطلب النجدة من إختوتها وأقاربها الذين دمرت منازلهم أو قُتلوا في ساحة المعركة، يُطلق على هذا النوع من الزواج<sup>(٢)</sup> نظام "زواج شيطاني".

في نظام "زواج بايشاتش" يُرتكب الاغتصاب إما عندما تكون الفتاة نائمة، أو تكون فاقداً للوعي بعد تناول الكحول والمخدرات أو في حالة جنون.

اعترف القانون الهندوسي بثلاثة عشر نوعاً من الأبناء، وهم:

- (١) أوراس (٢) كشيتراج (٣) بيتاريك بوترا (٤) كانين (٥) جوداج (٦) بوناربهافا (٧) ساهودياجا (٨) متبني (٩) اصطناعي (١٠) كريتাকা (١١) أبا-فيدا (١٢) سويامداتا (١٣) نيشاد.

(١) . أي طلب الموافقة على الزنا من الفتاة أو من أهل بيتها وأقاربها. (م.ع.)

(٢) . بل إقامة العلاقات العاطفية مع بنات أو أقارب العدو بعد السيطرة عليهم خاصة في المعارك. (م.ع.)

إن "أوراس بوترا" هو الطفل الذي يحصل عليه الرجل من زوجته الشرعية. و "بيتاريك بوترا" هو الذي تلده ابنة الرجل. ومن ميزة هذا الحفيد وتفسيره هو أنه إذا كان للرجل ابنة فقط وليس لديه ابن فيمكنه أن يطلب من ابنته ممارسة الجنس مع أي رجل يدور في خلدته؛ فإذا ولدت الفتاة نتيجة ذلك الالتقاء غير الشرعي، ولدًا فيُعتبر هذا الولد ابنًا لوالد الفتاة. هذا هو السبب في أن هذا الابن يسمى "بوناريك بوترا" كذلك. يستمر حق الرجل في إجبار فتاته على ممارسة الجنس مع أي رجل يختاره حتى تتزوج الفتاة. ولهذا يتم تحذير الرجل من الزواج بفتاة ليس لها أخ.

معنى "كشيتراج" هو ولد الحقل أو ابن الزوجة. في طريقة التفكير الهندوسي تسمى المرأة حقلًا (أو حرثًا) وصاحبها هو مالك الحقل (الحرث). إذا مات الزوج أو أصيب بالعجز الجنسي وهو على قيد الحياة أو مرض من مرض عضال لا يُرجى شفاؤه، فيتم تعيين إما أخيه أو رجلًا من نفس العائلة لأجل ممارسة الجنس والإنجاب من تلك المرأة. هذه الطريقة تسمى "نيوجا". وهكذا يصبح الإبن المولود على هذه الطريقة "كشيتراجا".

وإذا أنجبت الفتاة خلال إقامتها في منزل والدها ولدًا حتى قبل الزواج، فإن زوجها بعد عقد القران سوف يعتبر ذلك الإبن المولود من قبل ابناً له منذ وقت الزواج. ومثل هذا الصبي يسمى "كانينا".

ويبدو أن "جوداج" يُطلق على ابن يشك أبوه في أمه؛ هل هو مولود من نطفته أم هو عمل غير صالح، لكنه مع ذلك يقبله ابنًا له<sup>(١)</sup>، وكلمة "جوداج" تعنى المشكوك فيه، حيث يشك أبوه في أصله ومن ثم يسمى هذا النوع من الطفل "جوداجًا".

وكان "ساهودياجا" يُطلق على ابن كانت أمه حاملاً قبل الزواج. وبعد الزواج لا يزال هناك شك حول الطفل هل ولد من نفس الرحم أم ولد بعد الزواج من نطفة رجل آخر؟ غير أنه كان من المؤكد أن "ساهودياجا" ابن لأم حامل قبل الزواج، لكن زوجها المستقبلي يعتبره ابنًا له.

تشير كلمة "بوناربهافا" إلى ابن أم هجرها زوجها، وتعيش مع شخص آخر. وقد لجأت إلى منزل آخر من جديد. يُطلق عليه أيضًا "ابن أم" تخلت عن زوجها العاجز جنسيًا، أو المطرود بسبب التفاوت الطبقي، أو العصابي أو الميت واتخذت رجلاً آخر كزوج لها.

و "بارسفا" هو الطفل الذي وُلد من أب براهمن وأم شودرة. والأولاد الباقون هم أبناء "دتّاك" وهم يختلفون الأبناء بالتبني. والتبني هو الابن الذي يسلمه والديه إلى شخص آخر لرعايته باعتباره ابنًا له.

(١). على أن الإبن لصاحب الفراش. (م.ع.).

يسمى "كريتيم" أي "المصطنع" ذلك الابن الذي تم تبنيه من قبل شخص ما بموافقته.

والإبن "الكريت" هو اسم صبي اشتراه أحد من والديه.

ويُطلق "أبا-فيدا" على اسم الطفل الذي تحلى عنه والداه ثم قبله أحد آخر كـ "إبن" له.

"سويامداتا" هو فتى هجره والداه وهو بجيء بنفسه ويقول لشخص من الناس: "يا هذا اجعلني ابنك"، فيقبل أحد منهم كابن له.

ومن اللافت للانتباه النظر في مدى صحة القول بأن العديد من الزيجات كانت مجرد تسميات جميلة لأخذ المرأة عنوة أو اغتصابها قسرًا لكنهم أطلقوا عليه "الزواج" أو "الزيجات"، وبالتالي هناك العديد من الأبناء الذين لا علاقة لهم مع والدهم عن طريق الدم. وكانت هذه الأنواع المختلفة من الزيجات وهذه الأنواع الثلاثة عشر من الأبناء، سارية حتى وقت مانو. لم يقم مانو أيضًا بإجراء أي تغييرات خاصة في هذه المعتقدات الاجتماعية السائدة. وأما فيما يتعلق بأنواع الزيجات، فلا تصفها مانو بأنها غير شرعية. يقول فقط أنه من بين ثمانية أنواع من الزيجات، يجوز للكاشترا ستة أنواع منها، وثلاثة للويش والشودرا.

وبالمثل لا يثبت مانو بأن أيًا من الأبناء الاثني عشر غير شرعي. وبالعكس يعترف بقربانهم وعلاقاتهم. نعم، أنه يقوم بالأمرين وبه يؤثر في أحكام الإرث بتقسيم هؤلاء الأبناء إلى قسمين: (١) أنهم ورثة وأقارب معًا (٢) أنهم من الأقارب لكنهم ليسوا بالورثة. كما يقول مانو في هذا الخصوص:

فالإبن الحقيقي، والإبن المولود من زوجة الرجل، والإبن بالتبني، والإبن المقبول، والإبن المولود في الخفاء، والإبن الذي تم هجره.... كل هؤلاء ورثة وأقارب معًا.

"ابن لفتاة عذراء (غير المتزوجة)، وابن أتي مع امرأة متزوجة من قبل، وابن تم شراؤه، وابن لزوجة تتزوج لمرتين، وابن بالعرض على الآخرين، وابن من زوجة شودرة - هؤلاء هم الستة الذين ليسوا بورثة، لكنهم ما زالوا أقارب.

"إذا كان للرجل واحد وورثان أحدهما ابن والآخر ابن زوجته، يرث كل منهما ملك أبيه".

وبالتالي فإن "الإبن أوراس" (أي الحقيقي) هو الوحيد الذي يحق له نفس الملكية. لا يوجد تأكيد من إرث البقية، لذلك يمكن أيضًا منحهم بعض المال والنفقة.

حدث تغيير كبير آخر في حديث الارتباط بالدم نفسه هذا، لكن من الصعب أن يخطر ذلك التغير ببال أحد أو قلما التفت إليه شخص ما، وهو يتعلق بشخصية الطفل وانتماءه الطائفي في ضوء هذه العلاقات الهجينة؛ فهل ستكون طائفة الطفل هي نفسها طائفة الأب أم ستكون هي نفسها طائفة الأم؟ ووفقاً للقانون الذي كان سارياً قبل وقت مانو، كانت طائفة الأولاد هي نفسها مثل الأب. لم تكن هناك قيمة لطائفة الأم.

وماذا فعل مانو؟ فالتغييرات التي أتى بها مانو فيما يتعلق بطائفة الطفل هي جذرية وعلى مستوى ثوري. إنه قام بوضع قواعد وضوابط صارمة بهذا الخصوص:

"إن الأولاد من جميع الطوائف أو فارناس الذين ولدوا من الزوجات اللواتي تمت زواجهن وفقاً للأعراف سيعتبرون من طائفة أبيهم أي أنهم ينتمون إلى أصل آباءهم وطوائفهم.."

"والأطفال الذين يولدون لأب ذي الطائفتين وأم تم زواجها بشخص أعلى منها من حيث الطائفة من الدرجة الثانية، هم أيضاً يعتبرون من طائفة آبائهم، اللهم إلا أنهم بسبب خطأ أمهاتهم، سيضطرون إلى وضع تيكه (أي علامة على الجبين)."

"والأطفال الذين يولدون لأب ذي الطائفتين وأم تم زواجها بشخص أعلى منها من حيث الطائفة أقل من الدرجة الثانية، هم أيضًا يعتبرون من طائفة آبائهم.

"بعض الأطفال المولودين من قبل الآريين من الزوجات أدناهم طبقة سيكون لديهم نفس الحقوق مثل دويجاس لكنهم سيعتبرون من الشودرا.

هنا قلب مانو قواعد النظام الطبقي فيما يخص بانتناء الأولاد العائلي. لقد جعل أمها "سافارنا" بجعله محروما من الانتناء الأبوي.

على الرغم من العديد من القيود كان هناك العديد من أوجه القصور في نظام تشور فارنا أي الطوائف الأربع والتي من خلالها يمكن للمرء الحصول على طائفة يريدها. وبالرغم من أن الشودرا لا يمكنه بحال أن يتحول إلى البراهمين، ولا كاشترا، ولا فايشا، يمكن لابنه أن يحصل على طائفة أخرى؛ على سبيل المثال إن تزوج الشودرا بامرأة ويشية وولد له ابن فيصبح الابن "ويشا"، وبالمثل إن تزوج بامرأة كاشترية وينجب لها طفل فيصبح "كاشتريا"، وإن تزوج من امرأة برهمنية وينجب لها طفل فيصبح هذا الطفل برهمنًا، أيضًا. يا ترى لماذا تغير مانو قاعدة الأصل وحوّلها من الأبوة إلى الأمومة وجعل الأم هي تحدد طائفة الأم لا الأب؟

## وكاليفارجيا (المحظورات الشرعية في كاليجوا)

قلة قليلة من الناس ربما سمعوا أي شيء عن أسطورة تسمى "كاليفارجيا". لا ينبغي الخلط بينها وبين أسطورة أخرى من التي اختلقها البراهمة والتي تسمى "كاليجوا"<sup>(١)</sup>. وتعني أسطورة "كاليفارجيا" الاعتقاد الخاطئ بأن الأشياء والنشاطات والأعمال المباحة في العصور أو الأزمنة الأخرى سوف يتم حظرها في "كاليجوا" أي العصر الحاضر أو الزمن الحاضر. هناك معلومات موثوقة بها متواجدة في الأماكن المختلفة من يوراناس. وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر بعضها فيما يلي:

- (١) تعيين أخ الزوج لإنجاب الإبن من أرملة أخيه الموت.
- (٢) ذبح بقرة بمناسبة طقوس "جو ميدها ياغيا".
- (٣) شرب الخمر حتى في طقوس "شروتا ماني".
- (٤) القضاء بحكم الإعدام على براهمين لكفارة.
- (٥) تقديم لحوم الحيوانات للعريس والضيف والأجداد مع قراءة

الماتراس.

(١). العصر أو الزمن الحاضر، أو الحال. (م.ع.).

(٦) ذبح الحيوانات على أيدي البراهمة التي تُذبح للقرايين.

(٧) القيام ببيع نباتات "سوما راسا" وشراءها على أيدي البراهمة.

(٨) الإذن بقبول الطعام المطبوخ للبراهميين من عبيدهم حتى لو كانوا من

طبقة شودرا.

(٩) السماح بجمع الصدقات من بيوت جميع الطبقات لـ "السانياسي" أي

الزاهد المتجول.

(١٠) تعيين شودرا لطهي المطابخ للبراهمة وغيرهم.

(١١) الحكم بالمبيت أينما يحل المساء بالنسبة لـ "السانياسي" أي الزاهد

المتجول.

والمفاجأة الكبرى في "كاليفارجيا" هي أن الناس لم يدركوا مدى أهميتها

بالكامل. يرى أنها عبارة عن قائمة الأشياء والأفعال أو الأعمال غير المسموح

لها في كاليوجا. ولكن هناك الكثير من الأمور وراء قائمة هذه المحظورات. ولا

شك في أن هذه الأعمال المذكورة أعلاه وأعمال "كاليفارجيا" الأخرى قد تم

إعلانها بأنها غير قابلة للتطبيق والقيام بها في "كاليوجا". السؤال هو لماذا؟ هل

هذه الأعمال غير أخلاقية؟ وهل فعلها إثم؟ هل تهدد المجتمع؟ الجواب لا. ثم

يخطر ببال القارئ سؤال آخر، وهو: إذا تم الإعلان عن منع هذه الأعمال،

فلماذا لم يتم الاعتراف به؟ هذا هو لغز "كاليفارجيا". إنها عملية تحريم لشيء ما

دون أي تردد، وهو أمر لم يكن معروفاً في أي مكان في الأزمنة السابقة. خذ مثلاً واحداً فقط.

يعارض "آباستاب دراما سوترا" حكم منح كل ممتلكاتك للإبن الأكبر فقط. وينتقد على هذا الحكم بشدة. يقضم في ذلك. لماذا اختار البراهمة هذا الأسلوب الجديد؟ حرّموه لكنهم لم ينتقدوا؟ يجب أن يكون هناك سبب للسير على هذا الطريق الجديد. فما هو السبب؟

## هل "مانفانتارا"<sup>(١)</sup> نظام سياسي؟

كان هناك مبدأ للبراهمة يرى أن الانضباط لبلادهم يتم من العالم السماوي. يبدو أن هذه الأيديولوجية هي تعمل في نظرية "مانفانتارا".

الفكر المرتبط بالحكم السياسي للبلاد هو أصل فكرة "مانفانتارا". وأساس هذا الاعتقاد هو الاعتقاد بأن كل سلطة الدولة في العالم تكون تحت إدارة بلدية، لفترة زمنية معينة ويكون لتلك البلدية موظف يُطلق عليه "مانو". فيقوم هو وسبعة حكماء، والإله إندر بإدارة أعمال تلك البلدية جالسين في العالم السماوي. إنهم لا يأخذون مساعدة ولا نصيحة من أبناء البلاد في هذا العمل. يُطلق على فترة حكم هذه البلدية اسم "مانفانتارا" بسبب اسم حاكمها الرئيسي مانو. عندما

(١) . فترة حكم "مانو"، و كلمة "مانفانتارا" وفقاً لعلم الكونيات الهندوسي، هي فترة دورية من الزمن يتم تحديده مدة أو حكم أو عمر مانو ، سلف البشرية. وفي كل فترة من "مانفانتارا" يتم إدارة أعمالها وشؤونها على يد مانو خاص، والذي يُخلقه البراهما، ويقوم مانو بخلق كل الكائنات الحية في الكون، والتي تعيش على مدى حياة "مانو" نفسه، وعمره يستمر لمدة ٣٠٦,٧٢٠,٠٠٠ سنة، ونحن حالياً في مانفانتارا السابعة، يحكمها فيفاس فاتا مانو". وعندما يموت واحد من هولاء مانو، يُخلق البراهما مانو آخر، ويتكون كالب واحد من أربعة عشر وأعمارهم، وتساوي "كالب واحد" لمدة يوم لبراهما. (ع.م).

ينتهي وقت مانو، يبدأ عمل مانو آخر. تمامًا كما تستمر دورة يوجاس كذلك تستمر دورة "مانفانتارا". وتكوّن أربعة عشر مانفانتاراس دورة.

لقد قدم لنا فيشنو بورانا معلومات تالية حول "مانفانتارا":

أعطى براهما لنفسه صورة رمزية تتمثل في شخصية "سوايامبو مانو" وكان هذا هو شكله الأصلي. كان الغرض منه حماية الكائنات الحية. في حين اختار شكله الأنثوي في صورة "ساتروبا" الرمزية. وقد قدسته المجاهدة والرياضة من النجاسة الزوجية وأدران العلاقات الجنسية. ثم جعلها "سوايامبو مانو" زوجته.

هنا يمكن أن يتبادر إلى الذهن سؤال مهم، وهو ماذا يعني ذلك أي التجسد في جنسين إثنين؟ هل هذا يعني أن براهما كان ثنائي الجنس؟ وهل يعني هذا أن "سوايامبو مانو" تزوج أخته؟ على حدّ تصريح فيشنو بورانا، إلى أي مدى سيكون هذا مفاجئًا إذا كان هذا صحيحًا؟ يقول فيشنو بورانا:

"ولد ابنان لهذين الاثنين أي من سوايامبو مانو وزوجته. وسميا "بريافراتا" و "أوتانابادا". كما وُلدت بتتان وتم تسميتهما "براسوتي" و"أكوتي". كانت البتتان جميلتين للغاية وفاضلتين جدا. وأعطى "سوايامبو مانو" ابنته "براسوتي" داكشا والأخيرة "أكوتي" والدّه الروشي. كان لروشي

مولودين توأمان<sup>(١)</sup> من أكوتي - يسميان "ياغيا" و"داكشينا"، اللذان أصبحا فيما بعد زوجًا وزوجة. يعني تم الزواج بين الأخ والأخت؟ ومن وولد لهما اثنا عشر طفلاً والذين أصبحوا آلهة يُدعون "ياما". كل هذا حدث في مانفانتارا أي فترة حكم في سوايامبو مانو.

كان مانو الأول هو "سوايامبو" تم تبعه الآخرون، وهم على التوالي: "سواروتششا"، و"أوتامي"، و"تمسار"، و"زيوات" ثم "تشوكتشا" والذي معناه العين. قضى هؤلاء مانوس الستة نحبهم، وانقضى فترة إدارتهم. ومانو من "مانفانتارا السابع" هو الإله الرئيس، واسم هذا المانو في الفترة الحالية هو "فايشفا مانو" وهو ابن سوريا.

"والآن سوف أناقش الآلهة والحكماء والأبناء المشاركين في العمل مع "سواروتشيشا مانو". كانت الآلهة آنذاك الفترة أي في "مانفانتارا الثانية" تسمى بارفات (أي الجبال) وتوشيت. كان ملك الآلهة القوي فيباشيت. وأما الحكماء السبع فهم: "أورجا" و"ستامبا" و"براجا" و"داتولي" و"ريشابه" و"نیششار" و"أخريفاتا" و"شيترا" و"كيمبوروش" والعديد من أبناء مانو النجباء.

(١). مولود ذكر وأخرى مولودة أنثى. (م.ع.)

ثم ذكر مؤلف فيشنو بورانا أسماء آلهة من "آتمين مانفانتارا" أي الفترة الثالثة من حكم المانو الثالث، ثم ناقش الفترات الأخرى للمانو الرابع والخامس والسادس بالتفصيل.

بالإضافة إلى مناقشة مانفانتاراس السبعة الماضية بالتفصيل، ناقش فيشنو بورانا أيضًا سبعة مانفانتاراس القادمة. يشعر القارئ بالملل من مناقشة كل من المانفانتاراس. ومع ذلك، فإن قصة "مانفانتاراس" ماثلة. لتحدث عن دكتاتورية البروليتاريا (الطبقة العاملة). كانت معتقدات البراهمة عكس ذلك تمامًا. (والتي ترى) أن هذه الديكتاتورية أصلاً كانت ديكتاتورية البطارقة السماويين على البروليتاريا.

مهما كان الأمر، فالسؤال الذي يمكن أن يتبادر إلى ذهن أي قارئ هو كيف كان هؤلاء مانوس البالغ عددهم أربعة عشر بالتوالي يحكمون العالم الأرضي من قاعدتهم السماوية؟ وكيف كانوا يديرون هذا العالم الأرضي؟ إن مانو اسمريتي هو الكتاب الوحيد الذي يمكنه أن يحل هذه المشكلة، فقد ورد في الجزء الأول من "مانو اسمريتي" هذا ما يلي بهذا الخصوص:

"كان مانو متربعا على عرشه، فاقرب إليه العديد من الحكماء العظام، فعبدوه وتضرعوا إليه:

"تكرما، أخبرنا عن أربعة فارناس أي الطبقات الأربعة وواجباتها؟

فردّ مانو قائلاً:

"هذا العالم كان موجوداً في صورة ظلام حالك. كأنه في سبات عميق."

"أراد سوايامبو مانو أن يلد أنواعاً مختلفة من الكائنات الحية، لذلك خلق

الماء أولاً ثم وضع البذور فيه."

"ثم تحولت تلك البذرة إلى شكل بيضة. أن مانو (الأول) نفسه، خالق

العالم ولد من تلك البيضة."

"ثم قمت بأنواع من المجاهدة والرياضة الصعبة مع الرغبة في خلق

الكائنات الحية المولودة. وبعد ذلك أنجبت عشر حكماء، وكانوا سيد الخليقة.

وأسماء هؤلاء الحكماء العشرة: هي: "ماريشي"، و"آثري"، و"أنجيراس"،

و"بولاستيا"، و"بولا"، و"كراتو"، و"براشيتاس"، و"فاسيشتا"، و"بوجو"،

و"نارادا".

"ثم وضع مؤسسات للقواعد المقدسة واهتم بتعليمها، ثم أعطاني المعرفة

أنا فقط، وأعطيتُ أنا المعرفةً لماريشي وغيره من الحكماء.

"سيعطيك "بريجو" مقدمة كاملة لهذه القواعد لأنه تعلم كل القواعد مني."

يتضح من هذا أن مانو وحده هو الذي وضع كل القواعد. نعم إنه كان

مانو؛ سوايامبو منو. ووفقاً لفيشنو بورانا، كان هناك لكل من "مانفانتاراس"

مانو خاص بها. لماذا لم يضع كل هؤلاء مانو قواعد لمانفانتارا الخاصة بهم؟ هل

قانون مانو الأول كان للأبد؟ وإن كان الأمر كذلك، فلماذا قام البراهمة بوضع "مانفانتاراس" مختلفة؟؟

لقد عرف التاريخ العديد من أنظمة الحكم - الملكية والأوليغارشية<sup>(١)</sup> والديمقراطية. ومن بينها "الديكتاتورية" أيضًا. ونظام الحكم الأكثر انتشارًا في هذا الوقت هو الديمقراطية. لكن لا تجتمع كلمة الخبيرين في العلوم الاجتماعية على تعريفها المحدد، ولا يوجد إجماع حول ما هي الديمقراطية؟ عندما نمعن النظر في هذا السؤال، نرى أنه يوجد رأيان بهذا الخصوص؛ رأي يفيد بأن الديمقراطية هي نظام حكم. وبحسب هذا الرأي، حيثما يقوم الشعب باختيار الحكومة (عبر التصويت) تسود هناك حكومة تمثل الشعب، ويفترض أنه هناك ديمقراطية، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على أن الديمقراطية هي مرادفة للحكومة التمثيلية، مما يعني تصويت المدنيين البالغين إلى سن الرشد<sup>(٢)</sup> وإجراء انتخابات في الوقت المناسب المحدد.

ووفقًا للرأي الآخر، فإن الديمقراطية هي أكثر بكثير من مجرد كونها نظام حكم. إنه شكل من أشكال النظام الاجتماعي. وفي المجتمع الديمقراطي، هناك شيان ضروريان؛ أول شيء هو أنه لا ينبغي تقسيم المجتمع إلى مستويات مختلفة وفقًا للفرانس أي نظام الطبقات الأربعة. والأمر الثاني هو أن الأفراد

(١) . هو نظام حكم، يحكم فيه البلاد مجلس من الإشرافية أي الطبقة العليا. (م.ع.)

(٢) . ويعتبر سن البلوغ في الهند للتصويت ١٨ سنة لكل من ذكر وأثنى. (م.ع.)

والجماعات يجب أن يعتادوا على الاهتمام بتبادل المصالح الشخصية والحفاظ على العلاقات الدائمة.

فأما الأمر الأول فلا يمكن إنكار أنها جزء أساسي من الديمقراطية (أي لاتسمح الديمقراطية التمييز بين مواطن وآخر وتقسيمهم إلى شتى المستويات على أساس اللون، والرخاء المادي، أو الطبقة). والشرط الثاني ضروري بنفس القدر لمجتمع ديمقراطي.

من بين وجهتي النظر السالفتين المذكورتين فيما أعلاه عن الديمقراطية يبدو أحدهما إن لم يكن خاطئاً فإنه تافه للغاية. إذا كان المجتمع الذي تم إنشاء النظام الديمقراطي لأجله ليس هو ديمقراطياً في تكوينه ونظامه وممارساته الاجتماعية، فلا يمكن تحقيق النظام الديمقراطي بالمعنى الدقيق للكلمة. والذين يعتقدون أن تسمية الانتخابات هي "الديمقراطية" نفسها أنهم يرتكبون ثلاثة أنواع من الأخطاء:

ومن إحدى الأخطاء الذي يرتكبونها هو أنهم يعتقدون أن الحكومة والمجتمع منفصلان بشكل واضح عن بعضهما البعض. والحقيقة هي أن الحكومة لا تنفصل بشكل واضح عن المجتمع. بل الحكومة هي إحدى المؤسسات التي ينشئها المجتمع والتي تفرض عليها مسؤولية أداء واجبات معينة والتي تعتبر ضرورية لأجل حماية الحياة الاجتماعية الجماعية.

والخطأ الثاني الذي يرتكبونه ينشأ عن عدم قدرتهم على فهم أن الحكومة يجب أن تكون تعبيراً عن تطلعات وقيم المجتمع. وهذا لا يمكن إلا عندما يكون المجتمع - الذي توجد فيه جذور تلك الحكومة - ديمقراطياً. وإذا لم يكن المجتمع نفسه ديمقراطياً، فلا يمكن للحكومة أبداً أن تكون ديمقراطية وأن تتحقق الديمقراطية في مجتمع كهذا. وفي مجتمع ينقسم بين فئة حاكمة وأخرى محكومة تكون الحكومة نفسها حكومة الطبقة الحاكمة على الطبقة المحكومة وعلى أساس تمييز القوة السياسية.

والخطأ الثالث الذي يرتكبونه هو نسيانهم بأن أمر صلاح الحكومة أو فسادها وديمقراطيتها أو خلوها من الديمقراطية أصلاً يعتمد إلى حد كبير على الوسائل والمؤسسات التي تعتمد عليها كل حكومة في تنفيذ القانون وتطبيق النظام. فإذا كانت البيئة الاجتماعية لهذه المؤسسات الإدارية غير ديمقراطية، فإن الحكومة بأكملها ستكون أيضاً غير ديمقراطية وخالية عن قيمها.

هناك سوء التفاهم من نوع آخر حيث بدأ الناس يفهمون من خلاله، أنه بمجرد وجود حكومة ديمقراطية، يمكن أن تصبح الحالة الاجتماعية في أي بلاد، ديمقراطية. هذا خطأ فادح، من أجل إدراك هذه الحقيقة، من الضروري أن نفهم أولاً أن أي نوع من الحكومة يسمى حكومة جيدة وصالحة.

"الحكومة الجيدة" تعني القوانين الجيدة والانضباط الجيد. هذا هو جوهر الحكم الرشيد والناجح. ولا شيء يمكن أن يحدث بخصوص التطور

الاجتماعي والرفاهي. وانطلاقاً بهذا المعنى، لا يمكن لأي حكومة أن تكون حكومة جيدة طالما أن أبناء الطبقة الحاكمة يواصلون خدمة مصالح شعوبهم فحسب ولا يفعلون شيئاً على وجه الخصوص لصالح عامة الناس والطبقات المهمشة.

هل النظام الديمقراطي سيكون قادراً على تحقيق رفاهية الناس أم لا؟ أنه يعتمد على مدى عقلية القوم، والأشخاص الذين يتكون منهم هذا المجتمع؟ إذا كان الموقف العقلي لهؤلاء الناس ديمقراطياً فإن الحكومة الديمقراطية يمكن أن تكون حكومة جيدة تعمل لصالح الشعب ولأجل رفاهية العامة. إذا لم يكن موقفهم العقلي منجسماً مع مبادئ الديمقراطية، يمكن أن تشكل الحكومة الديمقراطية شكلاً خطيراً من الأشكال الحكومية بسهولة. إذا انقسم أفراد المجتمع إلى طبقات وطوائف وتبتعد الطبقات المختلفة عن بعضها البعض وبدأ يفكر كل شخص هل يكون مخلصاً لغيره أم لا، وما الفائدة الشخصية في ذلك الإخلاص؟ ويجب عليه أن يكون مخلصاً لطبقته، وبسبب عيشه في خضم الطبقات المختلفة يصبح متعصباً لطبقة دون أخرى، ولا يزال يفكر فقط في مصالح طبقته دون أن يقلق على مصالح الآخرين! بل لا يشعر بأي خجل في التعصب الطبقي وتشويه القانون والعدالة لخدمة مصالح طبقته. ويستمر في محاولة إيذاء الناس بطريقة منهجية لهذا الغرض. إذن ما الذي يمكن أن تفعله حتى حكومة ديمقراطية في مثل هذه الحالة؟ وفي مجتمع يسوده صراع طبقي

وتسود فيه المشاعر المعادية للمجتمع والميول العدوانية ضد الطبقات الأخرى لا تستطيع الحكومة حتى الجيدة منها، بسهولة أن تعامل معاملة عادلة مع شخصٍ ما. وفي مثل مجتمع كهذا، حتى لو كانت الحكومة بادي ذي بدئ للناس ولأجل مصالحهم ومن قِبَلِ الناس أي يتم صياغة الحكومة عبر تصويت العامة، لا يمكن أن تكون للشعب وأن تعمل لصالح العامة، بل ستبقى تراعي مصالح طبقة خاصة وتعمل لأجل مصالح طبقة معينة على حساب الطبقات والشرائح الاجتماعية الأخرى. لا يمكن إنشاء حكومة للشعب لتعمل في مصالحهم إلا عندما يكون موقف كل فرد من ذلك المجتمع ديمقراطيًا. وإن دَلَّ هذا على شيء فإنما يدلُّ على أنه يجب على عاتق كل شخص أن يؤمن بالعدالة الاجتماعية والمساواة البشرية بشكل عام، وأن يكون على استعداد لمنح الآخر قدر ما يريد لنفسه من الحقوق. لا يمكن أن ينشأ مثل هذا الموقف الديمقراطي إلا عندما تهدف الحكومة الديمقراطية تحقيق مطالب المجتمع الديمقراطي، وقد بادت حكومات ديمقراطية عديدة بالفشل لأن المجتمع الذي تأسست من أجله لم يكن ديمقراطيًا.

لسوء الحظ، لم ينتبه الناس إلى حقيقة ناصعة وهي أن وجود الحكومة الديمقراطية ونجاحها يعتمد على عقلية الشعب وأخلاقهم ومسئولياتهم تجاه الآخرين وتشاطر الأفراح والأتراح مع الآخرين. الديمقراطية ليست مجرد آلة

سياسية كما أنه أكثر من مجرد تطور اجتماعي. وإنما هي ميل عقلي، بل فلسفة حياة كاملة.

ويرى بعض الناس أن الديمقراطية هي نفس المساواة والحرية. ولا شك في أن الديمقراطية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمساواة والحرية. لكن السؤال الأهم الذي أمامنا يتمثل فيما هو أساس المساواة والحرية؟ هل يقول البعض أن قانون الدولة يحمي المساواة والحرية؟ هذه الإجابة ليست صحيحة. بل أساس المساواة والحرية هو الإحساس بالتسامح والتعاضد الاجتماعي. وقد أطلقت عليه الثورة الفرنسية أخوة. إن كلمة "أخوة" ليست تعبيراً صحيحاً دقيقاً لهذا المعنى. بل التعبير الصحيح الدقيق والشامل هو الصداقة، والذي عبر عنها بوذا. إذا لم تكن هناك صداقة فيما بين المواطنين، فإن الحرية ستدمر المساواة. وإذا كانت الحرية في الديمقراطية لا تقضي على المساواة والمساواة لا تدمر الحرية، فمعنى هذا، هناك يوجد رابط الأخوة فيما بين الحرية والمساواة. ومن ثم تعتبر الأخوة هي أساس الديمقراطية وجوهرها.

والمناقشة التي جرت حتى الآن كانت تمهيداً لسؤال رئيسي. وهو أين أصل روح الأخوة التي تصبح الديمقراطية بغيرها بلا أساس؟ ومما لا مجال للشك أو الجدل في جوابه: هو أن أساسه "الدين"!

عند التفكير في أصل الديمقراطية أو مدى إمكانية أو استحالة تنفيذها، يجب على الإنسان المحلل أن يأخذ في الاعتبار دين الناس - هل يعلم ذلك

الدين قيم الأخوة أم لا؟ إن يقوم الدين بتعليم مبادئ الأخوة ويحثهم على الاعتناق بفكرتها ومبادئها فهناك كل الاحتمالات بأن تكون الحكومة الديمقراطية ناجحة. وإذا لم يكن الأمر كذلك؛ أي دينهم لا يعتني بتعليم الأخوة، فهناك فرصة ضئيلة لنجاح النظام الديمقراطي.

نعم، من الممكن أن تكون هناك عوامل أخرى يمكن أن تؤثر على هذا الاحتمال فيما يخص بإمكانية النجاح. ولكن إذا لم تكن هناك أخوة فلا شيء يدعم الديمقراطية. لماذا لم تتطور الديمقراطية في الهند؟ هذا هو السؤال الرئيسي. والجواب بسيط للغاية؛ لأن الديانة الهندوسية لا تعلم الأخوة على الإطلاق. وبالعكس يقوم بتعليم الناس لتقسيم المجتمع إلى طبقات وطوائف وتعصب بين طبقة وأخرى. إذن أين مكان الديمقراطية في مثل هذا الدستور؟

ليس من قبيل المصادفة أن الهيكل الاجتماعي للهندوس أصبح غير ديمقراطي. وإنما بذلت المساعي لجعل هذا الهيكل غير ديمقراطي عن عمد. حيث تم تقسيم هذا الهيكل إلى فارناس (طبقات)، ثم طوائف، ثم تقسيم الطوائف إلى فئات منبوذة ومهمشة. هذه ليست مجرد مبادئ، إنها درجات لأجل التفاضل المنافي للأخوة الإنسانية، إنها مراسيم رسمية. كل هذه جدران أقيمت ضد الديمقراطية.

وعلى هذا، يبدو كما لو أن ديانة وفلسفة الهندوس لم يسبق لهما التعرف على مبدأ الأخوة. اللهم إلا أن الأحداث التاريخية لا تؤيد هذه الفكرة. لقد أدت

الديانة الهندوسية وفلسفتها إلى ظهور فكرة فيها إمكانات أكبر لازدهار الديمقراطية الاجتماعية من فكرة الأخوة. هذا هو مبدأ البراهمانية (أي ديانة البراهمة لا الديانة الهندوسية العتيقة).

ولاغربة إن سأل أحد من الناس ما هذه البراهمانية؟ سيكون هذا اعتقاد جديد حتى لدى الهندوس أيضًا. والهنداس على دراية كاملة عن فيدانتا. كما كانوا على دراية كاملة بالبراهمانية كذلك. لكنهم ليسوا على دراية بالبراهمانية بدون شك ولا ريبية. ومن ثم قبل المضي قدمًا، يجب تفهيم الأمر بكلمات قليلة.

نرى الفكر الفلسفي والديني للهندوس يدور حول ثلاثة اتجاهات. إذا كنت تريد أن تعرف أسمائهم فهي كالتالي:

(١) نظرية البراهما، (٢) فيدانتا، (٣) والبراهمانية أي طريقة البراهمين وطقوسهم. وعلى الرغم من ارتباطهم ببعضهم البعض، إلا أنهم يمثلون ثلاثة معتقدات مختلفة تمامًا.

يرتبط جوهر نظرية البراهما بهذا المفهوم الخاطئ الذي له ثلاثة أشكال:

١. "سارفا خالو إدام براهم" أي (كل هذا براهمان أي الكون).

٢. "آهم براهماسمي" (أي أنا براهمان).

٣. "تات تفاماسي" (هذا براهمان هو أنت).

تسمى كل هذه السرديات الكبرى أو السرد العظيم يعني الأقوال العظيمة. فقد ذكر فيها جوهر نظرية البراهما.

هذه بعض المفاهيم الخاطئة التي تشكل جوهر "مدرسة فيدانتا":

١. براهما هو الكائن الحقيقي.

٢. العالم هو الدجل والشعوذة أي هو غير واقعي.

٣. (أ) وفقاً لإحدى المعتقدات إن "جيفا"<sup>(١)</sup> وبراهما هما نفس الشيء.

(ب) أليس الواحد منهما يماثل الآخر، أم هو جزء منه وغير منفصل عنه.

(ج) وبناءً على القول الثالث أنهما منفصلان عن الآخر بوضوح.

تتجلى الأسطورية البراهمانية في هذه الجمل على النحو التالي:

(١) الإيمان بنظام الطبقات الأربعة.

(٢) الفيدات مقدسة ومعصومة عن الخطأ.

(٣) التضحية للآلهة هي السبيل الوحيد للخلاص النهائي.

يمكن للكثير من الناس التمييز بين فيدانتا والبراهمانية والتعرف على الخلاف الواقع فيما بينهما. لكن قلة قليلة من الناس يدركون الفرق بين البراهمانية والفيدانتا مع أنه جليٌّ للغاية. كما أن الهندوس لا يفهمون الفرق بين

(١). أي النفس أو الروح. (م.ع.)

البراهمانية وفيدانتا. لكن التمييز واضح. يعتقد كل من البراهمانية وفيدانتا أن الروح والمبدأ الأساسي للعالم أي براهما أو ما نقوله "خالق الكون الحقيقي" واحد وكلاهما نفس الشيء. لكن كلاهما له رأي مختلف حول هذا الموضوع؛ فلا تعتبر البراهمانية العالم غير واقعي، في حين لا يعتبره فيدانتا غير واقعي. فهناك فرق كبير بين الإثنين.

إن جوهر البراهمانية هو أن الكون حقيقي والواقع وراء الكون هو البراهما. لذلك كل شيء يكون براهمانية.

يوجه إلى البرهمانية اعتراضين اثنتين. يقال إن البراهمانية هي حد الوقاحة؛ فمن الوقاحة أن يقول الرجل عن نفسه إنني "براهمان". والاعتراض الثاني ضد البراهمانية هو أن الإنسان لا يستطيع معرفة "البراهمانية" على الإطلاق. قد يكون قول المرء "أنا براهمان" إلى حد ما وقاحة الرجل وإعجابه بنفسه، ولكنه في نفس الوقت قد يكون أيضًا إعلانًا عن قيمة الإنسان ومدى التزامه بالقيم الاجتماعية. في هذا العالم حيث يعاني الكثير من الناس من مستجدات الشعوذة، فإن هذا النوع من الإعلانات من قبل الإنسان مرحب به. وتتطلب الديمقراطية أن يحصل كل رجل على فرصة كاملة لإثبات جدارته. كما تتطلب أيضًا أن يعرف كل رجل أنه جيد مثل الآخرين وصالح للعمل. أولئك الذين يستهجنون عبارة "آهم برهاسم" أي (أنا براهمان)، ينسون أن جملة عظيمة ثانية هي: "تت تفامسي" أي (أنت براهمان). لو كان "آهم برهاسم" (أنا

براهمان) هي جملة وحيدة لكان من الممكن أن مثيرة للقلق والاستياء ولكن بما أن جملة ثانية "تت تفامسي" أي أنت براهمان، مصحوبة بها، فمن الخطأ اتهام الجملة الأولى بالوقاحة.

قد يكون صحيحًا أن "براهمان" غير معروف لدى الناس. لكن في الوقت نفسه، يرتبط مبدأ "البراهمان" هذا، باعتقاد اجتماعي له قيمة اجتماعية للغاية كأساس للديمقراطية. فإذا كان كل الرجال جزءًا من "البراهمان"، فكلهم متساوون من هذا المنطلق، ويمكن أن يكون "براهمان" غير معروف إذا كان الجميع يستخدمون نفس الحرية. ولكن، ليس هناك شك في أنه يمكن إثبات أساس جيد للديمقراطية مثل "مبدأ البراهمانية"، فلا أحد يستطيع ذلك.

إن شعار "نحن أبناء الأب الأسمى؛ الروح الأسمى ومن ثم نؤمن بالديمقراطية" ليس أساسًا متينًا للديمقراطية. ومن ثم حينما عمل هذا الشعار كقاعدة ضعيفة كانت النتيجة سيئة ومضطربة للغاية. لكن الوعي والإدراك بهذه الحقيقة الناصعة بأن يشعر المرء "هو وأنت جزء من نفس الكون" لا يترك مجالًا لأي شكل آخر من أشكال الحياة الاجتماعية غير الديمقراطية. هذا ليس مجرد خطاب ديمقراطي وإنما يبرر الديمقراطية كقضية للجميع.

رؤج طلاب الديمقراطية الأجانب اعتقادًا آخر بأن الديمقراطية نشأت إما من المسيحية أو من أفلاطون. وبعيدًا عن هؤلاء، لا يوجد مصدر إلهام آخر لصالح الديمقراطية. لو كان يعلم أن عقيدة الإيمان قد تطورت في الهند أيضًا

ويمكن أن تكون تلك العقيدة أفضل أساس للديمقراطية، لما كان غافلاً عن هذا الحد. يجب الاعتراف بأن الهند لديها أيضًا مساهمة كبيرة في وضع الأساس النظري للديمقراطية.

يمكن أن يتبادر إلى الذهن سؤال: وهو ماذا حدث لمبدأ "البراهمانية" هذا؟ من الواضح أن البراهمانية لم يكن لها أي تأثير اجتماعي على الإطلاق. لم يكن أساسًا للدين. عندما سئل كيف حدث هذا؟ الجواب هو أن "البراهمانية" ليست إلا فلسفة الشهود وأن هذه الفلسفة لم تولد من صلب الحياة الاجتماعية، وإنما نشأت من الحاجة ولا تنشأ لشخص آخر لسبب آخر. الفلسفة أيضًا ليست مسألة نظرية. لها جانب عملي. يكمن جذر الفلسفة في مشاكل الحياة. ولتقترح الفلسفة أية نظرية شاءت، لكن يجب أن تأتي إلى المجتمع لإعادة بناء المجتمع. المعرفة ليست الخيار الوحيد. الذين لديهم معرفة يتعين عليهم تحقيق مطالب المعرفة، أي العمل فيما علم.

فلماذا لا يؤسس الإيمان بالبراهمانية مجتمعًا جديدًا؟ هذا لغز كبير. ولا يعني هذا أن البراهمة لم يقبلوا عقيدة البراهمانية. وإنما اعتنقوا بهذه العقيدة. لكنهم لم يسألوا أنفسهم أبدًا كيف يمكنهم أن يدعموا فكرة التمييز بين البراهمة والشودرة، بين الرجل والمرأة، وبين الرجل الطبقي والطائفة المنبوذة؟ لم يجاسبوا أنفسهم قط! وجرّاء ذلك من ناحية، يوجد هناك أكثر من مبادئ الديمقراطية ومن ناحية أخرى هناك مجتمع مليء بالطبقات والطوائف الفرعية

والمنبوذين والبدائيين من الناس على المستوى الحضاري والثقافي، والأشخاص الذين يرتكبون جرائم. هل يمكن أن يكون هناك لغز أكثر من هذا؟ ويا لها من مزحة أن علماء الهندوسية الكبار الذين يطلق عليهم بتشانكرا آتشاريه ويعلمون الناس أنه هناك "براهمان" أي مبدع للكون، وأن هذا البراهمان حقيقي، وأنه سائد في الكون بشكل أساسي.... وبالرغم من ذلك كيف أيدوا هذه التفاوتات السائدة في المجتمع؟ ولا يمكن إلا للمجنون أن يؤيد هذين الأمرين المعاكسين! حقا "البراهمة" مثل البقرة الذي يبقى براهمنًا حتى بعد أكل كل غث وسمين ورطب ويابس.

## كالي يوج<sup>(١)</sup>: لماذا هي دورة لا متناهية؟

وإن كان هناك اعتقاد الأكثر شيوعاً ورواجاً بين الأوساط الهندوسية؛ بين الرجل والمرأة، بين الشيوخ والكهول، والشباب والفتيان، وذوي الرشد والبلوغ والصبيان فهو اعتقاد "كاليوجا". ويعلم الجميع أن العصر الحالي هو "كالي يوج" وأنهم يعيشون في "كالي يوج". وإن الاعتقاد بـ كالي يوج له تأثير سيء على عقل

(١) . لقد أوصلنا مرور الزمن "الخطي" إلى ما نحن فيه اليوم. لكن الهندوسية ترى مفهوم الزمن بطريقة مختلفة، وهناك منظور كوني لها. وفقاً لنظرية الخلق الهندوسية، فإن الوقت (السنسكريتية *كال*) هو مظهر من مظاهر الله. يبدأ الخلق عندما ينشط الله طاقاته ويتتهي عندما يسحب كل طاقاته إلى حالة من الخمول. الله خالٍ، لأن الزمن نسبي ويتوقف عن الوجود في المطلق. الماضي والحاضر والمستقبل يتعايش فيه في وقت واحد. يعتقد الهندوس أن عملية الخلق تتحرك في دورات وأن كل دورة لها أربعة عهود عظيمة من الزمن، هي: ساتيا يوجا، وتراتا يوج، ودوابار يوج، وكالي يوج كل منها عبارة عن دورة كاملة من الخلق والدمار الكوني. تكمل هذه الدورة الإلهية دائرتها الكاملة في نهاية ما يعرف بـ *Kalpa*، أو الحقبة. يقال إن *Kalpa* نفسه يتكون من ألف دورة من أربعة يوغا، أو عمر - كل من نوعية مختلفة. حسب أحد التقديرات، يقال إن دورة *yuga* واحدة هي ٣٢, ٤ مليون سنة، ويقال إن *Kalpa* يتكون من ٣٢, ٤ مليار سنة. يقال إن ساتيا يوغ أو عصر الحقيقة يدومان ٤٠٠٠ سنة إلهية، تريتيا يوغا لـ ٣, ٠٠٠، ودوابارا يوغ لألفي ألف وكالي يوغا سيستمر ألف سنة إلهية - سنة إلهية تعادل ٤٣٢, ٠٠٠ سنة دنيوية. يقول التقليد الهندوسي أن ثلاثة من هذه العصور العظيمة قد تلاشت بالفعل، ونحن نعيش الآن في المركز الرابع - كالي يوغا. (م.ع.)

الناس. يعني هذا أنه وقت مشؤوم. وهذا عصر لا أخلاقي. حيث تذهب فيه جهود الإنسان سدىً. لذا يجب أن نكتشف كيف نشأ مثل هذا الاعتقاد وكيف انتشر بهذه السرعة الفائقة وتجذر في عقول العامة من الناس؟ هناك في الواقع أربعة أمور يجب أن تكون واضحة. وهي:

(١) ما هو كالي يوج؟ (٢) ومتى بدأت دورة كالي يوج؟ (٣) متى ستنتهي دورة كالي يوج؟ (٤) ولماذا تم خلق هذا النوع من المعتقدات وتم ترويجها بين الناس؟

ابدأ بأول شيء أي ما هو "كالي يوج"؟ لأجل الوصول إلى إجابة صحيحة لهذا السؤال، سيكون من الجيد أن نقسم كلمة "كالي يوج" إلى جزأين ونمعن النظر فيهما بشكل منفصل. فماذا تعني كلمة "كال أو كالي أو كالا" أي العصر؟ وقد وردت كلمة "يوج" أو "يوج" مرادفًا للوقت في ريجفيدا... وقد تم إجراء العديد من المحاولات لمعرفة المدة التي استخدمها الناس في عصر الفيدات من استخدامهم كلمة "يوج"؟ ويبدو لنا أن كلمة "يوج" مشتقة من الكلمة السنسكريتية "يوج" أي (Yuj) وهي تعني "الربط". ومن المحتمل أن مصطلح "يوج أو يوج" كان يعني به شهرًا في العصور القديمة. ويراد به ارتباط القمر والشمس فيما بينهما في غضون شهر.

بغض النظر عن عدد المحاولات التي تم إجراؤها لتحديد مدلول كلمة "يوج" فليس من المؤكد أنه عندما تم استخدام هذه الكلمة من قبل الناس في

عصر الفيدات كم من الوقت أرا دو بكلمة "يوج"؟ على عكس شعب الفيديّة، يستخدم علماء "فيدا جيوتيشا" كلمة "يوج" لمدة خمس سنوات. وكان لكل سنة من هذه السنوات الخمسة اسماً خاص به على النحو التالي: (١) سانفاتسار (٢) برفاتسار (٣) إدفاتسار (٤) أنوفاتسار (٥) فاتسار.

إذا أخذنا كلمة "كالي" للتحليل، فهي دورة من أربعة أعمار؛ "كريتا" و"تريتا" و"دفا بار" و"كالي". إذن ما هو أصل كلمة "كالي"؟ فقد تم استخدام هذه الكلمات الأربع أي "كريتا" و"تريتا" و"دبا بار" و"كالي" في ثلاث حلقات مختلفة. تم استخدام أول إضافة لـ "كالي" والكلمات الثلاث الأخرى أيضًا في لعبة النرد. هناك نجد أربعة أرقام في الاتجاهات الأربعة للنرد؛ فالجانب الذي كتب فيه الرقم ٤ هو "كريتا"، والاتجاه الموجه إلى الرقم الثالث هو "تريتا"، والجانب المرقم بإثنين هو "دفا بار"، والجانب المرقم بالواحد هو "كالي".

كما يتم استخدام هذه الكلمات الأربع - "كريتا"، و"تريتا"، و"دفا بار" و"كالي" في علم الرياضيات أيضًا.

وقد أشار "شمستري" أيضًا إلى أن هذه الكلمات كانت تستعمل في معانٍ أخرى. لقد تم تسميتها مرادفة للمهرجانات والأعياد، مثل "كريتا باروا" أي عيد كريتا. تسمى مجموعة من ثمانية أيام أو تواريخ "باروا" أي "المهرجان" أو "العيد". الاسم الآخر لهذا هو أيضا "باكشتا" أي الطرف أو الجانب أو الموقف كذلك.

وإن تمّ استخدام كلمتي "كالي" و "يوج" بمعنى ما فيما مضى من الوقت، لكنهما يستخدمان الآن فقط للإشارة إلى مقدار الوقت فيما بين "تشيكرال" و"كالي يوج". و وفقاً لاعتقاد الهندوس، هناك دورة من أربعة عصور، ومن بينها "كالي يوج" هي أيضاً دورة. وتسمى العصور الأخرى "كريتا" و"تريتا" و"دفابارا".

## (٢)

منذ متى بدأت فترة "كالي يوج" الحالية؟ يمكن الإجابة عنه على طريقتين: وفقاً لـ "ايترياي براهمين" بدأت فترة "كالي يوج" منذ أيام نجل فيفاسوت منو. في حين وفقاً لـ "بورانا" بدأت فترة "كالي يوج" بموت كريشنا بعد معركة مهاهاراتا.

وفقاً للدكتور شامستري، كان أول حدث لبداية "كالي يوج" حصل في عام ٣١٠١ قبل الميلاد. والحدث الثاني وفقاً لرأي "شري جوبال إبير" حصل مع بداية حرب ماهاهاراتا في الرابع عشر من شهر أكتوبر ووضعت الحرب أوزارها في ليلة الواحد والثلاثين (٣١) من شهر أكتوبر عام ١١٩٤ قبل الميلاد. ويعتقد أنه مات كريشنا بعد ٦ سنوات من نهاية الحرب. وهكذا كانت بداية "كالي يوج" في عام ١١٧٧ قبل الميلاد.

وعلى هذا يظهر تاريخان مختلفان أمامنا فيما يتعلق ببداية فترة "كالي يوج" - أوله عام ٣١٠١ قبل الميلاد، والثاني هو عام ١١٧٧ قبل الميلاد.

(٣)

قد تحدث جارجاتشاريه في نظريته عن اعتلاء ساليسوك موريا على العرش الرابع بعد أشوكا، ووفقاً له، فإن نهاية "كالي يوج" يرجع إلى ١٦٥ قبل الميلاد. والوضع الآن هو أنه قد انتهت فترة "كالي يوج" وفقاً للمنجمين، لكن البراهمة الفيديين لا يزالون لا يعتبرونها مستمرة بدون نهاية حتى الآن. ويتضح هذا من إقرار كل هندوسي يردده حتى اليوم بكل مناسبة من مناسبات عبادته الدينية.

إذن السؤال هو، كيف ولماذا يحافظ البراهميون الفيديون على فترة "كالي يوج" كأنها مستمرة بلا نهاية حتى اليوم؟ لماذا يستمر كالي يوج في رأيهم حتى اليوم؟ بادئ ذي بدء، دعونا نقرر ما هو الوقت التقليدي لكالي يوج؟ فيقول فيشنو بورانا في هذا الخصوص:

أولاً في بداية كل عصر وقبل نهايته، تتم إضافة مقطعين زمنيين يسمى أولهما بـ "ساندهيا" و ثانيهما "ساندهيانشا". كما يقول فيشنو بورانا في هذا الخصوص:

"الوقت الذي يسبق بداية أي فترة لـ "يوج" يسمى "ساندهيا" والوقت المرتبط بنهاية أي "يوج" يسمى "ساندهيانشا". ويكون هذا طويلاً بقدرها. ويُطلق على الفترة بين "ساندهيا" و"ساندهيانشا" مصطلح "يوج"، نحو "كريتا يوج"، و"تريتا يوج"، و"دفابارا يوج"، و"كالي يوج".

لكم سنة كانت فترتا ساندهيا وساندهيانشا تدوم؟ وهل كانت عدد السنوات هذه هي نفسها لجميع الأعمار والعصور، أم أنها تختلف مع كل عصر؟ تشير المصادر إلى أنه لم تكن الفترة الزمنية نفسها لكل من "ساندهيا" و"ساندهيانشا" بل كانت تتغير مع كل عصر.

إن مدة "كريتا يوج" تدوم لأربعة آلاف سنة، ومدة ساندهيا وساندهيانشا تدوم لثمان ٨٠٠ سنة. وبه أصبح المجموع نحو أربعة آلاف وثمانمائة سنة. و زمن "تريتا يوج" يدوم لثلاثة آلاف سنة، و زمن "ساندهيا" و"ساندهيانشا" ستمائة سنة، وبه أصبح المجموع نحو ثلاثة آلاف وستمائة سنة. و زمن "دفا با" يدوم ألفي سنة، و زمن "ساندهيا" و"ساندهيانشا" هو أربعمائة سنة، وبه أصبح إجمالي المدة نحو ألفين وأربعمائة سنة. و زمن "كالي يوج" يدوم لألف سنة، و زمن "ساندهيا" و"ساندهيانشا" هو مائتي سنة، وبه أصبح المجموع نحو ألف ومائتي سنة.

ف زمن "كالي يوج" الذي كان في السابق لمدة ألف سنة فقط، تمت إضافة مائتي (٢٠٠) عام من "ساندهيا" و"ساندهيانشا" وأصبح مجموع المدة ألف مائتين (١٢٠٠) سنة.

تم عمل خدعة أخرى في هذا الخصوص. حيث قيل أن عدد سنوات "كالي يوج" هو نفس عدد السنوات الإلهية وليس السنوات البشرية. ويوم إلهي بحسب الفيديا البراهمة تساوي عامًا بشريًا واحدًا، أي إن زمن "كالي يوج"

الذي كان يُعتبر في وقت سابق لمدة ٢٠٠ عام فقط، أصبح الآن لمدة في الواقع ما يعادل ١٢٠٠ × ٣٦٠ عامًا أو ٤٣٢٠٠٠ عام. وبهاتين الطريقتين، زاد البراهمة الفيديون في مدة "كالي يوج" والتي كانت تدوم لألف سنة فقط أصبحت الآن لمدة ٤٣٢٠٠٠ سنة. ومنذ الآن ليس هناك عائق لأن يستمر "كالي يوج" حتى اليوم ثم يستمر لملايين السنين في المستقبل.

#### (٤)

ولماذا يستمر هنا "كالي يوج" حتى الآن؟ "كالي يوج" هو زمن اللادينية، وهو يتمثل فترة من التدهور الأخلاقي ووقتاً يتم فيه فقط انتهاك القواعد التي وضعها الملك. ثم يتبادر إلى الذهن سؤال آخر للتو، وهو لماذا كان "كالي يوج" أكثر انحطاطاً من عصورها السابقة؟ ولماذا هو الأكثر الانحطاطاً حتى الآن؟ وما هو الموقف الأخلاقي للآريين في عصر ما قبل "كالي يوج" هذا أو في العصور التي سبقت ذلك؟ إذا قارن أي شخص الحالة الأخلاقية للآريين اللاحقين بتلك الحالة الخاصة بالآريين القدامى، فسيشعر كما لو أن ثورة اجتماعية قد حدثت وتغيرت الموازين.

كانت ديانة الفيديا الآريين مليئة بالهمجية والفواحش، إلى أنه كان تقديم القرابين والذبائح البشرية أيضاً جزءاً من ديانتهم وكانوا يطلقون عليها "نرميدياغيه" أي "قربان الذكور". هناك أوصاف وأحكام مفصلة لهذه القرابين متاحة في كل من "يجور فيدا سمهتا"، وكتب "وبراهمين سمهتا"،

ونصوص "سنكيان"، و"فيتان سوتراس" بكل بسط وتفصيل. إن عبادة أعضاء التناسل الذكوري والأنثوي أي "لينجابوجا" كانت تمارس في الآريين القدماء من بيت إلى آخر. وكانت تسمى طقوس "لينجابوجا" بـ "السامباك" وكانت تعتبر جزءاً من الديانة الآرية. إن رقمي ٧-٨ من أتروافيدا شاهد عيان على ذلك. ومثال آخر مليء بالبذاءة والدنائة والذي شوّه ديانة الآريين القدماى، هو عبادة "أشفا ميدها ياغيه" والتي كانت من إحدى الأجزاء الأساسية في طقوس "أشوا ميدها ياغيه"، السماح لقضيب الحصان بالدخول إلى فرج الزوجة الرئيسية للمضيف الذي كان يهتم بأداء هذه الياغية. في ذلك الوقت، اعتاد البراهمة على ترديد الفيدات والمانتراس لفترة طويلة. يتضح من تعويذة مذكورة في "فاجاسناي سمهتا" أن الملكات كن يتنافسن على إثبات جدارتهن لهذه الياغية، أي من يجب اعتبارها منهنّ مؤهلةً لإجراء دخول قضيب الحصان داخل فرجها. والذين يريدون معرفة المزيد عن هذا، يمكنهم الرجوع إلى تعليقات الكاتب مهيدار على كتاب "يجور فيدا". هناك وصف مفصل لهذا العمل. والذي كان يُعتبر جزءاً أساسياً من الديانة الآرية القديمة.

كما كانت ديانة الآريين القدماء مبعوضة ومقوتة، كذلك كانت أخلاقهم؛ فكان الآريون طائفة من المقامرين. لم تكن القمار لعبة للأثرياء بين الآريين فحسب بل الكثير منهم كانوا يعانون من هذا الإدمان.

كان الآريون القدامى ينتمون أيضًا إلى سلالة مدمني الكحول والخمور. وكان شرب الخمر من واجباتهم الدينية. بعد ذلك يمكننا النظر في العلاقات الجنسية بين الرجال والنساء. ماذا يقول التاريخ؟ في البداية لم يكن هناك قانون يتعلق بالزواج. كان هناك نظام جنسٍ مشاعٍ كامل بين الطبقة العليا والطبقة الدنيا كذلك في المجتمع. لم يكن هناك حظر في هذا الأمر. أي كانت هناك حرية كاملة للممارسة الجنسية مع الآخرين بدون تقييد أو اتفاقية عقد.

فقد تزوج "البراهما" من ابنته "ساتروبا". وأنجب لهما "مانو" الذي كان مؤسسًا لسلالة "بريثو". حدث هذا قبل صعود الإلهة "إلا" و"اكتشفاكوس".

كما تزوج "هرانايكشايابا" من ابنته "روهيني". وكانت هذه الزيجات ممارسة شائعة بين المجتمع الآروي القديم، وقد ثبت هذا النوع من الزواج أي زواج الأب والإبنة من خلال الأمثلة الأخرى نحو زواج "فاشتتا" و"شاتاروبا". وزواج "جاهفو" و"جاهفي". وزواج "سوريه" و"أوشا"... كما تم الاعتراف بهوية الأطفال المولدين نتيجة زواج الأب والإبنة كـ "أولاد عُزّاب"، ويراد بهم أبناء البنات غير المتزوجات. وفي التعبير القانوني كانوا أبناء والد الفتاة. ومن الواضح جدًا أنهم سيكونون أولاد بناتهم غير المتزوجات المولودين من نطفتهم.

هناك أمثلة تحكي أن الأب والإبن كانا يمارسان الجنس مع نفس امرأة واحدة؛ فقد كان "براهما" والد مانو و"شاتاروبا" أمه، كما كانت هي زوجة

مانو أيضًا. ومثال آخر هي "شارادا" والتي كانت زوجة "فيفاشتا"، وكان ابنه "مانو"، ولكن "شرادا" كانت أيضًا زوجة مانو. وهذا يعني أن الأب والابن ينتميان إلى نفس المرأة بحكم العلاقة العاطفية. ويمكن لشخص ما أن يتزوج من ابنة أخيه حينما أراد. فقد تزوج "دارما" عشر بنات لأخيه داكشا؛ فقد كان "دارما" و"داكشا" أخوان شقيقان. كما يمكن للمرء أن يتزوج ابنة عمه إذا أراد، كما فعل كاشياب؛ فقد كان لدى كاشياب ثلاثة عشر زوجة. كنّ جميعاً بنات "داكشا"، وكان داكشا شقيقًا لوالد كاشياب ماريتشي.

وما ذكر من حلقة "يم" و"يامي" في ريجفيدا هي قصة رئيسية لزواج الأخ والأخت. وتلقي هذه القصة ضوءًا ساطعًا على الزيجات التي يمكن أن تحدث بين الإخوة والأخوات. حيث لا يوافق "ياما" على ممارسة الجنس مع أخته "يامي"، لكن لا يعني هذا أنه لا يحدث مثل هذه الزيجات عبر التاريخ الفيدي.

وقد ذكر في مهرجان آدي بارفا من كتاب "مهاهارتا" علم الأنساب، والذي يبدأ مع نسب براهيم ديفا، ووفقًا لهذا النسب، كان لدى براهيم ثلاثة أبناء - "ماريتشي" و"داكشا" و"دارما". كما كانت للبراهما ابنة لكن للأسف اسمها غير موجود في علم الأنساب ذلك. في نفس "علم الأنساب" كُتب أن "داكشا" تزوجت ابنة براهيم التي كانت أخته. وولدت لهما بنات كثيرات بلغ عددهن نحو خمسين وستين. يمكن تقديم العديد من الأمثلة الأخرى للزواج المتبادل بين الإخوة والأخوات لدى الآريين القدامى، ومن هذه الأمثلة الزواج

المبادل بين بوشان وأخته أكتشود وأمفاسو، وزواج بروكوتسا ونرمادا، وزواج فبراتشيت وسنهاكا، وزواج نهوشا وبريجو، وزواج شوكر-أوشناسا تتاكو، وزواج أموسمات ويشودا، وزواج دشراتا وكوشاليه، وزواج راما وسيتا، وزواج شوك وبيوفري، وزواج بارفاتي وبراستي ... وكل من هؤلاء إخوة وأخوات تم زواجهم فيما بينهم، وهي نماذج حية للزواج المبادل بين الأخ والأخت.

والأمثلة الأخرى التي سوف نسوقها فيها دليل على أنه إن شاء الإبن أن يبارس الجنس حتى مع والدته، فهو حر فيما يشاء. وفي هذا الخصوص هناك مثال بوشان ووالدته، ومثال مانو وساتروبا، ومثال مانو وشرادا. يمكننا لفت الانتباه إلى مثالين آخرين. وهو مثال أرجونا وأورفاشي ومثال أرجونا وأوتارا. وتم زواج ابن أرجونا أبهيمانيو مع أوتارا عندما بلغ كان ابن ستة عشر عامًا، في حين كانت أوتارا مرتبطة بأرجونا بحكم الزواج، وهي التي علّمته الغناء والرقص. يقال إن "أوتارا" وقعت في حب أرجونا. تقول ملحمة "ماهاباراتا" أنها كانا متزوجين أيضًا وعلاقة الحب السابقة هي التي تمخضت عن الزواج فيما بينهما. لم تقل "ماهاباراتا" صراحة أنها كانا متزوجين. ولكن إن تم الزواج فيما بينهما، كما تدّعي عليه النصوص، فيقال إن "أبهيمانيو" تزوج والدته أوتارا. وإن حالة أرجونا وأورفاشي واضحة للغاية.

كان إندر الأب الحقيقي لأرجونا. وكانت أورفاشي هي المرأة المفضلة لدى إندر، ومن ثم كانت تحتل مكانة لا تقل عن مكانة والدة أرجونا. كما كانت هي معلمة أرجونا. وقد علمت أرجونا الغناء والرقص. وقعت أورفاشي في حب أرجونا، اقتربت من أرجونا بقصد الجماع معه بموافقة والدها. وكان أرجونا يرى إنها كانت بمثابة أم بالنسبة له ومن ثم رفض أرجونا عرض أورفاشي لإقامة علاقة جسدية معها. وإن رفض أرجونا ليس مهمًا من الناحية التاريخية مثل اقتراح أورفاشي الذي لا يهيم. وهناك سببان وراء ذلك. إن عرض أورفاشي عرضها على أرجونا وحصول موافقة الأب إندر شهادة ودليل على أن فاروشي اتبعت أسلوبًا راسخًا للسلوك واختارت طريقًا مسموحًا آنذاك الوقت وإلا فما كان أن تبوح امرأة بهذه العلاقة الشهوانية مع ابن لها. ثانيًا عندما تردّ أورفاشي على تساؤلات أرجونا بخصوص دعوته إلى إقامة العلاقة الجنسية معه تخبره بوضوح وصراحة أن هذه الممارسة كانت جيدة ومقبولة في المجتمع السائد آنذاك الوقت، وأن جميع أسلاف أرجونا قد قبلوا مثل هذه الاقتراحات دون الشعور بأي نوع من الخطيئة في خواطرهم أو الندم عليها.

لا توجد قصة أخرى تجعل هذه النقطة أكثر وضوحًا من أن النشاط الجنسي قد تم إهماله تمامًا في الهند القديمة أكثر من قصة هريفانشا بورانا، الواردة في الفصل الثاني من "هريفانشا بورانا" نفسها. ووفقًا لهذه القصة أن "سوما" كان ابنًا لعشرة آباء، والذي يدلّ على وجود ممارسة تعدد الأزواج. وكان يسمى كل أب بـ "برال هيتا". وكانت لدى سوما ابنة اسمها "ماريشا".

آباء سوما العشرة و"سوما" نفسه كلهم مارسوا الجنس مع "ماريشا". وهذا يعني أن عشرة أجداد وأب تزوجوا أيضًا من امرأة كانت حفيدة وابنة لأزواجهن. ترد قصة "داكشا براجاباتي" في نفس الفصل. ويقال إن ابن سوما، "داكشا براجاباتي" أعطى ٢٧ من بناته لوالده سوما من أجل الإنجاب. وفي الفصل الثالث من هريفانسا كتب المؤلف أن داكشا أعطى ابنته لوالده "براهما" ليتزوجها. وأنجب منها ابناً اشتهر باسم نارادا. كل هذه القصص تحكي عن رجال عقلاء يمارسون الجنس مع نساء عاقلات.

كما كان يتم بيع النساء الآريات القديمة. وثبت بيع الفتيات بطريقة أرشا للزواج، وعندما كان تمس الحاجة لاستخدام مصطلحات التانترا، فقد كان الأب يعطي "جو ميثون" ويأخذ "الكانيادان"<sup>(١)</sup> أي التبرع بالبت. هذه طريقة أخرى لتكرار نفس الشيء أي بيع الفتيات على حساب "جو ميثون" والذي يُقدَّر ثمنه بقرية وثورًا كان يعتبر الثمن الجدير للفتاة. لم يقم آباؤهم ببيع بناتهم فحسب، بل قام أزواجهن ببيع زوجاتهم أيضًا. يقول هريفانشا بورانا في فصله التاسع والتسعين: "إن الكاهن الذي يقود الطقوس يجب أن يكون له "داكشينا" تبرعًا ومنحة كريمة له. ومفاد هذا القول أنه يجب شراء النساء البراهمينات من أزواجهن وإعطائهن كهدية للكهنة البراهمين (مقابل إجراء الطقوس). وبه يصبح واضحًا منه أن البراهمين كانوا يبيعون زوجاتهم بثمن.

(١). إن مصطلح "كانيادان" يعني التبرع بالبت. معناه أن الأب قد سلم يد ابنته للعريس. إنها قضية حظ كبير أن يتبرع كل والد بنت. يقال إن الوالدين اللذين يتبرعان بابنتها به يفتحان طريقا لهم إلى الجنة إلى الأبد. (م.ع.)

ومن الحقائق التي لا جاحد لأنكارها أن الآريين القدماء كانوا يؤجرون نسائهم لأجل الجماع. وقد تم البحث عن حياة "مادهافي" وشخصيته في مهاباراتا من الفصل رقم ١٠٣ حتى ١٨٣. وفقاً لهذه المعلومات يبدو أن مادهافي كانت ابنة الملك ياياتي. فقد سلمها الملك ياياتي إلى "غالافا" كتبرعة يتبرع بها أحداً. وكان "غالافا" هذا ناسكاً حكيماً والذي قام بتأجير "مادهافي" لثلاثة ملوك بالتناوب بعد الحصول عليها كتبرع تلواً بعد تلوي. ولكن كانت فترة الإيجاز سارية المفعول حتى استقرار الحمل وأي في الوقت الذي يمكن أن تصبح فيه أمًا. وعندما انقضت نوبات الملوك الثلاثة ومدة الاستئجار، سلمها غالافا إلى معلمه فيشواميترا والذي أبقاها عندها وأعادها لاحقاً إلى غالافا وعندئذ سلمها غالافاً إلى والده ياياتي.

كانت ممارسة تعدد الأزواج وتعدد الزوجات سائدة بين الآريين القدماء. وهو أمر مشهور للغاية لدرجة أنه لا جدوى من ذكر أي حادث معين لإثباته. لكن ما لا يعرفه الكثير هو حرية ممارسة الجنس بطريقة مشاعة. وفيما يتعلق بالجماع وممارسة الجنس بهذه الحرية فقد تتجلى بشكل عفوي عندما ندرس قوانين "نيوغا". وكان "نيوغا" نظام آري يمكن بموجبه لأي امرأة متزوجة أن توظف أي رجل ليس زوجها لغرض الإنجاب، ويمكن لها أن تطلب هذا الأمر كلما مست الحاجة إليها. وقد أدى هذا النظام إلى شيوع الجماع بحرية مطلقة، لأنه كان أمراً مشاعاً. وأول شيء بهذا الخصوص أنه كان بإمكان المرأة

أن تقوم بعملية "نيوغا" كيفما تشاء وعندما تشاء. فقد قامت "أمبيكا" بعملية "نيوغا" فعلاً ذات مرة، وخططت لها لمرة أخرى، ومارست سارداندماني ثلاث مرات، في حين سمح باندو لزوجته "كونتي" بالقيام بعملية نيوغا لأربع مرات. سُمح لـ "فيولستافا" لها لسبع مرات، ومن المعروف جداً أن بالي سمح لها لسبع عشرة مرة؛ أحد عشرة مرة للزوجة الأولى وست مرات للزوجة الثانية. مثلما لم تكن هناك قاعدة بشأن عدد الأشخاص الذين قاموا بالنيوغا، كذلك لم يكن هناك تعريف محدد لمن يحق لها القيام بنيوغا. قد يمكن أن يتم القيام بها خلال فترة الزوجية أو في صورة كون الزوج غير قابلٍ للإنجاب. كما يمكن أن يتم العرض مقدماً من قبل الزوجة، وأن تقوم هي باختيار مع من ستقوم بهذه العملية، كما كانت حرة في أن تقرر مع من تقوم بها وكم مرة تتمتع بها. فالجماع المحظور بين الرجل والمرأة كان "نيوغا" اسم آخر لسماح هذه الممارسة. وأما فيما يتعلق بفترة نيوغا فكان يمكن أن تستمر ليلة واحدة أو تستمر لمدة اثني عشر عاماً، وكان الزوج يعتبر شريكاً صامتاً لزوجتها في هذه العملية.

كانت هذه هي أخلاق مجتمع الآريين القدماء وكذلك كانت عاداتهم وتقاليدهم. فما هو المعيار الأخلاقي الذي كان سائداً بين البراهمة آنذاك الوقت؟ وإن نريد البوح بالحقيقة فكانوا أيضاً مثل عامة الناس منحطين. ويمكن لنا تقديم العديد من الأمثلة على التراخي الأخلاقي والانهار الخلقى

الذي كان موجودًا وسائدًا بين البراهمة آنذاك الوقت. لكن نكتفي على بعض النماذج فحسب، وقد سبق لنا أن ذكرنا فيما أعلاه بعض الأمثلة التي تدل على أنه كيف قام البراهمة ببيع زوجاتهم. وهنا نذكر أمثلة أخرى دالة على مدى تهاونهم بهذا الخصوص. إن "أوتانكا" كان أحد تلاميذ فيدا، كاهن جاناغايا. تتوسل "بادي" زوجة فيدا، بهدوء إلى "أوتانكا" ليأخذ مكان زوجها وتطلب منه القيام به لكسب الجدارة. وفي نفس الموضوع يمكننا تقديم مثال آخر لزوج "أودالاكا". فكانت مستعدة أن تقدم نفسها طوعاً أو بناءً على دعوة من قبل أي براهمين. وهي ليست نماذج الفساد الخلقي للبراهمة فحسب وإنما هي السماح القانوني لأجل ممارسة إرواء الغلائل الشهوانية لنساء البراهمة. كان "جاتيل غوتامي" امرأة برهمنية، كان لها سبعة أزواج، وكلهم كانوا نساك وحكماء. تقول ملحمة مهاهاراتا: إن "دروبادي" المحاصرة في أزواجها الخمسة، قد أشاد بها المواطنون وقارنوها بـ "جاتيل غوتامي" ذات سبعة أزواج. وكانت "مامتا" زوجة "أوتيا". لكن كان يتردد أخاه "براهسباتي" عندها كلما شاء، ويقرب منها حتى دون أن يطرق الباب. وقد رفضت "مامتا" طلبه (لإرواء غلته) ذات مرة واحدة؛ حيث قالت إنها حامل، فعليه الانتظار. ولم تقل أنه لايناسب له أن يقرب منها أو يفعل بها ما يشاء بأنه غير مسموح أو غير أخلاقي، وإنما منعه كأنها كانت حاملاً.

أصبحت مثل هذه الممارسات غير الأخلاقية شائعة لدرجة أنه عندما وُصفت "دروبادي" كبقرة من قبل "دورويودانا" لأن لديها أزواج متعددين، أجابت أنه من المؤسف جداً أن أزواجها لم يكونوا من البراهمة.

والآن دعونا نناقش أخلاق الحكماء والنسك. ما هي المعلومات التي نحصل عليها؟ أول ما نراه هو أنه لم يكن هناك قلة من تواجد البهيمية وممارسة الجماع مع الحيوانات بين الحكماء والنسك المتزهدين. خذ على سبيل المثال شخصية "فيبانداك" الحكيم، فقد قيل فيه في الفصل رقم ١٠٠ المعنون بـ "فانا بارفا" (أي مهرجان الغابة) من كتاب "ماهاباراتا" إنه مارس الجماع مع غزالة وولد منه ولدًا، والذي أصبح فيما حكيماً شهيراً باسم "شرينيا". كما جاء في الفصل الأول والمائة والثامن عشر (١١٨) من "آدي بارفا" لكتاب "ماهاباراتا" نفسها أنه كيف تحمل باندو والد "الباندافاس" لعنته من حكيم اسمه "دوم"؟ يقول الحكيم "فياسا": عندما كان "دوم" الحكيم مشغولاً في ممارسة الجنس مع غزالة في الغابة وكان متشابكاً مع الغزالة، إذ أطلق عليه باندو سهماً أدى إلى قتل الحكيم دوم، لعنه ودعا عليه أن يموت باندو إذا حاول الاقتراب من زوجته لأجل الجماع. وقد حاول الحكيم فياس التستر على هذه الإباحية البهيمية بتأويله أن ذلك الحكيم وزوجته قد تحولا إلى شكل الغزلان للترفيه والمتعة، أي أنه لم يمارس الجماع مع حيوان، وإنما كانت الغزالة أصلاً هي زوجته. وليس من الصعب العثور على أمثلة لمثل هذا السلوك الحيواني للحكماء

لأجل الغلاثل الشهوانية مع الحيوانات، خاصة إذ يدرس المرء بعناية التاريخ الديني للهند.

ومن الممارسات المقيتة الأخرى المرتبطة بأسماء الحكماء والنسك المتزهدين، ممارسة الجنس مع النساء في الأماكن العامة؛ ففي الفصل الثالث والستين (٦٣) من "آدي بارفا" لكتاب "مهابهاراتا" نفسه، تم وصف كيف مارس حكيم الجماع الجنسي مع ابنة صياد تسمى بـ ساتياوتي المعروفة بـ "مات سائج اندا". يقول "فياسا": إن ذاك الحكيم مارس الجنس مع الفتاة علانية لأجل التسلية والترفية والتمتع. كما ذكرت حادثة مماثلة في الفصل الرابع والمائة من "آدي بارفا" نفسه، وهي تحكي أن حكيمًا يُدعى "ديجارتما" مارس الجنس مع امرأة في مكان عام أمام أعين الناس. وقد تم وصف العديد من هذه الحوادث في ملحمة "مهابهاراتا". ولا فائدة في ذكر كل هذه الحوادث ووصفها. إن مصطلح "أيونيج أو أيونيجا" نفسه دليل على أن مثل هذه الحوادث كانت شائعة آنذاك الوقت. يعرف الكثير من الهندوس أن سيتا ودروبادي والعديد من النساء المشهورات الأخريات يشار إليهن باسم "أيونيجا". وتعني كلمة "أيونيجا" الطفل الذي لم يُنجب أو يولد في البيت أو داخل منزل. إذا كان أصل كلمة "أيونيجا" هذا صحيحًا، فهذا يعني شيوع الجماع في العراء أو أمام الناس بشكل مشاعٍ.

ومثال آخر على الأفعال اللاأخلاقية والإباحية للحكماء والنسّاك المذكور في "تشانديوغيه أوبانيشادا" وهو أمر بغيض ومقيتٌ للغاية. ومن الوصف الوارد في هذا الأوبنشاد، يُستنتج بأن الحكماء قد وضعوا قاعدة لأجل الجماع أمام أعين الناس وأعطوه تبريرًا وتعبيرًا شرعيًا؛ فقد قالوا: إنه عندما يريد الحكيم أن يضاجع مع امرأة بمناسبة طقوس العبادة (ياغيه) حتى لو لم تنته الياغيه، سواء كان هناك مكان منعزل أم لا، يجب أن يباشر الحكيم في الجماع في خيمة الياغيه نفسها، أمام أعين الناس. وقد تم إعطاء هذا الفعل غير الأخلاقي للحكيم شكل "واجب ديني" وبالتالي أنه أطلق عليه اسم تانترا يسمى "فاديفا براتا" والذي تم تسمية لاحقًا باسم "فاما-مارغا" أي "المسار الأيسر".

كل ما ورد في الأدب الديني القديم للآريين حول السلوك الأخلاقي وسلوك الحكماء وأخلاقهم كذلك، لا ينتهي بهذا الحد وإنما هناك جانب آخر من جوانب حياتهم الأخلاقية والذي جدير بالملاحظة والتوقف لديه.

يبدو أن الآريين القدماء كانوا أيضًا قلقين جدًا بشأن جعل نسلهم جيدًا. لهذا اعتادوا على إرسال زوجاتهم إلى الآخرين لأجل إقامة العلاقات غير الشرعية والإنجاب منهم. وقد تعودوا أن يحصلوا على مثل هذه الخدمات من الحكماء والنسّاك كأنهم اتخذوهم نوعًا من الثيران يصلح لإنجاب سلالات جيدة. وعدد هؤلاء الحكماء لم يكن قليلًا جدًا. يبدو أن هذا النوع من السلوك غير الأخلاقي أصبح من ديدن الحكماء والنسّاك المتزهدين وقد تعودوا على

ممارسة هذه العمليات الشنيعة. وكم كان هؤلاء الحكماء محظوظين لأنه حتى الملوك كانوا يرسلون ملكاتهم إليهم لأجل إنجاب ذرية صالحة.

### ❁ وآآن دعونا نناقش الآلهة ومدى انحرافهم الجنسي.

كانت الآلهة سباقاً قوياً، لكنهم في الوقت نفسه كانوا شديدة الاضطراب. وكانوا لا يتركون حتى زوجات الحكماء؛ فقصة ما فعله إندر مع أهاليا، زوجة الحكيم غوتام، معروفة جيداً. لكن الطريقة التي عامل بها نساء الآريين تفوق الكلمات. يبدو أن الآلهة جعلوا الآريين بطريقة ما ممتلكاتهم منذ زمن بعيد. وأصبحت ملكيتهم هذه منحرفة لدرجة أن إلهات الآريين اضطرن إلى أن يصبحن عاهرات لإرضاء شهوانية الآلهة وغلائلهم الجنسية. ويبدو للآريين مسألة فخر واعتزاز كبير إذا مارست زوجة بعض الآريين إلهاً، وخاصة إن أصبحت حاملاً من نطفة إله. في ملحمة "مهاباراتا"، و"هريفانشا بورانا" هناك بحث عن الأطفال الذين انجبهم إندر وياما، وناستيا، وأكني، وفايو وآلهة أخرى. كان هذا النوع من الإنجاب شائعاً لدرجة أن المرء يتساءل كيف يمكن هذا الاتصال بين الآلهة والنساء العاديات بهذه السهولة؟

ومع مر الدهور وكرّ العصور، أصبحت العلاقة بين الآلهة والآريين مستقرة ويبدو أنهم اتخذوا شكل الإقطاع. حيث طلب الآلهة هبتين اثنتين<sup>(1)</sup> من الآريين، وهما:

(1). هناك اصطلاح خاص لمثل هذه الهبات يسمى بـ "واردان" (م.ع.).

**الهبة الأولى** كانت تلك الياغيات أي عبادات أمام النار، وهي مآدبات تُقدم للآلهة من وقت لآخر. تم تقديم هذه الياغيات مقابل الحصول على حماية الآلهة في الحرب ضد الشياطين وضد القوى الشرسة، والأسوراس. ولم تكن الياغيات أكثر من رشوة تُمنح للآلهة مقابل الحماية التي يمكن الحصول عليها منهم ضد سيادتهم الإقطاعية. كانت هذه الياغيات مجرد مجموعة من السيادة الإقطاعية للآلهة. وإذا لم يتم فهمها بهذا الشكل<sup>(١)</sup>، فذلك لأن معنى كلمة "ديفا" أصبح موجهاً نحو الإله لا إلى جماعات معينة، مع أن "ديفا" لم يكن من الآلهة، وهذا المعنى خاطئ تماماً، وقد تسرب في المجتمع خاصة في الفترة المبكرة من تاريخ الجماهير الآرية.

**والهبة الثانية** التي نالتها الآلهة ضد الآريين هي أنه ينبغي إعطاؤهم الأولوية في مسألة الاستمتاع بإلهات الآريين. تحقق هذا الحق في فترات مبكرة جداً. وقد جاء ذكر هذه الحقوق في ريجفيدا (١٠-٨٥-٤٠). ووفقاً للبيانات الواردة فيها يخول الحق الأول فوق "آريا ديفي" للإله "سوما"، والحق الثاني لـ "جاندرافا"، والحق الثالث لـ "أكني" وأخيراً يخول لـ "آريا جانا". كانت كل إلهة آريا مدينةً لإله أو آخر، وعندما تبلغ سن الرشد، كانت تنتمي إليه.

قبل أن تتمكن تلك الإلهة من الزواج من أي رجل آري، كان يجب على الرجل أن يُخرج الإلهة من نطاق سلطة ذاك الإله عن طريق دفع ما يستحق

(١). أي أنها رشوة تمنح الآلهة مقابل الحماية من سيادتهم الإقطاعية. (م.ع.).

ذلك الإله من النذر وهبات يسمى بـ "داكتشنا". وقد تم وصف طريقة الزواج هذه الوارد في الأندیکا السابع من الفصل الأول من كتاب "أشفالايانا جريها سوترا" وهو دليل قاطع على وجود هذه الطريقة ورواجها آنذاك الوقت. إذا تمت دراسة هذه السوترا بعناية وجذر، فسيظهر أنه هناك كان ثلاث آلهة موجودين وقت الزواج، وهم: "آريامان" و"فارونا" و"بوشان". والسبب وراء وجودهم هناك واضح للغاية؛ لأنه كان لهم الحق الأول على الاستمتاع من تلك الإلهة المتزوجة. أول شيء يفعلها العريس هو أنه يحضر العروس إلى صخرة ويجعلها تقف عليها ويقول، "قفي على هذه الصخرة. قفي بحزم مثل هذه الصخرة. وتغلبى على أعدائك. أسقطيهم إلى الأسفل". "وهذا يعني أنه يريد إخراج عروسه المستقبلية من نطاق الآلهة الذين يعتبرهم أعداءه. فتغضب الآلهة وتهاجم العريس. هنا يتدخل شقيق العروس ويفصل الخلاف. ويجلب الحمص المقلي ويقدمه إلى الإله الغاضب حتى يمكن شراء حق الإله على العروس ثم يطلب الأخ من عروسه أن تتكاتف وتحفظ بمسافة في المنتصف وتجعل منها هوة. ثم يملأ مخلبها بالحمص المقلي ويصب عليها السمن. يطلب من عروسه أن تفعل ذلك ثلاث مرات وأن تعطيه لكل إله. هذا النذر يسمى "أفادان". في الوقت الذي تقدم فيه العروس هذه الهدية بمحبة، يجب على "آريامان" أن يحررها من حقوقه على الفتاة. لا ينبغي أن يتدخل في حقوق العريس. كما يتم تقديم قرابين مختلفة للآلهة الأخرى من قبل العروس. في ذلك الوقت أيضا يكرر الأخ نفس الجمل. بعد عملية القربان، هناك طواف للنار

يسمى "سابتابادي". بعد ذلك يتم تأكيد زواج العروس والعريس من جميع النواحي. ليس هناك شك في أن كل هذه المعلومات مفيدة جدًا. يروي كيف تم جلب الآريين إلى حالة شائنة من قبل الآلهة ومدى التدهور الأخلاقي ليس فقط بالنسبة للآلهة، وإنما للآريين كذلك.

يعرف جميع المحامين مدى أهمية "سبتا بادي"<sup>(١)</sup> في الزواج الهندوسي وبدون "سبت بادي" لا يمكن اعتبار الزواج قانونيًا، لكن قلة قليلة من الناس يعرفون سبب أهمية "سبتا بادي" القصوى في الزواج الهندوسي؟ والسبب واضح. إنه اختبار لما كان الإله يعتقد بسلطته الأساسية على العروس؛ هل هو راض عن التبرع أم لا؟ وهل هو مستعد لتحرير المرأة أم لا؟ إذا سمح الإله لعريس العروس بمرافقة عروسه لمسافة سبع جولات، فهذا دليل على أن الإله كان راضيًا عن التبرع وتنازل عن حقه على المرأة. الآن يمكن لهذه الفتاة أن تصبح زوجة زوجها إذا أرادت ذلك. لا يمكن أن يكون لـ "سبت بادي" معنى آخر أو تفسير مغاير آخر. إن "سبتا بادي" إلزامي في كل زواج، وهذا دليل يبين على أن هذا النوع من الفجور اتخذ موطنه ليس فقط بين الآلهة، بل بين الآريين أيضًا.

(١). "سبت بادي" هي أهم مرحلة في الزواج الهندوسي. وبهذه المناسبة يأخذ العريس الفتاة في الاتجاه الشمالي بمساعدة سبع "مانتراس" تصاحب معها إلى سبعة مواقع في الدوائر السبع. هذا الفعل يختلف عن جولات النار الأربع. يسمى الزواج الذي يتم فيه "سبت بادي" بـ "الزواج الفيدي". (م.ع.)

ما لم يكن هناك مناقشة مستقلة لأخلاق كريشنا، فإن هذه المناقشة ستعتبر غير مكتملة لأنه يقال إن فترة "كالي يوجا" تبدأ بعد وفاة كريشنا، ومن هنا تحتل حياة كريشنا الأخلاقية أهمية خاصة. كيف كانت حياة كريشنا الأخلاقية مقارنة بالحياة الأخلاقية للآخرين؟ سوف نبحث عن حياة كريشنا بالتفصيل في نهاية الكتاب. هنا أقوم بإضافة بعض الأشياء الأخرى؛ منها أنه ينتمي كريشنا إلى عائلة فريشني (ياداف). وكان "يادافاس" من مؤيدي تعدد الزوجات. يقال إن ملوك "ياداف" كانت لديهم عدد لا يحصى من النساء وأبناء لا حصر لهم. وكان هذا عيباً لم يكن كريشنا متبراً منه، ويعتبر هذا بقعة سوداء في شخصية كريشنا. كانت عائلة يادافاس وأسرة كريشنا نفسها مليئة بسفاح القربى الأبوي والفساد الأخلاقي. يذكر "ماتسيا بورانا" أن أبا من عائلة يادافاس تزوج من ابنته. وولد منه ولدا اسمه "نال". كما نجد فيه مثلاً لفساد أخلاقي آخر، حيث مارس أحد الأبناء مع أمه، نجد نموذجاً لهذه الأباحية في حياة "سامب" أحد أبناء كريشنا. وقد ورد التفصيل أنه كيف كان "سامب" يمارس الجنس مع زوجات أبيه كريشنا، مما أثار غضب كريشنا، فقام بقتل "نال" وزوجاته الخائنات.

وقد أشارت ملحمة "مهابهاراتا" أيضاً إلى هذا الحادث. سألت "ساتياباما" دروبادي عن ما هو السر بسيطرتها على أزواجها الخمس؟ وفقاً لماهباراتا، منعتها دروبادي من أن يعيش حياة منعزلة مع أبنائها من النساء

الأخريات. إن ما قالته "ماتسيا بورانا" عن العلاقة، هناك توافق بين هذا وبيان مهاهاراتا هذا بشكل تام. سامب وحده لم يكن هو الجاني الوحيد فقد تزوج شقيقه "براديومنا" من خالته "ماياواتي". وكانت "ماياواتي" زوجة "سامبرا". وكان هذا الانهيار الخلقي للآريين حتى قبل موت كريشنا. لا يمكننا القول عن سوء أوضاعهم الخلقية في كل عصر بالتفصيل؛ أي كيف كان وضعهم الخلقي في كل من الأزمنة الأربعة من "كريتا يوجا"، و"تريتا يوجا"، و"دفابارا"، و"كالي يوجا"؟ وإن افترضنا أن الآريين القدامى كانوا تقدميين، فسرى أن أكثر حوادث الفجور بشاعة قد حدثت في "كريتا يوجا"، ثم يأتي زمن "تريتا يوجا"، ثم دفابارا" من حيث بشاعة الفجور وسوءها بالترتيب، وكانت الأوضاع الأكثر سوءاً أو الأفضل في "كالي يوجا".

لا تعتمد وجهة النظر هذه فقط على افتراض أننا نرى تقدماً في المجتمع البشري بأسره. فما يُعتقد أنه حدث تدهور أخلاقي للمجتمع عبر التاريخ فهذا غير صحيح. إن مجتمعنا الآري القديم عمل لأجل إزالة الشرور الاجتماعية من خلال إصلاحات جريئة - هذا هو تاريخ هذا البلد الذهبي.

في نظر الآريين العاديين، كان للآلهة والحكماء مكانة عظيمة. غالباً ما يحدث أن أولئك الذين يعتبرون أنفسهم أقل شأنًا من الآخرين يقلدون من هم فوقهم أو من يرونهم أفضل منهم في محاكاة القيم. فما يفعله أفراد الطبقة العليا أو الأشرافية يصبح تقليد أساليب حياتهم هو القاعدة الأساسية بالنسبة

للأشخاص ذوي المستوى الأدنى منهم. وأحداث الفجور السائد بين الآريين العاديين إنما نشأت وانتشرت على سبيل المحاكاة للآلهة والحكماء والنساک المتزهدين، الذين سنوا تلك الفجور في المجتمع ووضعوا أولى اللبنة لتلك الفواحش والفجور. ولأجل القضاء على هذه المساوئ الاجتماعية اتخذ الآريون طريقة فريدة لتنقية الحياة الأخلاقية السائدة في المجتمع، حيث وضعوا قاعدة رئيسية ترى أنه يجب أن لا نعتبر سلوك الآلهة والحكماء وأعمالهم وأفعالهم قدوةً مثالية لعامة الناس. وبهذه الخطوة الشجاعة ثم اقتلاع جذور الفسق والفجور، وسدّها عن انتشارها في المجتمع.

كما كانت الحملات الإصلاحية أيضًا ثورية بنفس القدر. تذكر ملحمة "مهاباراتا" أسماء اثنين من المصلحين؛ وهما: "ديرجاتما" و"شفيتاكيثو". ووضع "شفيتاكيثو" قاعدة مهمة تقول "إن الزواج هو علاقة دائمة ولا مكانة للطلاق بأي حال".

كما قام "لونغ تاما" بإجراء تحسينين: أحدهما ألغى تعدد الأزواج ووضع قاعدة تنص على أن الزوجة يمكن أن يكون لها زوج واحد فقط. والإصلاح الثاني الذي أتى به تتمثل في وضع بعض القواعد المستوجبة لعملية "نيوجا" وفقًا للقواعد المرسومة، لأجل التقليل من مفسدها، ومن هذه القواعد الرئيسية ما يلي:

(١) يقول والد الأرملة أو شقيقها أن تقرر بمن تريد هي القيام بعملية "نيوجا".

(٢) ويجب أن لا هناك طفل من زوجها - كان حيًا أو ميتًا - أي يسمح نيوجا لامرأة توفي عنها زوجها أو مازال على قيد الحياة لكن ليس لها أولاد.

وبالتالي قام الآريون القدماء بالعديد من الإصلاحات لرفع مستوى أخلاقهم وتعاملهم الاجتماعي، منها:

تم اعتبار ممارسة الجنس مع زوجة المعلم أو الأتاليق (والذي يسمى بـ جرو) خطيئة رهيبة. كما تم وضع العديد من القواعد لتنظيم المقامرة والإصلاحات فيها. ألا أنه تم إجراء كل هذه الإصلاحات قبل بداية "كالي يوجا". لذلك من الطبيعي التفكير في أن "كالي يوجا" هي فترة أفضل من ناحية القيم الاجتماعية والسلوكية. فالقول بأن مستوى الأخلاق قد انخفض في "كالي يوجا" وأنه شهد انهيارًا خلقيًا لا يبدو صحيحًا بل لا يعتمد على أساس، وإنما هو انحراف رهيب وبعيد عن الواقع التاريخي.

## (٥)

أدت مناقشة "كالي يوجا" إلى ظهور العديد من الألغاز، منها ما يلي:

(١) لماذا لم يتم تحديد الفترة الزمنية لزمن "كالي يوجا" حتى عام ١٦٥ قبل

الميلاد؟

(٢) لماذا أضيفت أجزاء "سانديا"، و"ساندهيانشا" لاحقًا في "كالي

يوجا"؟

(٣) لماذا تم إنشاء هذا التمييز بين الانقسام البشري والانقسام الإلهي؟

(٤) ما هو الغرض الذي يسعى وراءه "البراهمة الفيديون" في إصرارهم

على مواصلة "كالي يوجا" إلى الأبد؟

(٥) ألم يكن هذا المبدأ إلا أداة لتشويه سمعة بعض ملوك الشودرا حتى لا

يطمئن شعبهم بحكمهم ولا يثق بهم؟

كالي يوجا: لغز من الألغاز

إن تقسيم الوقت الذي اعتمد عليه الهنّادس لأجل حفظ حسابات الوقت

له أهمية في مكانه. ووفقًا لـ "بوراناس" هناك خمسة مقاييس للوقت، وهي

كالتالي:

(١) فارشا (السنة) (٢) يوجا (٣) مها يوجا (٤) مانفانتارا (٥) كالبا.

وقد تم تفهيمها بالتفصيل في "فيشنو بورانا" على النحو التالي:

"إن خمس (٥) ومضات للعين تكوّن "كستا" واحدًا، ويتكون من ثلاثين

كستًا "كالا"، ومن ثلاثين كالا "موهورتا" ومن ثلاثين "موهورتا" يتكون ليلٌ

ونهارٌ.

تسمى خمسة عشر يومًا ذو ثلاثين مهورًا "باكتشا"، وتشكل "شوكلا-باكتشا" و"باكتشا كريشنا" معًا شهرًا واحدًا.

أوضح "فيشنو بورانا" اليوجا أي العصر على النحو التالي:

"سنة مكونة من أربعة أنواع من الأشهر مقسمة إلى خمسة أنواع من التقسيمات الزمنية. تسمى مجموعة جميع أنواع الوقت "يوجا". وبشكل منفصل تسمى السنوات "سامفاتسارا"، و"إدواتسارا"، و"أنوفاتسارا"، و"بري واتسارا"، و"فاتسارا"، ومجموعة هذه السنوات تسمى "حقبه" زمنية.

و"فارشا" هو العام بمعناه السائد. وأنه اسم آخر لمدة عام أو ٣٦٥ يومًا.

إن العصور الأربعة: (١) كريتا يوجا (٢) و تريتا يوجا (٣) و دوابارا يوجا (٤) و كالي يوجا تشكل معًا "مها يوجا" أي اليوجا الأكبر.

وتشكل نحو ٧١ من مها يوجا "كلبا" ومن حيث السنوات تساوي ٤٣،٢٠،٠٠٠ سنة لمدة "كلبا".

وتشكل ٧١ من مها يوجا "كلبا"، ومن حيث السنوات تدوم مدة "كلبا" نحو ٣،٠٦،٧٢،٠٠٠ سنة.

في حين يتجاوز "مانفانتارا" أكثر من ٧١ "مها يوجا".

يبدو أن عائلة "مانفانتارا" لديها خطط تهدف إلى تقديم طبقة حاكمة للعالم بأكمله. كل مانفانتارا لديه ضابط رئيسي يُدعى "مانو" والذي يسنّ القوانين

ويصوغ النظام العالمي. هناك آلهة كي يعبدونها الناس، وهناك سبعة حكماء وهناك ملك يقوم بحل جميع القضايا المعنية بالحكم وسياسة الأمور.

قد وردت كلمة "يوجا" في "ريجفيدا" نحو ٣٨ مرة على الأقل. في حين جاء وصف "يوجاس الأربعة" في مهاهاراتا على النحو التالي:

"كريتا يوجا" هو العصر الذي يبقى فيه الديانة مستقرة وفي حالة اتزان. في ذلك العصر المفضل يستقر كل شيء بالاتزان. لا شيء يبقى ناقصًا، وأنداك الوقت لا يهمل أحد واجباته كما لا يعانون الناس بالحوادث وتقليب الأمور. في وقت لاحق بسبب تأثير الزمن هلك هذا العصر. وفي تلك الحقبة لم تكن هناك آلهة، ولا شياطين، ولا غاندارفاس، ولا ثعابين، ولا شياطين، ولا الأفاعي. كما لم يكن هناك بيع ولا شراء في تلك الحقبة. ولم يتم تصنيف الفيدات إلى "ساما" و"ريجفيدا"، و"يجورفيدا". لم يكن على الرجل بذل أي جهد في أي اتجاه لغرضٍ ما. فقد كان ينال ثمار الأرض بمجرد التمني. وقد ساد الدين والتزهد ذاك العصر، وبسبب التقدم في السن لم يكن هناك مرض ولا ضعف في الحواس. لم يكن هناك غيرة، ولا بكاء، ولا غطرسة، ولا غش ولا خيانة في المجتمع. لم يكن هناك فتنة ولا اجتهاد. لم يكن هناك كراهية ولا قسوة ولا خوف ولا مرض ولا تحاسد ولا تباغض. ومن ثم كان البراهما مثوىً لهؤلاء اليوغيين. وأنداك الوقت كانت روح جميع الكائنات "نارايانا" بيضاء فارنا. وكانت صفات "كريتا يوجا" متواجدة في البراهمة، والكاشترا، والويشا،

والشودرا بشكل أتم، وكل الكائنات الحية التي ولدت في ذلك الوقت كانت مدركة لواجباتها وتشعر بمسؤولياتها. كان هناك انسجام كبير في معتقداتهم وسلوكهم وتعلمهم. وكانت الطبقات الموجودة آنذاك الوقت لا تدخر وسعاً في أداء وظائفها وواجباتها وكانت مكرسة لإله واحد فقط. واعتاد الجميع على ترديد نفس المانتراس. كان لديهم قاعدة واحدة ونوع واحد من العادات والقيم. وعلى الرغم من أن واجباتهم كانت مختلفة، إلا أن الفيدات كانت هي نفسها؛ فكانت حقبة "كريتا يوجا" خالية من تأثير اليوجاس الثلاث.

ولنفهم الآن "تريتا يوجا"، وفي هذا العصر بدأت ممارسات "ياغيه جادي" ومن هنا تراجعت ربع القيم الدينية وضاعت.

وفي عصر "دفابارا" شهدت الديانة تراجعاً لرُبعين أو النصف. تحول فيشنو إلى اللون الأصفر وزاد عدد الفيذا الواحد إلى أربعة فيدات. فكان بعض الناس يدرسون أربعة فيدات، وبعضهم ثلاثة، وبعضهم اثنين منها، وبعضهم الآخر يكتفي بالواحد كالماضي في حين البعض الآخر لا يدرس شيء على الإطلاق.

في "كالي يوجا" بقي الرُبع فقط من الديانة.

هذه المعلومات تبدو غريبة حقاً. تم ذكر كلمات "كريتا"، و"تريتا" و"دفابارا" و"كالي" في الأدب الفيدي القديم. في حين وردت هذه الكلمات في كل من "تريتاتيريا سمهتا"، و"فاجاسنيا سمهتا"، و"أيتاريا براهمانا"،

و"شاتاباتا براهمانا" في أماكن عديدة. اللهم إلا أنه تم استخدامها جميعاً في شأن القمار والمقامرة؛ فوفقاً لـ "شاتاباتا براهمانا" تشير كلمة "كالي" إلى الشخص الذي يستغل أخطاء الآخرين في المقامرة، وتشير "تريتا" إلى الشخص الذي يلعب وفقاً للقواعد، وأما "دفابارا" فهو الشخص الذي يريد أن ينتصر على زميله اللاعب في السباق. يقول "أيتاريا براهمانا":

"يمكن توقع النصر بالكامل. "كالي" مستلقي، واثنان من النرد يتحركان ببطء، وقد سقط النصف منه. لكن يبدو نرد "كريتا" الأكثر حظاً إذ هو على قدم وساق".

من الواضح جداً أنه في كل من هذه الأماكن، ليس لكل هذه الكلمات معنى آخر سوى نرد القمار أو أحجار القمار.

كما يجدر بنا الذكر ذلك المعنى الذي قدّمه مانو لهذه الكلمات بهذه المناسبة، فهو يقول:

إن كلمات "كريتا"، و"تريتا"، و"دفابارا"، و"كالي" كلها رموز لرعاية الملك؛ فـ "اليوجا" أي العصر يسمى به الملك؛ فعندما يكون الملك نائماً، يُدعى "كالي يوجا"، وفي حالة اليقظة يكون في "دفابارا يوجا"، وعندما يريد أن يفعل شيئاً، فهو "تريتا يوجا"، وعندما يتحرك يُدعى "كريتا".

والآن دعونا نقارن معاني "مانو" بالمعاني التي قدمها أسلاف مانو لكلمات "كالي" والمصطلحات الثلاثة الأخرى إلخ. إن المفردات التي ظهرت في قواميس المقامرين أصبحت كلمات سياسة وأنها تستخدم بكثرة في الوسط السياسي.

هناك تتبادر إلى الذهن بعض الأسئلة المثيرة للغاية وهي: ما هي الظروف التي أجبرت البراهمة على صياغة نظرية "كالي يوجا" هذه؟ لماذا قبل البراهمة "كالي يوجا" كمرادف لحالة المجتمع الساقطة؟ لماذا أطلق مانو على الملك النائم لقب "كالي"؟ أي ملك قام بالحكم في زمن مانو؟ لماذا يسمي ذلك الملك بالملك النائم؟

والسؤال المهم من بين هذه الأسئلة هو منذ متى بدأ عصر "كالي يوجا"؟

وقد ذكرت "بوراناس" تاريخين لبداية هذا العصر. يرى البعض أن "كالي يوجا" بدأ في أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد. يقول آخرون إنه بدأ منذ ١٨ فبراير من عام ٣١٠٢ قبل الميلاد. يقال إن حرب كاورافاس - باندا فاس بدأت منذ ذلك الحين. يقول البروفيسور آيانغار: إنه ليس لدينا أي دليل لإثبات أن عصر "كالي يوجا" كان مستخدمًا في جميع أنحاء الهند قبل القرن السابع. وإنما تم العثور عليه لأول مرة مستخدمًا في نقش. هذا النقش يرجع تاريخه إلى بولاكسي الثاني الذي حكم بادامي بين عامي ٦١٠ م و٦١٢ م.

بناءً على الأدلة المتاحة، يمكن القول إن حرب مهابهاراتا بدأت في عام ١٢٤٣ قبل الميلاد. لكن لا يوجد هناك تاريخ محدد يمكن اعتباره كتاريخ لبدء "كالي يوجا". أي تاريخ هذا؟ هذا لغز كبير حقاً!

هناك نوعان من المفاهيم الخاطئة المرتبطة بـ "كالي يوجا"؛ يعتقد البراهمة اعتقاداً راسخاً أنه لا يوجد سوى نوعين من الطبقات في عصر "كالي يوجا"؛ وهما: "البراهمة"، و"الشودرا"، ويرون أن الطبقتين الإثنتين فيما بينهما أي "الكاشترا والويشا، اختفتا من الوسط.

والمفهوم الثاني الخاطئ المرتبط بـ "كالي يوجا" هو يتمثل في اعتقاد "أسطورة كالي فارجيا". والذي يعني بأفعال محظورة في عصر "كالي يوجا". وهذه المحظورات منتشرة هنا وهناك في بوراناس مختلفة، وقد تم ذكر نحو ٤١ فعلاً من هذه الأفعال المحظورة في "آديتيا بورانا" قد أسلفنا الذكر منها بعضها فيما سبق.

## هكذا كان "راما" و"كريشنا"

يعتبر "راما" الشخصية الرئيسية للمحمة "رامايانا" ومؤلفها هو "فالميكى". إن قصة راما هي ليست قصة طويلة ولا يوجد فيها شيء يمكن وصفه بالإثارة أو التشويق أو المتعة.

والد راما هو دشراتا والذي كان ملك مدينة أيودايا، وهي مدينة فيض آباد حالياً.<sup>(١)</sup>

بالإضافة إلى مئات من المحظيات والحواري كانت للملك دشراتا ثلاث ملكات - كوشاليه، وكيكئي، وسوميترا.

طلبت كيكئي من زوجها الملك بمناسبة زواجها نعمتين؛ مما يعني أنها ستطلب من الملك شيئين وسيتعين على الملك أن يلبي على مطالبها. ولم يكن لدى الملك طفل لفترة طويلة، في حين كانت لديه رغبة أكيدة في الحصول على ولد يصبح ولي عهد ووريثاً لملكه. وعندما يئأس من الإنجاب قرر أداء بوتراشيتي ياغيه (أي عبادة لأجل الحصول على الأولاد) ودعا الحكيم شريندا

(١). "فيض آباد" الحديثة ليست هي أيودايا القديمة بالمعنى الكلي للكلمة، أيودايا أصبحت الآن مدينة مستقلة عن مدينة فيض آباد، فهي جارتها، لكنها الآن كلا المدينتين تستقلان عن الأخرى، وأيودايا القديمة هي أيودايا الحديثة، ليست "فيض آباد الحديثة". (م.ع.)

يقوم بمراسيم العبادة. أعد الحكيم شريندا "البند" وأعطاه لكل ملكة ليأكلن منها، وبمجرد أكلهن لذلك الطعام أصبحن حبلن، واستقر الجنين في بطونهن، وأنجن أربعة أولاد؛ حيث أنجبت كوشاليه ولدها "راما"، وكيكئي أصبحت والدة بهاراتا، في حين أنجبت سوميترا توأمين "لاكشمان" و"تشاروغنا". في الوقت المناسب، تزوج راما من "سيتا". وعندما بلغ راما سن رشده قرر الملك دشراتا أن يسلم له عرشه، ليتولى هو بمقاليد الحكم، ويتخلى عن المسؤولية، لكن أثناء ذلك حلت الملكة كيكئي عاتقة دون مراسم التتويج، وعندئذ طلبت من الملك أن يعطيها تلك النعمتين اللتين بقيتا على الملك دينا، وناشدت إيفاءهما؛ وعندما سأها الملك أن تسمي تلك النعمتين؟ فقالت: أريد أن تسلم مقاليد الحكم إلى ابني "بهاراتا" بدلا من "راما"، والنعمة الثانية أن تحكم على ابنك "راما" المنفى ليعيش في الغابة لمدة أربعة عشر عامًا. فوافق الملك دشراتا على الرغم من أنه، فتولى بهاراتا عرش أيودايا وقبل راما مع زوجته "سيتا" العيش في المنفى. وارتحل مع أخيه لاكشمان نحو الغابة كابن بار لإبيه. وفي حين عندما كان الثلاثة يعيشون في الغابة اختطف رافانا ملك سريلانكا زوجة راما "سيتا" وذهب بها إلى قصره في بلاده. وكان ينوي أن يتخذها زوجة له. وعندما وجدها راما وأخوه لاكشمانا غير موجودة، بدأ يبحثان عنها وفي الطريق تقابلا سوجريفا وهانوماننا. وكان كلاهما من الرجال الكبار من جنس القرود.

أصبح رام لاكشمان صديقين للقردين، وبمساعدهما تم العثور على المكان الذي وضع رافانا فيه "سيتا" بعد اختطافها، وبمساعدهما قُتل رافانا وتم إنقاذ سيتا من خلال الحرب على سريلانكا. وعاد رام مع سيتا ولاكشمانا إلى أيودهايا. وبحلول ذلك الوقت، قد انقضت فترة المنفى أي أربعة عشر عامًا وتم الوفاء بشرط كيكئي فتخلّى بهاراتا عن العرش وحلّ محلّه رام وقام بتولية الحكم.

وباختصار، هذه هي قصة رام التي أوردها فالميكي في كتابه "راماينا"، ولا يوجد فيه شيء يجعل من رام شخصيّة تُعبد! فهو مجرد ابن مطيع وبار. لاحظ فالميكي بعض الغرابة في شخصيّة رام. هذا هو السبب في أنه قام بتأليف راماينا. سأل فالميكي نارادا-

"يا نارادا! قل لي من هو أعظم رجل على وجه الأرض الآن؟"

بعد ذلك يعرف "رجله العظيم" ومحاسنه قائلاً:

"القوي، الذي يدرك جوهر الحق، يكون ممتنا، وصادقاً، ويمكنه التخلي عن الأنانية للوفاء بالوعد حتى في الظروف الصعبة، يكون متواضعاً للغاية، يحمي مصالح الجميع، يكون أقوى الرجال، وذا شخصيّة فاتنة جذابة، متعففاً، وقادراً على التحكم في غضبه، مميّزاً بين الجميع، لا يحسد الآخرين على أعطاهم الخالق من ممتلكات وثروات، ويمكنه حتى أن ترتعش بخوفه قلوب الآلهة في ميدان الوغى".

ثم يريد نارادا وقتاً للتفكير وبعد التأمل يقول:

"هناك شخص واحد فقط يتحلى بكل هذه الصفات، وهو راما. وهو ابن دشراتا".

وبسبب صفاته تم قبول راما كتجسدٍ للآلهة.

لكن هل شخصية راما حقاً تجعله يتولى عرش الألوهية؟ فالذين يعتبرون "راما" جديرًا بالعبادة كإله يجب عليهم أن يأخذوا في عين الاعتبار ما يلي من الحقائق:

إن ولادة راما بحد ذاتها خارقة للعادة. قد تكون الأسطورة القائلة بأن راما ولدت بسبب أكلة قدمها الحكيم شرينغا مجرد استعارة للتستر على حقيقة "أن راما قد ولدت من خلال اتصال كوشاليه مع والحكيم شرينغا". لم يكن الحكيم الناسك شرينغا وكوشاليا زوجين. على أي حال، حتى لو لم تكن ولادة راما سبب الشهرة، فلا بد أنها كانت ولادة خارقة وغير عادية.

وترتبط بعض الأحداث الأخرى أيضًا بميلاد راما. لا يمكن أن لاتبدو سيئة للناس؛ فقد أكد فالميكي في بداية كتابه المقدس "رامايانا" أن راما هو تجسيد الإله "فيشنو". حيث قبل الإله "فيشنو" أن يولد باسم "راما" وأن يكون ابنًا للملك داشاراتا. وعندما علم براهما بذلك، اعتقد براهما أنه من أجل النجاح الكامل لتجسد راما لفيشنو، من الضروري أن يحصل راما على دعم من

الأشخاص الأقوياء. ولم يكن هناك آنذاك الوقت رجال أقوياء من أمثال هؤلاء الناس.

فقررت الآلهة إطاعة أوامر براهما. ولجأوا إلى حد كبير إلى الزنا مع الحوريات، ولم يكتفوا بهذا العمل (الشنيع) بل مارسوا الجماع مع فتيات غير متزوجات من الياكشا والثعابين، كما أقاموا علاقات جنسية مع النساء المتزوجات وفقاً للقواعد السائدة من طبقة روكشا وفيديداهار (أي نصف الإلهة) وغاندهارفا (المسئولات بالرقص والتغني في الجنة) والمخنثات والقردة، وبه استعد جيش قوي من القروود لدعم رام من نطاف الآلهة.

وهكذا فإن ولادة رام، وإن لم تكن على المستوى الشخصي لراما، مرتبطة بالإباحية بشكل عام فيما يخص برفاقه. وهناك تعليق مثير للغاية فيما يتعلق بزواجه من "سيتا"؛ فوفقاً لـ"رامايانا بوذا" من خلال كتابه "دشراتا جاتك" كان كل من رام وسيتا شقيقان أي أخ وأخت. وكلاهما كانا من أبناء الملك دشراتا، في حين لا يتفق الفاليميكي في كتابه "رامايانا" مع علاقة الأخوة بين رام وسيتا التي ذكرها صاحب "رامايانا بوذا". ووفقاً لفاليميكي، كانت سيتا ابنة "فيديهـا-نريشا جاناك"، وبالتالي لم يكن رام وسيتا شقيقان. لكن هذه العبارة لا تبدو مرضية، لأنها وفقاً لفاليميكي لم تكن "سيتا" ابنة طبيعية لجاناك. وإنما كانت طفلة عشر عليها مزارع في حقله وأعطاهها للملك جاناك والذي اعتنى بها وربّاه في كنفه. لذلك لا يمكن القول إلا بشكل عادي إن سيتا كانت ابنة

جاناك. في حين تبدو قصة "راماينا بوذا" طبيعية ولا تتعارض مع كرامة الآريين فيما يتعلق بالزواج في ذلك الوقت، (حيث كان الزواج فيما بين الأخ والأخت سائداً في مجتمع الآريين آنذاك الوقت). وعلى هذا، إن كانت القصة المذكورة فيما أعلاه صحيحة، فإن زواج راما مع سيتا ليس زواجاً مثالياً، يستحسن تقليده أو يثنى على الامتثال به وبعبارة أخرى، لم يكن زواج راما زواجاً مثالياً مستحسناً. ويُذكر أنه من إحدى صفات راما أنه كان زوجاً مثالياً ووفياً لزوجته. يا ليت شعري! لا أعرف كيف راجت هذه الفكرة فيما بين الناس وكيف وصل هذا الظن الحسن إلى الرجل العادي بخصوص راما كالزوج! لأنه لا أساس له من الصحة تماماً. إذ كان لـ راما عدة زوجات، وقد اعترف به فالميكي أيضاً. ولا يحتاج القول إلى دليل يدعم بأنه كان لديه العديدات من الجواري والمحظيات علاوة على زوجاته. وبه أصبح راما ابناً باراً يحدو حدو أبيه الإسمي الملك دشراتا الذي كان لديه العديد من النساء المحظيات والخليلات إلى جانب زوجاته الثلاثة.

والآن نبحث عن شخصية راما ككونه بشراً وملكاً حاكماً. وبكونه إنساناً بشراً أود أن أشير إلى حادثتين فقط من حياته. أحدهما هو سوء سلوكه تجاه "بالي"، والآخر سوء تعامله مع زوجته "سيتا". دعونا نبدأ أولاً بقصة "بالي". كان كل من بالي وسوجريفا أخوين. ينتميان إلى جنس القردة وينتميان إلى أسرة حاكمة ملكية.

وكانت لدى الأسرة مملكتها الخاصة والتي كانت عاصمتها "كيشيكاندا" في الوقت الذي اختطف فيه رافانا على زوجة راما "سيتا" كان بالي حاكمًا على العاصمة "كيشيكاندا". عندما كان بالي جالسًا على العرش، دخل في معركة مع شيطان يدعى "مايا في". عندما دار القتال فيما بينهم، فر الشيطان مايا في هاربًا بحياته. وطارده كل من بالي وسوجريفا معًا. دخل مايا في مغارة، فقال بالي لسوجريفا: انتظر أنت لدى مدخل هذه المغارة ودخل هو المغارة ليقاتل مع الشيطان، وبعد دقائق رأى سوجريفا تيارًا من الدماء يخرج من نفس المغارة، فظن أن مايا في الشيطان قد قضى على "بالي" فعاد إلى العاصمة دون التأكد من مَنْ قُتل؟ وتولى بنظام الملك على مكان بالي، وجعل القرد "هانومان" رئيس الوزراء له.

والحقيقة أن بالي لم يُقتل بل قُتل مايا في على يد "بالي". فخرج من تلك المغارة ولم يجد سوجريفا هناك، فتوجه تلقاء العاصمة، حيث رأى أن سوجريفا قد أعلن نفسه ملكًا واعتلى على عرشه. فكان من الممكن أن يغضب بالي من خيانة أخيه، وكان غضبه طبيعيًا. وكان من واجب سوجريفا أن يتأكد من مَنْ هو المقتول؟ وهل مات "بالي" أم لا؟ ولم يكن من واجبه أن يفترض ببساطة أن بالي قد مات. وبالتالي كان هناك فتى من سلالة بالي، وكان له حق في العرش، وكان على بالي أن يعتبره الوريث الشرعي لأخيه الفاتح وتوليته بالعرش، لكنه لم يفعل هذا، ولم يحدث أي منهما. فكانت هذه قضية انتزاع العرش بشكل

مباشر وواضح، فقام بالي بنفي سوجريفا واستعاد عرشه، وأصبح الأخوان ألد الأعداء فيما بينهما.

وقع هذا الحادث في نفس الوقت تقريباً عندما اختطف رافانا زوجة راما "سيتا" وأخذها إلى عاصمته سري لانكا. كان راما ولاكشمان يتجولان بحثاً عنها. في حين كان سوجريفا وهانومان أيضاً يبحثان عن أشخاص يمكنهم مساعدتهم في استعادة العرش الذي فقدها. وعن طريق الصدفة التقى الطرفان ببعضهما البعض. وبناءً على المعرفة المتبادلة بمشاكل بعضهما البعض، تم التوصل إلى اتفاقية بين الفريقين؛ وبموجب الاتفاقية سوف يساعدهما راما في قتل بالي حتى يتمكن سوجريفا من استعادة مملكة كيشيكاندا، وبالمقابل أكد سوجريفا وهانومان أنهما سيساعدان راما في البحث عن زوجته "سيتا". من أجل الوفاء بالجزء الخاص به من الاتفاقية، تقرر أن يرتدي سوجريفا إكليلاً حول رقبتة حتى يمكن التعرف عليه بسهولة أثناء القتال. كما اتفقوا أيضاً أنه أثناء القتال سوف يخفي راما نفسه تحت غطاء شجرة ومن هناك سيقتل بالي بإطلاق سهم عليه في غفلته. وعليه حُسمت المعركة. فوضع سوجريفا إكليلاً حول رقبتة حتى يميز راما بين سوجريفا وبالي، وعندما نشبت الحرب ودارت رحى الحرب قام راما - والذي كان مخبئاً خلف شجرة - بتصويب السهم إلى بالي فقتله.. هكذا مهّد راما الطريق لسوجريفا ليصبح ملك كيشيكاندا. وقتل بالي بهذه الطريقة الخادعة هو أكبر بقعة سوداء في شخصية راما. وهي جريمة

لاتغتفر. لم يستفز أحد راما ليفعل ذلك لا بالي ولا رفاقه. ولم يكن هناك نزاع بين بالي وراما، وبالتالي لقد كان هذا هجومًا جبانًا للغاية، حيث لم يكن لدى بالي أسلحة. لقد كانت جريمة قتلٍ تم تديرها مسبقًا.

وماذا فعل رام بزوجه سيتا؟ هاجم راما سريلانكا بالجيش الذي جمعه سوجريفا وهانومان. هناك أيضًا استخدم نفس اللعبة الماكرة كما استخدمها في حالة بالي وسوجريفا. فاستعان بشقيق رافانا "فبيشنا" وقال له سيتم توليته على العرش بعد مقتل رافانا وابنه "إندراجيت". وعندما بدأت المعركة قتل راما "رافانا" وابنه "إندراجيت". عندما قُتل رافانا أول شيء يفعله راما هو القيام بجنازة "رافانا" بكل اعتزاز وافتخار. ثم يهتم بتتويج "فبيشنا" وإجلاله على العرش تعبيرًا لوفائه. ولا يرسل هانومان لتفقد "سيتا" وإحضارها إلا بعد انتهاء مراسم التتويج، والذي يرسل خبرًا إلى راما بأن سيتا بأمان، وأنها تريد زيارتها! تفكروا قليلًا، راما لا يذهب إلى زوجته سيتا، وأنه يتم إحضارها بواسطة شخص آخر؛ فتحضر إليه تلك المرأة والزوجة التي عاشت معه في المنفى في أشوكا فاتيكا، وتحملت حرّ المنفى وقره، ويتم اختطافها، ويخوض راما في الحرب لأجلها، لكنه لا يرى من واجب أن يفكر عنها بعد الحرب وأن يبحث عنها... فلم كانت هذه الحرب، هل لأجل سيتا أم لأجله استعادة الشرف وأخذ الانتقام ممن تجرأ على التناول من شرفه؟! وإن لم يكن فالميكى هو مصدر هذه القصة فكان من الصعب جدًا أن يعتقد شخص

أنه يمكن لزوج سوف يخاطب زوجته في مثل الموقف الصعب وغير المواتي كما خاطب به راما زوجته سيتا:

"بقتلي لعدوي الذي اختطفك ووضعك في المعتقل، قد استلمتك كملكتي التي فزت بها في الحرب. لقد قمت باستعادة شرفي وحماية احترامي لذاتي وعاقبت عدوي اللدودي. وقد رأى الناس قدرتي الإستراتيجية. وأنا سعيد جداً حيث تكمل جهدي بالنجاح. لقد جئت إلى هنا لأجل الانتقام من إهانتني بقتل رافانا، وما عانيت كل هذه المعاناة من أجلك أنت".

هل يمكن تخيل عن قسوة أكبر من الطريقة التي عامل بها راما مع زوجته التعيسة سيتا؟ لا يتوقف عند هذا الحد. ويتابع خطابه قائلاً:

"أنا متحمس جداً بخصوص بشرتك وبراعتك. لا بد أن رافانا قد فعل بك شيئاً، أنا أكره بمجرد مظهرك. يا بنة جاناك! أعطيك حرية الذهاب إلى أي مكان تشائين. لا علاقة لي بك. لقد فزت بك مرة أخرى أنا راضٍ باستعادتك، لأنها كان هي هدي الوحيد. لا أستطيع أن أفكر في امرأة جميلة مثلك لايمسها رافانا (أي يتركها دون استمتاع)".

بطبيعة الحال، تصف سيتا زوجه راما كرجل لئيم، وأنها تقول: لو أخبرها راما للمرة الأولى عندما أرسل هانومان لإحضارها عن نواياه بأنه يريد التخلي عنها بمجرد اختطافها على يد رافانا، لانتحرت قبل مجيئها هناك وقبل أن ترى وجهه اللئيم.

قررت سيتا، دون إعطاء أي مبرر لـ راما، أن تثبت براءتها. دخلت النار وخرجت منها سالمة معافاة، فرضي عنها الآلهة وشهدوا على براءتها، وبعد ذلك وافق راما على اصطحابها إلى عاصمة "أيودايا".

عندما أحضر راما زوجته سيتا إلى عاصمة "أيودايا" كيف يعاملها هناك؟ صحيح الآن أصبح "راما" ملكًا و "سيتا" ملكته. وظل راما ملكًا للأبد وأما سيتا فلم تبقى ملكة بعد فترة قصيرة من اعتلاء زوجها العرش. وسببه وراء ذلك يعود إلى سوء سمعة راما جراء اختطاف زوجته سيتا. وقد ناقش فالميكي في كتابه "رامايانا" بأنه بعد تتويج راما وبعد فترة وجيزة من كون "سيتا" زوجة الملك، بدت عليها أمارة الحمل، وعندما رأى بعض الأشخاص ذوي الميول الشريرة في أيودايا، بأنها حامل، بدأوا في تشويه سمعة سيتا قائلين: إن رافانا هو سبب هذا الحمل أثناء وجودها في سريلانكا، وبما أن راما يدعها لتبقى زوجته وتعيش في دراه يصبح أيضًا موضعًا للتهم والإساءة وبدأوا يلقونه أيضًا بألستهم الحداد. عندما علم راما عن تلك الشائعات المثيرة حوله في المدينة بواسطة "بهادرا" أرسل إلى إخوته وأبدى ردة فعله وأعرب عن قلقه تجاه سمعته، وقال لإخوته: إنه سبقت براءة سيتا في سريلانكا، وحتى الآلهة ضمنوا لها براءتها، ويعتقدون بأن سيتا بريئة من هذا البهتان تمامًا، وبالرغم من ذلك، يشوه الناس سمعتي ويجاولون النيل من شرفي، وأنا أشعر بالندم والخرج من هذا الموقف، ولا يستطيع أحد أن يتحمل هذا النوع من الإذلال؛ فالسمعة

هي مصدر قوة كبيرة. كان كل من الآلهة والرجال العظماء يحاولون الحفاظ عليها. أنا لا أطبق هذا الإذلال والافتراء قط. وبإمكاني أن أترككم أيضا لأجل الحفاظ على سمعتي ناهيكم أن لا أتخلي عن سيتا فحسب!

يبدو من هذا أنه بدون التفكير فيما إذا كان القيام بذلك هو صحيح في نظر الشرع أم خطأ، قرر راما أن يسلك الطريق البسيط السهل لإنقاذ نفسه من افتراء الناس - وهو التخلي عن سيتا مهما كلف ثمنه. فلم تكن قيمة لـ سيتا في حياته. ولم يتخذ راما الطريقة الرجولية لإيقاف هذه "الشعائعات"، كونه ملكًا كان قادرًا على فعل ذلك وكونه زوجًا كان عليه أن يختار طريقة رجولية لا طريقة انفعالية. فقد انحنى أمام الخطاب العام والشعائعات. هناك أناس غير قليلين يرون في سلوك راما هذا عملاً صوابًا إذ ساند موقف الجمهور ووقف معهم، وسائر مع الشعب بشكل ديمقراطي، وأنه ضحى زوجته لأجل الجمهور! إذن، أليست هذه أيضًا سمة مميزة لضعف راما ونموذج جنبه؟ مهما كان الأمر، فهو يعرف إخوانه من خطته الدامية هذه، ولكن ليست سيتا الوحيدة التي ستتأثر به والتي كان لها الحق في أن تكون على علم بذلك لكنها بقيت في ظلام دامس من هذه المؤامرات. وقد احتفظ راما بخطته في طي الكتمان و ينتظر فرصة لتنفيذ خطته.

بعد كل شيء، لقد أعطت محنة سيتا القاسية راما فرصة ليفعل ما يريد و ينفذ خطته الماكرة القاسية. تنشأ داخل المرأة الحامل رغبات مختلفة في أيام

الحمل. وكان راماً على علم بذلك. وذات يوم سأل سیتا - هل هناك رغبة ملحة في شيء ما؟ قالت نعم. فقال: بماذا تتمنين إذن؟ قالت: إنها تريد البقاء بالقرب من "رشي أشرم" (كوخ الناسك) على ضفاف نهر الغانج حتى ولو ليلة واحدة، وتأكّل الفاكهة والجذور! فرح راماً باستماع رغبتها هذه. وقال: "يا عزيزتي! لا تقلقي سوف أحاول لتحقيق رغبتك بأسرع ما يمكن ليوم الغد". وشعرت سیتا أن زوجها المحب قد أعطى دليلاً على صدقه. لكن ماذا يفعل راماً؟ اعتقد أنه وجد فرصة سانحة للتخلي عن سیتا. وبناءً عليه، يتصل بإخوته ويكشف لهم أنه عزم على استغلال هذه الفرصة للتخلي تماماً عن سیتا. يقول رام لإخوته ألا يصبحوا عائقاً في طريقه، وإذا فعلوا ذلك، فسيعتبرهم أعداء له. ثم طلب من لاکشمان اصطحاب سیتا إلى الغابة في اليوم التالي في عربة وتركها بالقرب من كوخ الناسك (رشي أشرم) على ضفاف نهر الغانج. لم تكن لاکشمانا تتجرأ على إخبار سیتا بخطة راماً الماكرة وما قرره لأجلها. وعندما لاحظ راماً من آثار القلق على وجه لاکشمان قال لأجل التخفيف من قلقه: إن سیتا هي التي أعربت عن رغبتها في أن يتم اتخاذ الترتيبات اللازمة لها لأجل القضاء ليلة واحدة على الأقل في الغابة بالقرب من كوخ الناسك على ضفاف نهر الغانج لتأكّل من فاكهتها وجذورها وتقضي بعض الأيام هناك. وبهذه الطريقة، تمت إزالة توتر لاکشمان إلى حد ما. وتم تدبير هذه المؤامرة ليلاً.

في اليوم التالي طلب لاكشمان من "سومانتا" ربط الخيول في العربة. والذي أبلغه بأنه فعل ذلك والعربة جاهزة. ثم يذهب لاكشمان إلى القصر للقاء زوجة أخيه "سيتا" ويذكرها بأنها أعربت عن رغبتها في قضاء بضعة أيام في الغابة بالقرب من كوخ الناسك وأن راما وعدها بالوفاء بها. قال لاكشمان أيضًا إن راما طلب منه أن يفعل اللازم في هذا الشأن. ويشير إلى العربة ويقول لـ سيتا تعالي، "هيا، هيا بنا".

كان قلب سيتا عامرًا بالامتنان تجاه راما. قفزت وجلست في العربة. أخذت العربة لاكشمان، برفقة سائق عربة سومانتا، ووصلت إلى مكان معين. نقلهم البحارة عبر النهر. هنا انخر لاكشمان في قدمي سيتا وعيناه تذر فان الدموع وقال: "أيتها الملكة البريئة! أنا آسف لما أفعله. لقد أمرت بتركك هنا. يلوم الناس راما على سبب إبقائك في منزله؟ (ظانين بأن رافانا قد تلوث شرفك)!"

بعد أن تخلى عنها راما وتركها ليموت في الغابة، ذهبت سيتا بحثًا عن الأمان إلى كوخ الناسك فالميكي (في الأشرم) الواقع بالقرب من ذلك المكان. وفر له فالميكي المأوى وأبقاه في الأشرم. في الوقت نفسه، أنجبت سيتا توأمان - لوف وكوش. وعاش الثلاثة بالقرب من فالميكي. قام فالميكي بتربية الأطفال وعلمهم غناء الرامايانا التي ألفها. لمدة اثني عشر عامًا، عاش هؤلاء الأطفال في أشرم فالميكي. كان هذا الأشرم واقعا على بعد مسافة قصيرة من عاصمة

مملكة رامأ أيوديا. لكن خلال هذه الاثني عشر عامًا، لم يقلق هذا "الأب والزوج المحب رامأ" بشأن ما إذا كانت زوجته سيتا حية أم ميتة؟

وبعد اثني عشر عامًا، التقى رامأ وسيتا بطريقة غريبة. قرر رامأ أداء "عبادة أشواميدا" ودعا جميع النساك للحضور والمشاركة في هذه المناسبة. ولكن بسبب ما، ربما يعرفه رامأ، لم يتم إرسال الدعوة إلى فالميكي. مع أنه لم يكن آشرم فالميكي بعيدًا عن العاصمة أيوديا. ذهب فالميكي طواعية إلى ذلك الاحتفال مع أطفال سيتا. وعرفَ الطفلين بقوله إنها كانا تلاميذه. وخلال أداء العبادة، اعتاد الأطفال على الوقوف في وسط الناس ويغنون رامايانا. ففرح رامأ جدًا وعندما علم أنها ابنا سيتا، سأل عن سيتا. ثم تذكر سيتا بعد أمد بعيد. ولكن ماذا فعل رام بعد ذلك؟ رامأ لم يرسل سيتا إليه. دعا هؤلاء الأطفال الأبرياء ومن خلاهم أخبر عن طريق فالميكي أنه إذا كانت سيتا نقية وتقية وبريئة، فعليها أن تظهر براءتها في تجمع مزدحم حتى تزيل البقعة السوداء التي لصقت بها وساءت من سمعتها وسمعة زوجها رامأ كذلك. مع أنها قامت به مرة في سريلانكا من خلال الاختبار بالنار. وكان من الممكن أن يطلب منها نفس الشيء قبل تركها في الغابة لوحدها وهي حامل. ولم يكن ضمان حتى بعد حضورها في الاختبار الناري لمرة ثانية أن رامأ سوف يبقيها في بيته ويسكنها مرة أخرى بعد ما فعل كل ذلك مع علمه ببراءتها التامة. وعلى كل فالميكي يحضرها أمام الجمع ويعرضها عليه. عندما تقف سيتا أمام رامأ، يخاطب فالميكي رامأ

نفسه - "يا ابن دشراتا! هذه سيتا التي تخليت عنها خوفا من الناس. الآن هذا، إن سمحت لها، فسوف تثبت براءتها وإخلاصها لك. هذان هما توأمتك اللذان رببتهما في كوخي أي أشرمي". قال راما: "أنا أعلم بأن سيتا بريئة وهؤلاء أولادي من دمي وصلبي كما أظهرت براءتها في سريلانكا لإثبات إخلاصها، كل شيء محفوظ في ذاكرتي، ولكن لا يزال في أذهان الناس هنا شكوك في هذا الخصوص، وهم يلومني بسبب إسكانها في بيتي وفي كنفني. فلتقم سيتا بمرور هذا الاختبار أمام هؤلاء الناس حتى يتمكن هؤلاء الحكماء والنسك وجميع الناس من رؤيتها".

على مرأى من الناس وأمام أعينهم قامت سيتا ويدها مرفوعة نحو السماء الزرقاء حلفت سيتا وقالت:

"لأنني لم أفكر في أي شخص آخر سوي راما (كزوجة وفيية)، يا أماه! أيتها الأرض! انشقي واعطيني حفرة."

"لأنني لطالما أحببت راما فقط بالفكر والكلام والعمل، يا أيتها الأرض، تفسحي وامنحني راحة أبدية."

بمجرد أن أقسمت سيتا هذا القسم، تنهدت الأم وبقيت سيتا جالسة على عرش ذهبي وبدأت الأرض تنشق إلى أن غابت عن أنظار الناس في حفرة الأرض!

أمطرت الآلهة بالزهور وظل الناس يشاهدون هذا المنظر الرهيب فاغرين  
أفواههم!

وإن دَلَّ هذا على شيء فإنما يدلُّ على أن سیتا اعتقدت أن الانتحار أفضل  
من العيش مع حيوان مثل راما.

هذه كانت مصيبة سیتا وتعاستها وهكذا كان سلوك اللورد راما وأخلاقه!

❁ **والآن دعني أن ألقى الضوء على شخصية راما كملك، ذاك راما الذي  
كان سلطانا!**

يقال إن راما ملك مثالي. لكن هل يصح قول ذلك، وهل له علاقة بأرض  
الواقع؟

الشيء الصحيح هو أن راما لم يحكم قط. وفقاً لفالميكى، كانت مسؤولية  
الحكومة بأكملها تقع على عاتق بهاراتا وهو أخ راما من الأب. وبالعكس أبقى  
راما نفسه بعيداً عن هموم الحكم ومتاعب القضاء بين الشعب. فقد تحدث  
فالميكى بالتفصيل عن حياته اليومية بعد اعتلاءه عرش الحكم ووفقاً  
للمعلومات الواردة في رامايانا فالميكى، قسم فالميكى روتينه اليومي إلى  
قسمين. صباحاً<sup>(١)</sup> ومساءً: ففي دوام الصباح حتى الظهر كانوا يمارسون العبادة

(١) . دوام الصباح كان يبدأ من منتصف الليل حتى قبيل الساعة الثانية عشرة ظهر أي منذ ١١:٥٩  
ليلاً حتى ١١:٥٩ ظهراً، ودوام الظهر منذ ١٢:٠٠ ظهرت حتى ١١:٥٠ ليلاً.

أو يؤدون الشعائر الدينية. واعتاد أن يقضي مساءه بالتناوب مع مهرجيه<sup>(١)</sup> في البلاط الملكي يومًا وفي اليوم التالي كان يقضي مساءه في حريمه مع النساء، وعندما سئم وشبع من الحريم يذهب إلى مجلس المهرجين وعندما يمل من المهرجين، يعود إلى الحريم ويتمتع بالنساء. وصف فالميكي أيضًا بالتفصيل كيف اعتاد راما قضاء وقته في حريمه. ووفقًا لفالميكي، كانت هناك أنواع مختلفة من المواد اللذيذة من الطعام بما فيه اللحوم والفواكه والخمور.

رام لم يكن يفكر عن الرعايا والشعب ولم يك تقيًا ولاورعًا، بل اعتاد على الإدمان وشرب الخمر بكثرة، ويقول فالميكي إنه كان حريصًا على أن تكون سيتا نديمته في مجلس الخمر. وهذا المجلس الذي ذكره فالميكي لم يكن مجلسًا تافهًا وعاديًا بل كانت يحضرها الراقصات والجواري والفتيات الجنيات والمغنيات، بالإضافة إلى نساء جميلات تم إحضارهن من ولايات أخرى. ومن بين هؤلاء النساء اللاتي يشربن ويرقصن، اعتاد رام على الجلوس في المجلس، كن يرضينه وهو يرضيهن ويلبسهن القلائد.

وقد أطلق فالميكي على راما لقب "أمير بين رجال النسوة". ولم تكن هذه عادة يوم واحد وإنما كانت هذه هي الحياة اليومية لراما.

كما سبق البيان أنه لم يهتم رام أبدًا بالأعمال العامة. فلم يقتد سنن ملوكه الهنود القدماء في الاستماع إلى شكاوى الناس لرد المظالم ثم القيام بالعدل

(١). أي البهلول

معهم، يذكر فالميكي مناسبة واحدة فقط عندما استمع راما شخصياً لمظالم رعاياه وحاول ردها. ولكن للأسف تبين أن تلك الفرصة كانت مؤلمة للغاية. تولى مسؤولية تصحيح الظلم على نفسه. لكن أثناء قيامه بذلك، ارتكب هو نفسه أكبر جريمة عُرفت في التاريخ. عُرفت هذه الحادثة بمقتل "شمبوك شودرا". يقول فالميكي إنه لم يمت أحد قبل ذاك الوقت في مملكة راما. ولكن حدث أن مات فتى براهمين قبل الأوان. وجاء الأب المظلوم إلى قصر الملك راما ومعه جثة ابنه ووضعها هناك وراح يبكي بصوت عال. وألقى باللوم على راما في وفاة ابنه وقال إن سبب وفاة ابنه يجب أن يكون بعض الخطيئة ارتكبت في حدود مملكة راما وإذا لم يعاقب الملك هذا الخاطيء، فسيكون الملك نفسه مذنباً. وفي النهاية، قال أيضاً إنه إذا لم يعيش ابنه مرة أخرى، فيقوم بالإضراب عن الطعام والشراب حتى يقضي على حياته. استشار راما أعضاء مجلسه الذي تم تكوين من ثمانية علماء. وكان من بينهم نارادا والعديد من الحكماء والنساک الآخرين. والذين أخبروا راما أنه في مكان ما في مملكتك شخص من طبقة شودرا مشغول بالرياضة والمجاهدة وبها يحاول القضاء على ديانتك البرهمنية، مع أن من واجب شودرا الوحيد أن يقوم بخدمتهم النساک من البراهمين. فاستيقن راما بأن ذاك الشودر قد خالف الديانة البرهمنية برياضته ومجاهدته، وعمله الخاطيء هو الذي أدى إلى قتل طفل براهمين بريء. فركب راما على طائرته المسماة بـ "بوشباك فيمانا" وجاب الأرياف بأكملها بحثاً عن الجاني. وأخيراً في أقصى الجنوب، في الغابة، رأى راما رجلاً من طبقة شودرا مشغول

بعبادته ورياضته فاقترب رام من الرجل وسأل سؤالاً مباشراً: "من هو؟ وماذا يفعل؟ أجاب الرجل أن اسمه شامبوك. إنه من طبقة شودرا المنبوذة، ومشغول في الاستغفار لأجل دخوله في الجنة! لم يسأله رام سؤالاً آخر كما لم يعطه أي تحذير أو انتباه مسبق أو ما شابه ذلك. بل أخرج سيفه وقطع رأسه للتو. فما كانت الفائدة في الاستفسار عن ذلك أو الاستماع إلى تبرير؟ وكان يكفي لقتله أن كان من طبقة شودرا يقوم بالعبادة والاستغفار لأجل الدخول في الجنة! ومما يدعو للدهشة أنه في تلك اللحظة بالذات في أيوديا النائية، بدأ صبي ذلك البراهمين يتنفس ونهض على قدميه وصار حياً. وهنا في تلك الغابة كانت الآلهة تمطر الزهور على رام. كان رام قد سد الطريق لطبقات شودرا المؤدية إلى الجنة من خلال عدم السماح له بالقيام بالتكفير عن الذنوب والاستغفار. كان شامبوك شودرا. لم يكن لديه حق لفعل ذلك. كما تمثل هؤلاء الآلهة أمام رام وهنأوا رام على فعلته تلك. ردًا على ذلك، ناشد رام تلك الآلهة أن الطفل البراهمين ينبغي أن يعيش ويستعد حياته! وأبلغت الآلهة رام أن الطفل البراهمين قد عاد إلى الحياة في نفس اللحظة التي قتل فيها رام شامبوك. ثم غادر الآلهة. وغادر رام أيضاً. وصلوا إلى كوخ الناسك أغاستيا والذي لم يكن بعيداً عن ذلك المكان، وشيد الناسك أغاستيا برام لقتله شامبوك وقدم لهشارة إلهية. ثم عاد رام إلى عاصمته.

هكذا كان رام!

## ❁ وآآن آن الأوان للحدیث عن كرشنا:

يمثل كرشنا الشخصية الرئيسية للمحمة المهاباراتا. والحقيقة التي لا يمكن جردها هي أن العلاقة الرئيسية لمهاباراتا هي مع كاورافاس وباندافاس، إنها قصة معركة دارت بين الأسرتين، خاضها الطرفان من أجل إمبراطورية يرى الكل منها استحقاقها أكثر من الآخر. فكان من الواجب أن يمثل الكاورافاس والباندافاس الشخصيات الرئيسية للمحمة، لكنهم لم يجدوا هذا المكان الرئيسي فيما بين الشخصيات السردية. بل احتل كرشنا مكانة الشخصية الرئيسية في هذه المحمة. وهذا شيء يثير الفضول في القصة لكن الأمر الأكثر غرابة هو أن كرشنا ربما لم يكن معاصرًا لكورافاس وباندافاس وبالرغم من ذلك هنا يبدو كرشنا صديقًا لباندافاس، الذين كان لديهم إمبراطوريتهم الخاصة. كان كرشنا عدوًا لـ "كانسا" وكان لـ كانسا أيضًا مملكته الخاصة. والشيء الثاني أنه لا يبدو ممكنا في الوقت نفسه أن تكون مملكتان قريبتان من بعضهما البعض! ولا يوجد شيء مثل هذا في المهاباراتا تدل على تواجد مملكتين على قرب بعضها من البعض، مما يثبت وجود علاقة متبادلة بين المملكتين. يبدو أن قد تم خلط القصتين أي قصة كرشنا مع قصة الباندافاس كي تستقطب قصة كرشنا التفاتا أكثر وتحتل مكانة الصدارة، ومن الغريب أن الكاتب للقصتين هو شخص واحد يسمى بـ "فياس" حتى استطاع خلط الحابل بالنابل وليجعل كرشنا ناجحًا أكثر مرتبعا فوق كل شيء.

لقد جعل "فياس" من كريشنا "ربًا" فيما بين الرجال. هذا هو السبب الذي جعله شخصية رئيسية لماهاهاراتا. هل يستحق كريشنا حقًا أن يُنظر إليه على أنه "الرب" بين الناس؟ إن وصفا موجزا لحياة كريشنا سيعطي الإجابة الصحيحة على هذا السؤال.

ولد كريشنا في مدينة "ماثورا" في منتصف الليل من اليوم الثامن من شهر بهادر. كان والده فاسوديف من نسل ياداف. كانت ديفاكي، ابنة ديفاك، أم كريشنا. كان ديفاك شقيق الملك أوجراسين من مدينة ماثورا. وكانت لزوجته أوجراسين علاقة غير شرعية مع الملك الشيطاني "دورميل" لمملكة "سابهافا". ولد كانسا نتيجة هذه العلاقة غير الشرعية. وبه يصبح كانسا ابن عم لـ ديفاكي. قام كانسا باعتقال أوجراسين واستولى على عرش مملكة ماثورا قسرًا وبوحي من السماء أو من نارادا قام كانسا بقتل ديفاكي وأطفالها الستة، واحدًا تلو الآخر، وقد سبق له أن سمع بعض التنبؤات أن الطفل الثامن لديفاكي سيتقضي عليه وعلى مملكته. انتقل الجنين للطفل السابع المسمى "بلراما" من رحم ديفاكي إلى رحم زوجة فاسوديفا الثانية بطريقة مفاجئة. وعندما ولد الطفل الثامن كريشنا، أخفاه والده وأخذه إلى الضفة الأخرى من نهر يمنا. في ذلك الوقت كان يعيش هناك ناندا وزوجته يشودا، من سكان براج. وقد أعطاهما نهر يامونا طريقًا للعبور. وقدم الثعبان العملاق "آننت" حماية للطفل كريشنا بغطاء رأسه العظيم عندما كانت السماء تمطر بغزارة. وكان هذا مقدرًا

بالفعل من قبل. وتبادل فاسوديفا ابنه مع ابنة ناندا. وجاء فاسوديف بها إلى كانسا وأظهر له أن هذا هو طفله الثامن (وهي الأنثى)، غير أنها توفيت لكنها بوحت السر وهي في طريقها إلى السماء بأن الطفل في كنف الأب ناندا والأم يشودا، اللذان يرعاه، سيقوم بقتل كانسا. نتيجة لذلك، حاول كانسا اغتيال ذاك الطفل غير مرة وتم إجراء العديد من المحاولات الفاشلة لقتله. ولأجل الاغتيال، أرسل كانسا أشكالا مختلفة من المقاتلين الوحوش إلى براج. والقضاء على هولاء الشياطين والقيام بالعديد من الأعمال البطولية - التي يستحيل على طفل عادي القيام بها - هي المكونات الرئيسية لحياة كريشنا المبكرة. تم ذكر بعض هذه المآثر أيضًا في ملحمة المهاباراتا، وكما هو متوقع، يختلف معظم العلماء اختلافًا كبيرًا في وصف هذه الأحداث. أستشهد هنا بحادثتين أو أربعة حوادث فقط على النحو التالي:

أول حادث أو من إحدى الحوادث الأولى هو مذبحه "بوتنا". كانت قابلة كانسا وتم إرسالها لقتل كريشنا بصفتها نسرًا وفقًا لـ هريفامسا بورانا وكامرأة جميلة وفقًا لـ بهاغافاد، وعندما وضعت ثديها المسموم في فم كريشنا بحجة إرضاعه، امتص الطفل كريشنا ثديها بقوة لدرجة أنه امتص معه كل دمها. فصرخت وسقطت ثم ماتت.

قام كريشنا بمعجزة أخرى عندما كان ابن ثلاث سنوات فقط، تتمثل في تحطيم عربة، تستخدم كخزانة، وفيها تم تحميل العديد من الأوعية المليئة

بالحليب والخثارة. وفقاً لـ هريفامسا بورانا أنه كان شيطان مبعوث من قبل كانسا مختبئاً في تلك العربة اسمه شكاتا، وكانت خطته هي سحق وقتل كريشنا تحت وطأة تلك العربة. على أي حال، مرة ذهب يشودا للاستحمام في نهر يمونا بنفسها، وتركت بالاكريشنا تلعب تحت العربة. عند عودته قيل له إن الطفل كريشنا دمر العربة وكل الأشياء المحفوظة فيها. لقد فوجئت يشودا بهذا الحادث بشكل كبير وأصيبت بالخوف. ومن أجل تجنب أي عواقب وخيمة من كل هذا، قامت بصلوات كثيرة.

عندما فشلت محاولات اغتيال كريشنا عبر بوتنا وشكاتا، أرسل كانسا مقاتلاً آخر، والذي كان أيضاً جاسوس كانسا، واسمه تريفارتا، لقتل كريشنا. جاء في شكل طائر ليحمل الطفل الإلهي معه، وكان كريشنا آنذاك الوقت بلغ من عمره سنة واحدة فقط، ولكن في وقت من الأوقات سقط الطائر جثة هامدة على الأرض. تم سحق حلقه من قبل كريشنا.

كانت المعجزة التالية هي اقتلاع شجرتي أرجونا، وهما شجرتان تنموان في مكان قريب. يقال عنهما أنها كانا جثتي لقوى ساحرة، اللذين أصبحا على هذا الشكل نتيجة لعنة. لقد تحررا من هذه المعجزة التي قام بها كريشنا في مدة رضاعته عندما تعلم كريشنا للتو الزحف على ركبتيه وبدأ يقوم ببعض حركاته الطفولية، أخذت الأم ياشودا حبلاً وربطت به كريشنا مع مِلاط خشبي وخرجت للقيام بالأعمال المنزلية بنفسها. عندما أصبحت بعيدة عن الأنظار بدأ

كريشنا يجر الملاط وظل يجره حتى وذهب به وعلقه بين الشجرتين. وبسبب سحب هذا الحمل، اقتلع كلتا الشجرتين من الجذر وسقطت كلتا الشجرتين على الأرض مع ضوضاء عالية ولم يصب الطفل كريشنا بأذى على الإطلاق.

شعر ناندا بالرعب من هذه الأحداث. وبدأ يفكر في مغادرة "براج" وأن يستقر في مكان آمن آخر. وبينما كان يفكر في مكان آمن إذ جاء حشد من الذئاب هناك وشكّل خطراً على الحيوانات والناس هناك. أدى هذا إلى استقرار أفكار ناندا لأجل المغادرة والرحال فأخذ جميع ممتلكاته، وتركت عائلة ناندا براج وذهبت إلى غابة فريندا. وكان كريشنا يبلغ من العمر سبع سنوات فقط آنذاك الوقت.

بعد مجيئه إلى هذا المكان الجديد والبدء في العيش، قتل كريشنا العديد من الشياطين والأبالسة. كان أحدهم أريشتا الذي جاء في شكل ثور. والآخر هو "كازين" الذي جاء في شكل حصان. الخمسة الآخرون هم براجاسور، باكاسورا، أدهاسور، بهاوماسور وسنكاسور. والآخر منهم كان ياكشا. الأكثر إثارة للقلق على الإطلاق كان كالي، زعيم الأفاعي. عاشت عائلة الأفعى في دوامة نهر يامونا<sup>(١)</sup> وقامت بتسميم كل المياه. وذات يوم، صعد كريشنا على رأس الأفعى "كالي" ورقص بشدة لدرجة أن خرج الدم من فم "كالي". وكاد

(١) . نهر يامونا أو جمونا هو ثاني أكبر روافد نهر الغانج وأطول رافد في الهند

يقتله كريشنا، لكنه نجا بعد العديد من المرافعات من قبل زوجة كالي، فخلى كريشنا سبيله ليذهب إلى قاع المياه للعيش هناك.

بعد التخلي عن بلاء "كالي" تأتي قصة خطف ملابس الفتيات التي خلعن ملابسهن وتركهن في جذور شجرة على مقربة من نهر يامونا. وهذا الحادث غير مريح تمامًا لمحبي كريشنا والكهنة الذين يعبدونه، وأن الحكاية بأكملها مبتذلة وخليعة لدرجة أنه من الصعب جدًا استيعابها بشكلها الأصلي. ولكن لأجل تقديم السيرة الذاتية الموجزة لكريشنا بشكل كامل، سوف أناقشها مستخدمًا أكبر عدد ممكن من الكلمات المناسبة حتى المستطاع.

وذات مرة خلعت بعض الفتيات من طبقة رعاة البقر<sup>(١)</sup> ملابسهن على شاطئ يامونا وذهبن للاستحمام في مياه يامونا - ولا تزال هذه العادة باقية في بعض أنحاء البلاد<sup>(٢)</sup> - فالتقط كريشنا ملابسهن وأخذها وجلس على شجرة على ضفة النهر. وعندما أوردن استعادة الملابس، رفض كريشنا إعطائها، ومقابل إعطائها طالب من كل فتاة أن تأتي عنده تحت الشجرة وتحصل على ملابسها فرادى فرادى! لكن ما كان بوسعها فعل ذلك بدون الخروج من الماء عارية وتقديم نفسها عارية لكريشنا. وعندما فعلت كل واحدة منهن فرح كريشنا كثيرًا وأعاد ملابسهن. وردت هذه القصة في بهاغافاد جيتا.

(١). يطلق عليهن كلمة "غوي".

(٢). خاصة في مدينة بنارس ودلهي وماثورا وإله آباد والمناطق الواقعة على ضفاف الأنهار المقدسة مثل الغانج ويامونا.

بعد ذلك، تتجلى كرامة كريشنا في رفع جبل جوفاردان. في حين كان رعاة البقر يستعدون لاحتفالاتهم السنوية لإندرا<sup>(١)</sup> أتاهم كريشنا وقال لهم: بما أنهم ليسوا بمزارعين وإنما ينتمون إلى طبقة بدوية، وبالتالي فإن ثروتهم الحقيقية هي الحيوانات والجبال والغابات، يجب أن يعبدوها وليس الآلهة مثل إندرا المسئول بإنزال المطر. وعندما عرفوا تخلوا عن الاستعداد لعبادة إندرا، وبدأوا الاستعدادات لعبادة جبل جوفاردان، إذ كان جوفاردان حامي ماشيتهم وحيواناتهم. وكان من الطبيعي لإندرا أن يغضب، والذي كان يعترف بعبادة رعاة البقر إياه. فبدأ يمطر باستمرار ليل نهار لمدة سبعة أيام لمعاقة رعاة البقر. لكن لم يفقد كريشنا شجاعته. واقتلع جبل جوفاردان من جذوره واحتفظ به كمظلة لمدة سبعة أيام متتالية. وهكذا وفر كريشنا الحماية للرعاة وماشيتهم. وقد سبق البيان بالفعل عن الغيرة بين الآلهة إندرا وكريشنا من ريغفيدا والغيرة بين إمدرا وفيشنو من ساباتا برهمانا.

إن شباب كريشنا مليء بحوادث العلاقات غير الشرعية مع فتيات فريندافان. ويطلق عليها "راس - ليلا" لـ كريشنا. "الراس" هو نوع من رقصات دائرية، حيث تلتقي أيدي الرجل والمرأة ببعضها مع البعض أثناء الرقص. ولا يزال هذا النوع من الرقصات سائدًا فيما بين قاطني الغابات في بلادنا. يقال إن كريشنا كان يحب "راس ليلا" كثيرًا. وكان يرقص مع فتيات رعاة البقرة في جبل جوفاردان،

(١). وهو إله المطر والسحاب.

وكنّ يجيبن كريشنا كثيراً. وقد ورد وصف مفصل لإحدى هذه الرقصات في يشنو بورانا وهاريهامسا وبهاغافاد. ويرى كل المسؤولون حب كريشنا مع فتيات رعاة البقر بنظر الإجلال والتقدير والبراءة؛ هذا الحب مسموح بالنسبة لكريشنا ويتم استقباله بالرحب والسعة، وإن قام أحد غيره بممارسة نفس العلاقات فيكون هذا خطأ لا يغتفر، ولا يتحملة أحد ولا يسمح له أن يفعل ذلك! يا للعجب! غير أنه هناك جوانب سوداء من علاقات كريشنا مع تلك الفتيات ولا يمكن جحودها، فيما يتعلق بوقت ممارسة تلك العلاقات غير الشرعية، وفيما يتعلق بأمر جذب النساء بالموسيقى الرخية، وأمر الرقصات، ومسألة شهوانية تلك الفتيات تجاه كريشنا - فالجميع يتفق وتجتمع رأيهم على صحتها. غير أنه عندما يتحدث "فيشنو بورانا" عن هذه الحكايات فإنه لا يلمس حدود الفحش في السرد، في حين يتخذ صاحب "هريفانسا" خطواته نحو الفحش بالتعبير عن الواقع، وأما صاحب كتاب بهاغافاد فإنه يضرب كل الكرامة بالحائط ويسرد الحكاية في قلبه الأصيل، بل يباشر السرد كما هو مهما يكون الموقف من الفحش والخلاعة والمجون.

ومما ينتقد عليه كريشنا بشدة في ممارسة علاقاته غير الشرعية هي علاقته مع الفتاة غوبي المسماة بـ "رادها". وقد كشف صاحب "برهما فيفارتا بورانا" عن شخصية كريشنا المليئة بالجنس والشهوات الجنسية، مع أن كريشنا لم يكن أعزب، وإنما كان متزوجاً بالفعل من ابنة الملك روكانجاد (١)، وأما رادها

(١) . لم يذكر الكاتب اسم الزوجة، لكنها كانت أميرة من ابنة الملك روكانجاد، غير أنه يذكرها

فهي أيضا متزوجة مع...<sup>(١)</sup>، ويتخلى كريشنا عن زوجته ركماني المتزوجة شرعياً ويعيش كزوج وزوجة مع خليلته رادها، وهي زوجة رجل آخر. لا يذكر لنا المصادر شيئاً يشير إلى أنه ندم كريشنا على فعلته هذه قط.

قيل لنا أنه منذ أن كان كريشنا يبلغ من عمره اثني عشر عاماً فقط، لم يكن محارباً فحسب، بل كان سياسياً محنكا أيضاً. سواء كان محارباً أو سياسياً، فإن كل عمل قام به يدل على انهياره الخلقى. كان أول عمل كريشنا في هذا المجال هو قتل عمه كانسا. كلمة "القتل" ليست استخداماً قاسياً بشكل خاص. صحيح أن كانسا قد استغزه، لكنه لم يُقتل كانسا في أي حرب أو معركة ولا في مبارزة شخصية. تحكي القصة أن كانسا كان خائفاً بعد سماعه عن مآثر اللورد كريشنا من شبابه قرر أنه سيقوم بالتخلص عن كريشنا بقتله بواسطة أحد مصارعيه من خلال حمله على التنافس معهم. وفقاً لذلك، أعلن عن "تضحية القوس" ودعا كريشنا وبالاراما وأصدقائه الآخرين من رعاة البقر. وقد أرسل كانسا إلى كريشنا رجلاً من حاشيته لكنه كان من أتباع كريشنا مع أنه كان مسؤولاً حكومياً في محكمة كانسا - لإحضارهما إلى مدينة ماثورا عاصمة كانسا، والذي كان هناك منذ مدة للانتقام من كانسا وب- بنية حازمة لقتله. (لكن كانسا لم يكن على علم به)، فلم يستغزه كانسا فحسب، بل استغز رجال

بعد سطور بأنها كانت "روكماني".

(١). لم يذكر الكاتب اسم زوجة رادها.

يادافاس الآخرين أيضا الذين قد اضطروا مغادرة ماثورا من قبل بسبب اضطهاد كانسا فقام رسول كانسا نفسه بتدبير مؤامرة ضده وقرر مساعدة الأخوين أي كريشنا وبلراما، ولدى وصول الأخوين إلى مدينة ماثورا قررا ارتداء نوع من الملابس الأخرى بدلاً من زي الرعاة. وطلب الملابس من الغسال الملكي، والتي حصل عليها من السوق بدهاءٍ ومكرٍ حيث قتل الغسال المسكين وارتدا ما شاءا من الملابس الموجودة لديه. ثم التقيا بكوبجا، والتي كانت حذباء، ولكن في نفس الوقت، لكنها كانت توفر الأزاهير والعطور لـ كانسا، وبناءً على طلب الأخوين طبقت كوبجا عليهما معجوناً من خشب الصندل لإخفاء الهوية، وبسبب مساعدتها لهما أزال كريشنا حذبها ووفقاً لـ بهاغافاد التقى كريشنا بها لاحقاً وأقام علاقة جنسية معها فيما بعد. كتب بهاغافاد كل شيء بوضوح. وعلى كل، وصل الأخوان - معطرين بالمواد العطرية التي صنعتها كوبجا وواضعين الأكاليل التي حصل عليها من بائع الزهور سوداما - إلى مكان الياغيه (أي التضحية) وكسر القوس المقرر كسره من أجل مراسم الياغيه. أرسل كانسا الخائف فيلاً عملاقاً اسمه كوبلابيدا للتخلص من بلاء الأخوين والقضاء عليهما غير أن كريشنا قام بقتل الفيل ودخل في خيمة الياغيه. هناك التقى الشقيقان وجهاً لوجه مع المصارعين المختارين من قبل كانسا. أسماهم هي تشانور وماشتيك وتوشالاك وواندرا. قتل كريشنا تشانور وتوشالاك في حين قضى بلراما البقية من المصارعين. عندما أصيب كانسا بالإحباط بفشل الخطة لقتل الأخوين، أمر كانسا بترحيل

الأخوين وأصدقائهم وطردهم من الإمبراطورية. كما أمر بمصادرة جميع حيواناتهم وقتل فاسوديفا وناندا ووالده أوجراسين. ثم تسلق كريشنا المنصة التي كان يجلس عليها كانسا، ثم قفز عليه وأمسكه من شعره، وألقاه على الأرض وقتله فوراً. ولأجل مواساة إخوة كانسا الباكين، أمر بجنائزته على المستوى الملكي لا يليق بكانسا الملك. وتسلم أوجراسن مقاليد الحكم على المملكة لـ كريشنا غير أنه لم يجلس كريشنا على العرش بل أجلسه هو ودعا أقاربه الذين أنفاهم كانسا من قبل وطلب منهم العودة إلى ماثورا.

والمؤامرة التالية هي حرب كريشنا مع إمبراطور ماغادا "جاراساندا" و"كاليافان". كان جارساندا من صهر كانسا أي زوج ابنته. يقال إن جاراساندا هاجم مدينة ماثورا بعد احتلال كريشنا عليها سبع عشرة مرة ولكنه انهزم في كل هجوم يقوم به، لكن خوفاً من أن يتسبب الهجوم الثامن عشر تضرراً للمدينة ويؤدي إلى تدميرها، طلب كريشنا من يادافاس الانتقال إلى مدينة دواركا الواقعة على الساحل الغربي لشبه جزيرة غجرات. بعد مغادرة يادافاس من مدينة ماثورا، بناء على اقتراح جاراساندا، حاصر كاليافان المدينة من كل حذب وصوب. بينما كان كريشنا بدون السلاح مطارداً خارج المدينة، تم إحراق المعتدي كاليافان وتحوله إلى رماد بنيران منبعثة من عين الملك موشكوندا، والذي كان نائماً في كهف أحد الجبال واعتقد كاليافان بأنه كريشنا فأيقظه بركله فغضب موشكوندا وأحرقته شعلة منبعثة من عيونه. وبقي

الجيش بلا قائد فهزمه كريشنا، وعندما كان كريشنا ذاهبًا إلى دواركا ومعه أموال الغنيمة بلغه جاراساندا وطارده لكنه أخذ الحماية من العدو بتسلقه فوق تل ثم قفز منه لاحقًا إلى الأسفل ليصل من هناك إلى دواركا.

والآن تم زواج كريشنا للمرة الأولى حيث تزوج من روكماني ابنة الملك فيدارباها بهشمك والذي كان يرغب في زواج ابنتها من شيشوبالا، أحد أقارب كريشنا وملك تشيدي بالتشاور مع جاراساندا. ولكن قبل يوم واحد من الزفاف، هرب كريشنا مع روكماني. يقول بهاغافاد: إن روكماني وقعت في الحب مع كريشنا، وأنها كتبت رسالة حب إليه، لكنه لا يبدو أن يكون صحيحًا. حيث لم يبق كريشنا صادقًا في حبه ووفيا لـ روكماني وإخلاصه لها، فقد بدأ يزداد عدد أزواج كريشنا تدريجيًا إلى أن وصلن إلى ١٦١٠٨ (ستة عشر ألفًا ومائة وثمانية) واللواتي أنجبن أولادًا كثيرًا حيث يصل عددهم إلى ٨١٠٠٠ (واحد وثمانين ألفًا). وكانت من بين أشهر زوجاته ثمانية، أسماؤهن كالتالي:

- (١) روكماني (٢) ساتياباما (٣) جامبافاتي (٤) كاليندي (٥) ميترابيندا
- (٦) ساتيا (٧) بادرا (٨) لاكشمانا.

وقد عقد كريشنا قرانه مع زوجاته الأخرى البالغة عددهن ١٦١٠٠ (ستة عشر ألفًا ومائة) ملكة في يوم واحد. وهؤلاء النسوة أي (١٦١٠٠) أصلا كنّ في حريم ناريش ملك البراغيويتيش. وبدعوة من إندرا، هزمه كريشنا وقتله. لأن ناريش سرق أقراط والده إندرا وهرب بها. وبعد الحرب، عندما وصل

كريشنا إلى منزل إندرا مع زوجته ساتياباما، راقته لها شجرة باريجاتا الشهيرة في قصر إندرا. ولأجل إرضاء زوجته اضطر كريشنا أن يخوض الحرب مع الإله الذي أسعده بالحرب ضد عدوه السارق "ناريش" وعلى الرغم من أن إندرا كان رئيس الآلهة وبالرغم من أن كريشنا قد أسعده في قبيل ساعات، إلا أنه لم يكن يضاهي كريشنا و "تجسد الأب الأسمى" فاضطر إندرا على فقد شجرته المفضلة باريجاتا. وتم إحضار هذه الشجرة من ناندانغان وغرست في مدينة دواركا. قصة كيفية حصول كريشنا على أزواجه الثمانية مثيرة جداً للفضول. وقد سبق الحديث عن الحصول على زوجته الأولى روكماني. وأما "ساتياباما" فكانت ابنة ساتراجيت. كان يادافا بارزا. لقد سلم ابنته إلى كريشنا لأنه كان خائفاً من كريشنا وبتنغي أن يتفضل كريشنا عليه. وزوجته الثالثة هي جامبافاتي وهي ابنة رجل بارز يدعى جامبافان فقد خاض كريشنا معركة طويلة ضده، والذي أخذ الماسة ثمينةً من يادافا وحاول كريشنا استردادها من خلال الحرب فهُزم جامبافان وسلم ابنته إلى كريشنا كعرض سلام. وأما "كاليندي" فقد قامت برياضة ومجاهدة كبرى لأجل الحصول على كريشنا كزوج لها، فاستجيب دعواتها. وكانت "ميترايندا" ابنة أخت كريشنا وقد قام كريشنا بتهريبها من خيمة "سوايامفارا" حيث يتم اختيار الزوج عن طريق التنافس بكسر القوس. وكانت "ساتيا" ابنة نججيت، ملك أيوديا. عندما قتل كريشنا ذاك الملك حصل على ساتيا كغنيمة الحرب. وأما "بادرا" فكانت هي ابنة أخت كريشنا الثانية وتزوج بها وفقاً للمراسيم السائدة في المجتمع، في حين

كانت "لاكشمانا" ابنة ملك بهادرا بريهااتسن والتي قام بتهريبها كريشنا من خيمة "سوايامفار".

كان أرجونا متزوجًا من سوبادرا، وهي شقيقة بلراما وأيضًا أخت كريشنا من الأب. من الجدير بالذكر أن كريشنا كان سببًا رئيسيًا في هذا الزواج، إذ هو الذي أُرشد إلى أرجوانا تلك الحيلة التي تمكن بها أرجونا الحصول على سوبادرا، ففي أثناء تجواله وصل أرجونا إلى مكان "زيارة مقدسة" تسمى "براباس". هناك رحب به كريشنا على جبل ريفاتكا، حيث أصبح أرجونا أسيرًا لحب سوبادرا وافتتن بحبها، وتشاور مع كريشنا بأنه كيف يمكنه الحصول على سوبادرا؟ فنصحه كريشنا بأن يقوم بتهريبها مثل كشاتري (محارب) شجاع. لا ينبغي أن يقع في مراسيم سوايامفارا وما شابهها ذلك. فقام بتهريبها بالفعل وتزوج بها، وكانت عائلة يادافا غاضبة جدًا في البداية من هذا الزواج، ولكن عندما أوضح لهم كريشنا أن أرجونا ستثبت أنها زوج جدير لسوبادرا وأنه لم يقم بتهريبها بأي عمل خاطئ وغير مناسب لرجل شجاع، ففرضوا بذلك الزواج. وماذا يمكن للهؤلاء المساكين أن يفعلوا بعد أن حصل ما حصل؟ وبالتالي لم يؤيد كريشنا فعلته هذه باقتراحه المعسول مثلنا وإنما مهد له الطريق بعمله كقدوة له، حيث قام بتهريب العديد من الفتيات ثم التزوج بهن لاحقًا دون الحضور في مراسيم سوايامفارا، كما سبقت الإشارة إليها آنفاً فيما أعلاه.

ولا يخلو من المتعة التعرف على كيفية تعامل كريشنا مع من تسببوا الإزعاج في مراسيم التتويج الإمبراطوري (راجيه سوى ياغيه) للملك يوديشتارا، من أمثال جاراساندا وشيشوبالا، اللذين تسببا الإزعاج في هذه المراسيم حيث قام جاراساندا بسجن العديد من الملوك وحاول قربانهم لرودرا، وما كان بوسع يودشتارا أن يعلن عن استقلال ملكه بدون القضاء على جاراساندا وتحرير الرهائن من قبضته، ففي هذه الأوضاع وصل كريشنا برفقة بيما وأرجونا إلى عاصمة جاراساندا "راج-غره" (أي قصر الإمارة)، ولدى وصوله هناك، بارز للقتال جاراساندا، وناداه للمصارعة. وقال: يمكنك المبارزة والقتال مع أي واحد منا أي نحن الثلاثة. ولم يكن بوسع لأي محارب كتشارتي أن يرفض مثل هذه المبارزة. واستيقن جاراساندا بأنه سوف يموت على يد خصمه المبارز، ومن ثم استخلف ابنه "شهديفا" على الحكم، واختار بيما في المبارزة، واستمرت هذه الحرب الفردية لمدة ثلاثة عشر يوماً، وفي النهاية، قضى عليه بيما وقتله. وبعد أن جعل كريشنا شهديفا يعتلي العرش ودعوة الملوك الذين فك رقابهم عن السجن للمشاركة في مراسيم التتويج الإمبراطوري (راجيه-سوى ياغيه) - عاد إلى إندرابريستا برفقة أصحابه.

بطء حان وقت مراسم التتويج الإمبراطوري، فقد وزعت المهام والمسئوليات فيما بين الرجال العديدين وتولى أشخاص بواجبات ومسئوليات مختلفة لإدارة البلاد المستقلة، وقد ورد عن كريشنا أنه تولى بمهمة غسل أقدام

البراهمين. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أنه إن لم تكن ملحمة "المهاباراتا" فإن هذه الحكاية على الأقل حديثة للغاية، أي تم اختلاقها مؤخرًا، لأنه في البداية في العصور القديمة لم ينحط المحاربون (التشاريون) إلى درجة أن يغسلوا أقدام البراهمين ويخضعوا لهذه العبودية المهانة! على كل، عندما انتهت المراسيم، حان وقت التكريم وتقديم القرابين للملوك المجتمعين والكهنة وغيرهم من الأشخاص الموقرين الذين ساهموا في إنشاء هذه البلاد. ونشأ هناك سؤال، بأنه من هو الرجل الأول يجب أن يظهر له الكبرياء أولاً؟ عندما أراد يوديشتارا أن يعرف رأي بيما بهذا الشأن، فأجاب بيما: إنه يجب أن يتم تكريم كريشنا أولاً! وبناءً على رأيه ووفقًا لأمر الإمبراطور يوديشتارا قام شهديفا بتسليم الماء المقدس لـ كريشنا، أي أنه خضع لعبودية كريشنا. وعندما رأى شيشو بالا هذا التكريم بحق كريشنا اكتظ بالغضب، وألقى خطابًا طويلًا، وسبّ البانادافاس على تكريمهم "كريشنا" واعتزازهم به، كما ألقى باللوم على كريشنا في سبب قبوله لهذا التكريم والخطاب الأسمى. وفي الرد على شيشو بالا قام بيما بإلقاء خطابه الطويل ليناقد مآثر كريشنا بكل بسط وتفصيل، وأخبر الجمع بأن كريشنا هو الإله الحقيقي. فقام شيشو بالا مرة أخرى ودحض بشدة حجج بيما وسبّ جيدًا.

يقول الكتاب الذين كتبوا تراجم كريشنا، إنه لا يوجد ذكر العلاقات غير الشرعية التي مارسها كريشنا مع فتيات رعاة البقر من بين عيوبه التي عدّها

شيشوبالا أمام الجمع، وبه يُستنتج بأنه لم يتم اختراع هذه الشخصية المفتونة بالخلاعة والمجون حتى وقت كتابة الملحمة "المهاباراتا"، ويبدو أن كريشنا العاشق الأسطوري تم اختلاقه لاحقاً.

وعلى كل، في النهاية عندما أحسّ بيشما، أن لا يقوم شيشو بال ورفقاؤه بتعطيل المناسبة التي عقدها يوديشتارا، فخطر بباله خطة ماكرة، فقال: من يجد نفسه مستعدة للموت، فليبارز اللورد كريشنا للقتال! وبسماح دعوة المبارزة قام شيشوبالا وبدأ يسبّ كريشنا ويشتمه من جديد قبل أن يقوم كريشنا لقبول المبارزة. فقال كريشنا: إنه سامح عن مائة جريمة ارتكبتها شيشو بالا بشفاعة من عمتي، لكنني الآن لم أسامحه، سوف أقتله أمامكم وأفصل رأسه عن جسده، فأدار كريشنا تشاكره وقطع رأسه لتوه.

والآن، تعالوا لنرى ماذا فعل كريشنا خلال حرب "المهاباراتا" والتي يؤخذ عليه بسببها، ومن أفعاله الشنيعة ما يلي:

١. عندما ضيق "بوريشروا" ابن "سومادت" الخناق على صديق كريشنا "ساتياكي" فجشع كريشنا الملك أرجونا أن يقوم بقطع يد بوريشروا مما سهل قتل بوريشروا لصديقه ساتياكي.

٢. عندما حاصر "أبهيمانيو" وحدّه سبعة من محاربي كوروفا، وقضوا عليه، وتعهد أرجونا بقتل زعيمهم جايداراتا قبل غروب الشمس وحلف بأنه إذا لم يستطع فعل ذلك قبل مغيب الشمس، سوف يموت بإحراق نفسه. وفي حين

كانت الشمس تؤذن بالمغيب، وما زال جايداتا على قيد الحياة، أخفى كريشنا الشمس لفترة من الوقت بقدرته الخارقة. وعندئذ خرج جايداتا إلى الخارج وهو يظن أن الشمس قد غابت ولا يستطيع أرجونا بقتله الآن، وسوف ينتحر، فأظهر كريشنا الشمس واستطاع أرجونا قتل جاداتا في حين غفلة منها بهذه الطريقة.

٣. وعندما خاب الأمل لقتل "درونا" بالوسائل المشروعة، اقترح كريشنا على الباندا فاس أنه يجب قتل درونا في كل حال وكيفما أمكنهم ذلك. وأضاف أنه إن تم إخلاع درونا عن أسلحته بطريقة ما فإنه سيقتل بسهولة، وكان من الممكن أن يحدث هذا لو تم إبلاغه بوفاة ابنه "أشواتاما". وعمل بيما على اقتراح كريشنا ذلك، فقام بقتل فيل اسمه "أشواتاما" باسم ابن درونا "أشواتاما"، وأبلغ الخبر إلى درونا بأن أشواتاما قد مات، وظن الآخر بأن ابنه "أشواتاما" مات، فأصيب بالإحباط قليلاً، لكنه لم يصدق ذلك تماماً. في هذه المناسبة، أصر العديد من الحكماء والنسك عليه أن يتوقف عن القتال ويقوم بالاستعداد لذهابه إلى الجنة من خلال ممارسة اليوجا التي تليق بالبراهمين، والذي أدى إلى إحباط أكثر لمحارب ذي حماسة أكبر، فنظر إلى يوديشثارا الصديق لأجل التصديق، والتأكد من صحة الخبر بخصوص موت ابنه، والذي تردد في الكذب عليه، وعندما لاحظ كريشنا ترده في الكذب قام بإلقاء خطبة طويلة يدعم فيها نظريته عن الكذب بكلمات رائعة على النحو التالي:

"في الزواج، وفي علاقة الحب، وعندما تكون الحياة في خطر، وإن يتم تدمير كل ثروة الرجل وعندما تتضرر أنانية البراهمين.. ففي هذه المواقف الخمسة يسمح للمرء أن يحدث بكذب..". وبسبب تلقين كريشنا خفت حدة قول الصدق داخل يوديشترا... فقال: نعم، لقد مات أشواتاما، ثم قال بخفي: "لكنني لا أعرف هل مات الرجل أشواتاما، أم الفيل أشواتاما هو المقتول"، وأخفا قوله الأخير إلى حد لم يصل إلى أذني درونا، وبعد سماع هذه الكلمات اللاذعة من بيما أحبط وجلس يتأمل، وعلى هذا النحو سنحت فرصة لقتله على حين غفلة منه، فقتله دريشتيما.

٤. في الوقت الذي كانت تدور رحى الحرب بين "بيما" و"دروبودانا" على ضفة نهر "دفيينا" وتذهب كل مساعي بيما سدىً لقتل دروبودانا! وفذكره كريشنا بواسطة أرجونا أن بيما كان تعهد أن يضرب فخذ خصمه، وأنه لا يضرب في ذلك الموضع من ثم لا يحرز أي نجاح في الحرب، مع أن ضرب العدو تحت السرة لم يكن مشروعاً آنذاك الوقت، لكن بما أنه لم يكن من الممكن قتل دروبودانا دون اللجوء إلى هذا النوع من الفجور، نصحه كريشنا فعل ذلك المكروه، وقام الأخير بفعله وبه استطاع قتله.

يلقي حتف كريشنا الكثير من الضوء على أخلاقه. وقد مات كملك الملوك لـ "دواركا". أي نوع من المدينة كانت هذه دواركا وأي نوع من الموت كان يتربص به هناك؟

ولدى إنشاء مدينة دواركا حرص كريشنا على توطين الآلاف من النساء "التعساء" في تلك المستوطنة. وقد جاء في كتاب "هاريفانشا بورانا": "يا بطلي! بعد السيطرة على بيوت الأبالسة بفضل اليادافاس الشجعان، قام الإله (كريشنا) بتوطين الآلاف من التعساء وجعلهن يقرن في مدينة دواركا". كانت مدينة دواركا مليئة بالرقصات والأغاني التي يقوم بها الرجال والنساء المتزوجات والعاهرات. وتسمح لنا فرصة قراءة لرحلة بحرية حيث كانت فيها النساء العاهرات مصدرًا رئيسيًا للترفيه والمتعة. وبالتحمس لرقصهن وغنائهن، بدأ كريشنا وأخوه بلراما أيضًا بالرقص والتغني مع زوجاتهما. وتبعهما رؤساء يادافاس الآخرون، وكذلك أرجونا ونارادا. ثم كان هناك بحث عن مزيد من الإثارة والمتع. فدخل الرجال والنساء جميعًا في البحر معًا وبناءً على اقتراح كريشنا، بدأ الجميع الرياضات المائية مع النساء في الماء. كان كريشنا زعيمًا لفرقة وبلراما لفرقة أخرى. كانت العاهرات تضاعف متعة المرح بموسيقاهن. تبع ذلك الطعام والشراب ثم مرة أخرى بدأ حفل موسيقي خاص أظهر فيه القادة قدرتهم على العزف على آلات مختلفة. وبهذه الطريقة نرى كم كان هؤلاء اليادافاس مرحين وكيف كانوا يتمتعون بلهوهم. ياله من اشمزاز من ينظر إليهم بمنظار الخطابات المؤخرة التي أدلى بها البراهمة المعاصرون، والذين دعموا مثل هذه الحفلات ومثل هذه الأعمال الدرامية وتمتعوا باللهو والخلاعة والمجون!

وفي إحدى هذه المهرجانات - مهرجان شرب الكحول - تمت إبادة اليادافاس. ويقال أن بعض أطفال اليادافاس قاموا ببعض النكات الطفولية مع بعض النساك الحكماء وبالتالي أغضبوه. إذ قام الأطفال بتنكر أحد أبناء كريشنا يُدعى "سامباك" بزي امرأة وربطوا مدقة حديدية تحت سرتة ثم سألوا الناسك: أي طفل ستلد هذه "المرأة"؟ صبي أو صبية؟ قال الناسك غاضبًا: إن هذه "المرأة" ستلد مدقة حديدية من شأنها أن تتسبب في تدمير يادافاس وإبادتهم. خوفًا من أسوأ عواقب هذه اللعنة، أخذ الأولاد المدقة الحديدية إلى شاطئ البحر ودمروها. لكن جزئياته عادت للظهور على شكل نوع من القصب. تم العثور على آخر قطعة متبقية منها - والتي ألقى بها الأولاد في البحر - اتخذها صياد نضلا لسهمه، وتم القضاء على اليادافاس به. وذات مرة زار اليادافاس مكانًا للزيارة يُدعى "براهاس" في حشد كبير. وبدأوا يشربون الخمر هناك. وأصبح هذا الشراب سبب هلاكهم. عندما شعر كريشنا والقادة الآخرون بالآثار السيئة للخمر، قاموا بتحذيرهم وحظروا شربها واعتبر شرب الخمر جريمة يعاقب عليها بالإعدام. لكن هذه الممانعة لم تنتج عنها شيء. فقد بدأ اليادافاس المدمنين بالخمر يتقاتلون فيما بينهم ولقي العديد منهم حتفه على أيدي رجالهم، وعندما رأى كريشنا أن أطفاله أيضًا أصبحوا حصيدًا لهذه المجزرة انضم القتال وقتل العديد من شعبه، ثم ذهب إلى البحث عن أخيه بلراما والذي وجده غارقا في التكفير ورأى أن روحه تغادر جسده بشكل ثعبان يُسمى "شيش ناغ". وأنداك الوقت شعر كريشنا أن وقت رحيله أيضا

حان، فودع أباه وزوجاته، وقال أنه اتصل بأرجونا والذي سيتحمل مسؤوليتهم. ثم جلس تحت شجرة مظلة تغطي أغصانها جسده وأصبح غارقا في الخيال والتأمل. وبينما كان منغمسا في خياله، إذ سدد نحوه صياد سهمه معتقدا بأنه غزال، وأطلق عليه السهم، الذي اتخذ نصله من جزء تلك المدقة الحديدية، ففضى عليه، وعندما أدرك الصياد أنه لم يكن غزالا، بل أطلق سهمه على كريشنا فسقط على قدميه واعتذر منه، فغفر له كريشنا، وانتقل إلى الجنة وهو ينير الجهات الأربعة بأشعته.

ثم جاء أرجونا وذهب بمن تبقى من اليادافاس إلى مدينة "هاستينابور". الآن تركه عقله وقوته المذهلة وحيداً. وفي طريقه إلى هاستينافور جاء العديد من رعاة البقر والجواميس مسلحين بالعصي وهاجموا على رفاق أرجونا وأخذوا العديد من نساءهم. ووصل أرجونا إلى هاستينابور ومعه شرذمة قليلون من اليادافاس. يقال إنه عندما غادر أرجونا مدينة دواركا ابتلعها البحر. والآن لم يبق شيء من قصة اليادافاس من لهوهم ومجونهم ومشاجراتهم الأهلية وحياتهم الخليعة للحكاية عنهم.

هنا يتم تقديم قائمة المراجع المطبوعة الإنجليزية التي استفاد بها مؤلف الكتاب بابا بيما راف إمبيدكر لتدوين هذا السجل المدهش.

## قائمة المراجع

الكتب والمجلات المذكورة فيما أدناه تشمل الأعمال التي استشهد بها المؤلف في كتابه هذا. تم فرز تفاصيل الطباعة عن منشورات من المكتبات الآسيوية ومكتبة جامعة بومباي. ولا يمكن البحث عن مزيد من التفاصيل لقلة الوقت قبل إصدار هذه الطبعة من الكتاب.

### ✿ المراجع الإنجليزية:

- ◆ Abhayadevasuri : *Commentary of Bhagavati Sutra.*
- ◆ Aufrecht, Prof.: *Katyayana's Sruta Sutras : Reading of the Veda in one's own Sakhas.*
- ◆ Avalon, Arthur : *principles of Tantra*
- ◆ Bohtlingk, Otto and Roth, Rudoiph : *Sanskrit worterbuch:* (St. Peters- burg, Buchdruckerei Der Kaiservehen Akademic Der Wissnes Chaften, 1865).
- ◆ Belvalkar, Shripad Krishna : *Vedanta Philosophy* (Basu-Mallik, Lec-tures, University of Calcutta, Poona 1929)
- ◆ Bhava Raju, Vyankat Krishna Rao : *Early Dynasties of Andhra Desha.*

- ❖ Blackquiere. W.C. : *Asiatic Researches Volume*.
- ❖ Colebrooke : *Miscellaneous Essay*, Vols I-II (Madras, Hingginbotham & Co., 1872)
- ❖ Dandeark, Prof. : *Vishnu in the Vedas*.
- ❖ Dewey, John : *Democracy and Education* (New York, Macmillan 1916)
- ❖ Dutt, R.C. : *Civilization in Ancient India (1888, Chronology of Ancient India)*
- ❖ Eggeling, Julius : *Satapatha Brahamana*, Part I-V (London Sacred Books of the East, Oxford 1885)
- ❖ Hopkins, E.Washerman : *The Great Epics of India* (New York, Charies Scribner's Son. 1901)
- ❖ Jaiswal : *Hindu Poltty*.
- ❖ Kane, PV. : Paper on Kali Varjya : *History of Dharma Shastra*  
(*Ancient And Medieval Religious and Civil Law*), Vol. I.
- ❖ Law, B.C.: *The Magadha in Ancient India* (The Royal Asiatic Society, London 1946);
- ❖ *Kshatriya Clans in Buddhist India* with a forword by the Hon'ble Sir Asutosh Mookerji (Calcutta 1922)

- ❖ Max Muller : *The Satapatha Brahmanas*, Part 1-5tr. by J. Eggeling, Sacred Books of the East Series, Vols, 12, 26 43 & 48 ed. by F. Max. Muller (Oxford 1885, 1894, 1897, 1900)
- ❖ Mayne : *Hindu Law and Usage*.
- ❖ Medhatithi : *Commentary on Manu*, Ed. by V.N. Mandlik (Bombay 1886)
- ❖ Mitra, Rajendralal : *Indo Aryans : Constitutions towards the elucidation of their ancient and medieval History* (W.Newman & Co. Calcutta 1881)
- ❖ Moore, Edward : *Hindu pantheon* (London, W.O. Simpson, 1810) Muir, J : Original
- ❖ *Sanskrit Texts* (Vol. I-Iv, London Trubner & Co., 57 & 59, Ludgate Hall, 1873-IIEd.)
- ❖ Mukerjee, Radha'Kumud : *Ancient India Education* (Brahmanical & Buddhist) (London, Macmillan & Co. 1947)
- ❖ Rangacharya, Mr. : *The Yugas, A Question of Hindu Chronology*, Sham Shastri : Drapsa, The Vedic Cycle of Eclipses.
- ❖ Weber, Albrecht : *Indische Studien*, (Berlin 1868-69)

- ◆ Wilson : *Vishnu Puran (Essays on Sanskrit Literature)*. A system of Hindu mythology and tradition, ed. Fitz Edward Hall, Vol. 1-5 (London, Trubner & Co., 1864)

## محتويات الكتاب

٣	..... ألغاز الديانة الهندوسية
٥	..... كلمة الدكتور بادانت آند كوساليان
١٧	..... مقدمة المؤلف
٢٥	..... تأملات في السلطة البراهمنية
٢٦	..... نبذة عن الديانات
٣٣	..... نشأة الفيدات
٣٧	..... نظرة أكاديمية على الفيدات
٤٩	..... الفيدات مجترحة للمعجزات
٥١	..... وجهة نظر فاشيشت دراما سوترا:
٥٥	..... الاستثناءات الخارقة في الفيدات
٦٨	..... وإن أساس نظريته بسيط للغاية، على النحو التالي:
٦٩	..... ما هي الفيدات؟
٨١	..... الحد الأدنى لمكانة الفيدات
٩٥	..... الأوبانيشادات ضد الفيدات
١٠١	..... الفيدات أهم وأعلى درجة من الأوبنشات
١٠٧	..... تحارب الآلهة فيما بينهم
١٢١	..... صعود الآلهة وسقوطهم
١٣٤	..... إحلال الإلهات محل الآلهة
١٤٣	..... اللاعنف ثم اللاعنف

- ١٥٨..... إله مسالم وإلهة متعطشة للدماء
- ١٦٧..... مبدأ الطبقات الأربعة.....
- ١٧٢..... هناك فرعان ليجورفيدا:
- ١٩٥..... لماذا هذه المراحل الأربعة للحياة (أشارم دراما) وكيف؟
- ٢٠٥..... ميلاد طوائف "فارنا سانكرا" (التهجين الطبقي)
- ٢٢١..... من الأبوة إلى الأمومة و كاليفارجيا (المحظورات الشرعية في كاليوجا)
- ٢٣٠..... و كاليفارجيا (المحظورات الشرعية في كاليوجا)
- ٢٣٣..... هل "مانفانتارا" نظام سياسي؟
- ٢٥١..... كالي يوج: لماذا هي دورة لامتناهية؟
- ٢٧١..... والآن دعونا نناقش الآلهة ومدى انحرافهم الجنسي
- ٢٨٥..... هكذا كان "راما" و"كريشنا"
- ٣٠٢..... والآن دعني أن ألقى الضوء على شخصية راما كملك!
- ٣٠٦..... والآن أن الأوان للحديث عن كرشنا:
- ٣٢٧..... قائمة المراجع.....
- ٣٢٨..... المراجع الإنجليزية:
- ٣٣١..... محتويات الكتاب